جمهورية نهبستان

فنجان قهوة فى صحة الزعيم



عبدالله مسعد الشعيبي

جمهورية نهبستان

رواية

تأليف:

عبدالله مسعد الشعيبي

إهداء

أحن إلى خبز أمي
وقهوة أمي
ولمسة أمي
وصورة أمي فى قصائد درويش
وأحن إلى عينيها
ساعة السحر
إلى شرفتين راح ينأى عنهما
القمر
عيناها حين تبسمان
تورق الكروم
وترقص الأقمار - كما قال السياب -
فى يدى زوجتي
كالقمر.

إليهما، أمي وزوجتي.. هذه الرواية.. أهدي.

عبدالله الشعيبي

المركز العربى للصحافة
والنشر " مجد "

Arab Center Press and
Publishing (Mgd)

القاهرة: ١٩٢ ش الملك فيصل - الطوابق
ت: ٣٨٢٥٠١١ - ٣٨٢٥٠١٢

البريد الألكترونى:
alghadalarabi@hotmail.com

تصميم الغلاف: إبراهيم هارون
تنفيـــــذ : أحمد فتحـى
جمـــــع : عزة - علا
تصحيح : دنيـا - محسن حسين
مراجعة لغوية: مصطفى بدر

مطبعة ستار برس – الهرم
ت: ٥٦٣٧٥٥٢

الكتاب : جمهورية نهبستـان
المؤلف : عبدالله مسعد الشعيبي
رقم الإيـــداع: ٢٠٠٤/١٦١٩٣
الترقيم الدولي:
I.S.B.N. 977-19-0531-2

مقدمة

بيان هام

قبل أن تقرأ..

هذه رواية خيالية، لا علاقة لها بما يجرى فى بلد عربى محدد، ولا ترتبط بشخصيات معينة، فهى تحلق فى الفضاء العربى، وتهرول ما بين الماء والماء، فاذا وجدت فيها بعض ما يجرى فى بلدك، فقد يكون ذلك من قبيل الصدفة، ألم يقل شكسبير على لسان هاملت «لا شئ يحدث فى الدنمارك إلا بالصدفة؟!» اما اذا جدت شخصية تعرفها، مسؤول كبير أو متوسط له نفس سمات من يلعب ادوارا قيادية أو محورية أو مركزية فى بلدك، فثق إنه ليس هو من تعرفه، انما تشابه اسماء وطبائع وسلوكيات.. وديكتاتوريات.

وخلاصة القول اننى لم اكتب هذه الرواية، بل هى التى كتبتنى، بنفس القدر، هناك احداث جسام تجرى فى وطننا، لم نصنعها ولم نشارك فى صنعها ولم نرسمها، بل هى التى تصنعنا وترسمنا وتنحتنا، فنحن قوم مؤدبون، مطيعون، إلى حد السذاجة أو البلاهة، مهذبون، لذا كان هذا التنويه.

عبد الله سعد الشعيبى

عبد الرحمن يوسف الدويش

الفصل الأول

وسط حراسة أمنية مشددة اخترق موكب الزعيم «أبواليسر» شوارع العاصمة في طريقه إلى قصر الرئاسة، كانت الشمس مثل «أس» قرد، تتخفى وراء أوراق الشجر.

وكأنهـا تخجل مـن أن ترمي اشعتـها فى ذلك الـيوم من دون أن تعرف السبب، وكان الهـواء ساكناً، ربما لأن درجة الحرارة بلغت ٤٠ درجة مئـوية، في حين أن الرطوبة كانت في أعلى معـدلاتها، بحيث بدا الأمر وكأن المطلوب هو رحـلة جماعية تضم البـشر والطيور وربما الحيـوانات والجماد إلى البحـر، رحلة هروب جماعيـة إلى الماء، ففى جمهورية نهبستان لا تتنوع الفصول الأربعة مثل بلاد الدنيا، وإنما فيها فصلان فقط، فصل الشتاء بكل ما فيه من قسوة البرد، وفصل الصيف بكل ما فيه من قسوة القيظ أو الغيظ أو الحر.

ونهبستان جمهورية ديمقـراطية كما تعلمون، يبلغ عدد سكانها ١٨ أو ٢٥ وربما ٥٠ مليون نـسمة، فـالأرقام هنا لا معنـى لها، ناس في ناس، ناس على ناس، أرقام بدون معنى، الرجال يقومون باداء المهام البيولوجية على أكمل وجه، والنساء لم يقصرن في انجاب المزيد، لكن تبـقى المشكلة وهى أن الأرض والديمقـراطية أضـيق من أن تستـوعب شـعـبـنا الأبي، البطل، الجـسـور، المغـوار، صـاحب الـتـاريخ، والحضـارات، وحتى لا أطـيل عليكم اعود إلى الوصف التـفصـيلي لموكب الزعيم «أبواليسـر» حفظه الله من كل سوء، خاصة مـا يضمر في نفوس بعض المعارضين الأشرار من أفكار حـمراء أو زرقاء أو بنية اللون. أو مـا يضمـر في نفوس بعض زعـماء الدول المجـاورة الذين

يخططون لأعـمال عـدوانية تكشف عن اطمـاع توسعـية، أو احـقاد دفينة، أو أشـياء من تلك التى اعـتدنا - واعتـدتم - أن نسمعـها في التليفزيون الحكومي، الرسمي، القومي.

الجنود مدجـجون بالسلاح، ودوي سـيارات الشرطـة ينبيء بقرب وصول الموكب الذي يتكون من عشرات السيارات وعشرات الدراجات النارية وعشرات من المدرعات حاملات الجـنود، كان الزعيم يعتقد ان الجماهير الغفيرة قد احتـشدت منذ الصباح الباكر لترى الزعيم، وأثناء عبوره بهم سوف يهتفون: بالروح.. بالدم.. نفديك يا زعيم.. تحيا جمهورية نهـبستان.. يحيا زعيم نهبـستان! لكن لم يكن هناك سوى رجال الأمن متراصـون مثل اعمدة الأسمنت وقد غـاب الجمهور عن الشوارع.

في العاشـرة صباحاً تمـاماً كان مجلس الحكـم ينتظر الزعيم الذي دخل القصر، فيما كانت النخـيل ثابتة كالجنود كأنها تماثيل في مدخل القصر الفخيم.

دخل الزعيم قاعة الاجـتماعات، فوقف الحضور احـتراماً وإجلالاً لكبير جمهورية نهبستان، الذى بدا فى غاية الاناقة. وهو يرتدى «زياً» فرنسياً من آخر صيحات الموضة.

اتخـذ الزعيم مكانه وأخـذ يطالع وجـوه كبـار رجال الدولة بقـرف وتقزز، لاعناً - في سره طبعاً - اليوم الأسود الذي ألقاهم في طريقه.. سـادت لحظات صـمت.. وبدا الغـضب واضـحـاً على مـلامح الزعيم..

وقال بحدة: لقد نسيتم جميعاً مهامكم الأساسية في الحفاظ على كيان الدولة والنظام، فقد انتشرت النكات التي يتندر بها الشعب علينا، لقد بدأ إخلاصكم لي يتسرب، وكل همكم كيف تنهبون الدولة، أعلم أنكم تمارسون النصب تحت شعار الدولة واسمها، ولكن الكواليس حافلة بالتعليقات الساخرة ضد زعيمكم، وآمركم باعتقال مطلقى هذه النكات والتعليقات الساخرة وإلا قطعت رؤوسكم بعد ألسنتكم وواصل حديثه بغضب:

أنا عندي علم بكل شخص يتفوه بكلمة عني، وأستطيع أن أؤدبه، واحرمه من الصفقات التجارية المشبوهة أو تسهيلات القروض أو سرقة اراضي الدولة، وانتم تعرفون أنني أعرف كل شيء عن نشاطاتكم المريبة، وأوضاعكم الخاصة وأنا قلت لكم «اسرقوا» لكني لم أقل لكم «انهبوا»، وأنتم تنهبون وتسرقون عيني عينك، ومع ذلك تتقولون عليّ، وسوف أعرف كيف اخرسكم أو أقطع ألسنتكم يا اولاد... انتم اصحاب النكت الساخرة عليّ وعلى أسرتي.

قام وزير المخابرات ووجه كلامه للزعيم قائلاً: أصل يا فندم...

ونهره الزعيم قائلاً: عندما أتحدث يا عبقرى يا جربوع لا تحاول أن تقاطع حديثي.. أعلم أنك تمارس البلطجة ضد المثقفين والكتاب والصحفيين، فلا تمارس بلطجتك علينا يا عبقرى وواصل بنبرته الحادة:

بئس العشيرة أنتم.. أما تدرون كيف كنتم وكيف أصبحتم اليوم.. لقد جلبتكم من السجون والمواخير لتكونوا خير بطانة لي.. ونهبتم البلاد ومارستم البلطجة.. وأصبحتم أنتم وعائلاتكم من كبار

الأثرياء.. لكنني أستطيع باشارة من أصبعي هذه إعادتكم إلى ما كنتم عليه يا أوباش..

يرتشف الزعيم من كأس الماء الذي أمامه ويلتقط أنفاسه..

ويواصل القول: الرعية تتحدث عن ارتفاع الأسعار وانتشار الفساد والمفسدين في جميع المؤسسات، وقلت لكم غطوا على هذه الأزمات بالحديث المتواصل عن الأخطار الأجنبية التي تهدد دولتنا، والإرهاب الذي يجتاح العالم وجهودنا المخلصة لمكافحته.. لماذا لم تنفذوا توجيهاتي حتى تسكت الألسنة؟ فأين وزير الاعلام الذى يذهب بالميزانية الإعلامية إلى كرشه؟

تسود القاعة همهمات وهمسات.. ويصرخ الزعيم:

اصمتوا يا حيوانات.. من يريد أن يتكلم فليستأذنني..

يقف أبو العسر - كبير المشايخ - ويقول:

سيدي.. الزعيم المبجل.. والقائد المغوار.. وابن الوطن البار.. نحن رجالك.. كلماتك حكم.. وأوامرك واجبة التنفيذ الفوري من دون أدنى تفكير أو مناقشة.. لكن يا سيدي هناك بعض الوزراء يحظون برعايتكم الكريمة وهم لا ينسقون مع أقرانهم.. بل غرَّد بعضهم خارج سربكم العظيم.

فهم يشجعون على ظهور الأصوات المعارضة... والمعارضة كما تعرفون يا سيدي هم شواذ المجتمع.. لكن فخامتكم تتساهلون معهم.. ونحن في حاجة ملحة إلى توجيهاتكم الكريمة بهذا الشأن.

بدت علامات الاستحسان على الزعيم.. وينظر إلى أبو العسر ذي

الكرش الضخم والصلعة الواضحة والوجه الذي يدل على أنه من عتاة الفاسدين.. ويأمره بمواصلة الحديث.

أبو العسر: مـولاي صاحب الفخامة.. إن المعارضـة قلة جبانة.. تستغل بعض الأزمـات لإحداث بلبلة.. إنهم موتورون لا يدرون أين مصلحتهم.. لقد اكتظت السجون بهم لأنهم لم يستوعبوا الديمقراطية التي يرسيها فـخامتكم.. فإذا ارتفعت أسعار السلع وانخفـضت قيمة عملتنا الوطـنية لأدنى درجة.. فـهذا شأننا وليس شـأن المعارضين.. فنحن نواجه التحـديات الخارجية.. وارتفاع الأسعـار ظاهرة عالمية ثم هل مات أحـد منهم جوعاً لا قدر الـله يا مولاي.. إنهم لا هم لهم سوى التـهام الطعـام.. فنحن اكثـر شعب يأكل فى العالـم وسنعمل جاهدين على وقف أو تأجـيل الانفجار الشعـبي إلى أجل قد لا يأتي بفضل توجـيهاتكم الكريمة وسيـاستكم الحكيمـة.. ولدينا المجاهدون المخلصون لفخامتكم الذين يقدرون بإشارة منكم على قطع كل الألسنة المعارضة يا سيدى ولجمها إلى الأبد.

تتهلل أسـارير الزعيم.. ممتناً لأبـي العسر.. ويوجـه حديثـه إليه قائلاً: أشكرك يا شـيخنا على حديثك الذي يـدل على إخلاصكم لنا ووفائكم لهـذا البلد.. وشخـصياً أعـتبركم مـرجعي وسندي.. ولي حوار شخصي معك لمناقشة ما طرحته من آراء بعد اجتماعنا..

ويشير الزعيم إلى وزير المخابرات «سعدان» ليتحدث..

يقف سعـدان.. رجل ضخم الجـثة تدل هيئـته على أنه من عـتاة المجرمين.. لكنه بدا منحنياً أمام الزعيم..

صاح الزعيم: ارفع رأسك يا سعدان، اريد ان اطالع وجهك البهى.

سعدان يرفع رأسه ويقول: سيدى.. وولي نعمتي.. وقائدنا الملهم.. نحن عيونك التي لا تنام.. نحن سهامك التي لا تصدأ ولا تخطيء أهدافها.. نحن أذرعتك الطويلة التي تنال من خصومكم المعارضين، الخونة، الجبناء ناكري الجميل، وبفضل توجيهاتكم الحكيمة وإنعامكم علينا فنحن في طاعة عمياء لمولانا صاحب الفخامة رئيس جمهورية نهبستان الديمقراطية.. وما كان اختباركم لوفائنا وإخلاصنا لكم إلا وساماً رفيعاً منكم أتشرف بحمله، ثم بكثير من المذلة والمهانة قال:

مولاي.. سيدي.. اعتذر لكم عن مقاطعتي لفخامتكم.. وأنا لا أستحق لقب «واطي» فقط.. لكني واطي وابن واطي لمقاطعة حديث فخامتكم..

سيدي.. إنني ورجالى مستعدون للتضحية بأرواحنا من أجل إدامة عزكم ومجدكم.. وبفضل توجيهاتكم الحكيمة تمكنَّا من تخليص رعيتكم من معظم الشواذ المعارضين وأودعناهم السجون والمعتقلات.. وفيها نجحنا في استمالة عدد كبير منهم إلى جانب الحكومة.. ونحاول مع الباقين.

ولكن.. يا سيدي.. يا صاحب الفخامة إن هناك عوائق تعرقل جهودنا.. فهناك بعض المسؤولين من مساعديكم يأمرونني بإطلاق سراح بعض المغضوب عليهم من نزلاء السجون.. رغم توافر الأدلة والبراهين

ضـد هـؤلاء النزلاء.. وهذا الازدواج يؤثر بالسلب على رجـالنا.. والشيء الآخر يا سيـدي.. إننا نطمع في مكرماتكم المالية بهـدف اقامة بعض السجون وشراء أدوات تعذيب جديدة لكى نفرض الأمن فى البلاد وكذلك نطلب زيادة مالية لزيادة فعالية نشاطنا وجهودنا لتقديم المزيد من الخدمات لفخامتكم وإدامة عزكم ومجدكم..

وأخيراً أشكركم يا زعيم على إتاحة الفرصة لي للحديث..

يتهلل وجه الزعيم.. ويوجه حديثه إلى أبي سعدان قائلاً:

أنت فعلاً رجل مخـلص ومطيع ووفي.. وسأنظر في طلباتك.. لكني أوجـهك بتـوسيع نشـاطك بين الطلبـة والشـباب ومنعـهم من الانضمام إلى الأحزاب المعارضة.. وإحباط همم المثقفين.. لن أقول لك كيف.. ولكنك حر في اتخاذ ما تراه مناسباً.. ولا تأخذ حديثي عن الديمقراطيـة وحقوق الإنسـان وحرية الإعلام مأخـذ الجد.. ومن يشكل خطراً على حكمنا وجهوا له تهمة «الإرهاب» واعتقلوه فوراً..

بعـد لحظة صـمت يسـتـأذن «أبو الفـاتح» - قـائد الجـيش - في الحديث، فيأذن له الزعيم..

يقف أبو الفـاتح - بملامحـه الصـارمة ووجـهه المقطب الجـبين - منحنياً أمام الزعيم.. ثم رفع رأسه، وقال:

قائدي المهـيب وصانع النهـضة وقائـد مسيـرة التنميـة الشاملة.. وصانع الانتصارات المجيدة لدولتنا..

نيابـة عن أولادكم.. حمـاتكم.. وحمـاة الوطن.. أجدد العـهد لفخامتكم بالولاء والطاعة.. نحن جنودكم الأوفياء وقوتكم الضاربة..

قائدي المهيب. . ألتمس من فخامتكم زيادة الاعتمادات المالية لشراء بعض الأسلحة المتطورة تدعيماً لقوة الدولة. . وشكراً لفخامتكم.

يعتدل الزعيم في جلسته ويرشف من كأس العصير ويبدو مبتهجاً. . ويقول:

عظيم يا رجل. . فعل كثير وكلام قليل. . سوف أناقش موضوع شراء الأسلحة المتطورة معكم في اجتماع خاص. . لكن وصلني ما يفيد انشغال بعض معاونيكم بأمور تجارية والحصول على سمسرة وعمولات. . رغم ما ينهبونه من القرى والمدن التى يعسكرون فيها تابع ذلك بنفسك وحد من نشاطهم وارفع درجة الاستعداد القتالي للحالة القصوى لمواجهة الشعب في القرى والمدن المشاغبة مهما كانت الخسائر المادية والبشرية في جنودنا. . فالمهم تدعيم أركان النظام الذي يتيح لكم تكوين ثروات ضخمة، فأقل واحد منكم رصيده عشرات الملايين من الدولارات، واولهم أنت الذى تحصل على عمولات من صفقات السلاح الامريكية والأوروبية.

ويعطي الزعيم الكلمة لأبى الهبار - وزير المالية - الذي يقف بشموخ، رافعاً رأسه عالياً، بحكم علاقته الوطيدة بالزعيم، فقال:

يا صاحب المجد. . يا حاكمنا الملهم وزعيمنا الأوحد، نحن نحتاج لتوجيهاتكم في الوضع المالي الذي تمر به البلاد، فقد تراجعت قيمة عملتنا الوطنية ووصلت لأدني معدلاتها، فقمنا بطباعة ملايين الأوراق النقدية فزاد التضخم وارتفعت الأسعار وزادت البطالة، وهرب المستثمرون الأجانب، وقمنا بزيادة الضرائب فأفلست آلاف المشروعات

الصغيرة بما فى ذلك محلات البقالة وأقترح زيادة الضرائب مرة ثانية وثالثة، وطلب الدعم من الأصدقاء والأشقاء العرب وذلك عن طريق فخامتكم مع وعدهم شفهياً برد هذه المبالغ، وهى وعود غير قابلة للتنفيذ كما تعلم فخامتكم، ونحن أصحاب تجارب سابقة في ذلك.. وأقترح على فخامتكم التوجيه بالحد من تدخل الآخرين في عمليات الصرف من خزانتكم وحصرها في فخامتكم.

ينتفض الزعيم صارخاً، هائجاً، متوعداً..

أحذركم.. أنا الوحيد الذي يملك حق الصرف من الخزانة.. ولا يجوز لأحد التفكير.. مجرد التفكير في هذا الأمر.. هل سمعت يا هبار.. هل سمعتم؟ أنتم تريدون أن تخربوها، لكني سوف أتصدى لطموحاتكم.

يرد الحاضرون في صوت واحد: سمعاً وطاعة .. أدام الله عزكم ومجدكم.

يهدأ الزعيم قليلاً، ويسمح لأبي الهبار بمواصلة الحديث..

أبو الهبار: سمعاً وطاعة لقراركم السديد.. وأقترح على فخامتكم الاتصال بالأشقاء والأصدقاء العرب لتقديم الدعم لدولتنا ثقة منهم في فخامتكم، أو نعيد ترسيم الحدود معهم ومنحهم بعض الأرض مقابل المال.

الزعيم: من اليوم يا هبار عليك بوضع برنامج الاتصالات وعرضه علينا في خلال ثلاثة أيام..

أبو الهبار: سمعاً وطاعة..

يهرش الأجـرب - وزير التجـارة والزراعة والإعاشـة - في رأسه ويقف قائلاً في خنوع:

مولاي.. صاحب الجلالة والعظـمة.. تاج رؤوسنا.. سلام ليوم مولدكم.. وسلام ليوم ولايتكم منذ ربع قرن وحتى الآن.

مولاي.. لقـد حقـقنا إنجازات رائدة في عهـدكم.. عهـد العزة والكرامة المـيمون.. وسـوف يسطرها التاريخ بحـروف من نور باسم فخامتكم.

إن ارتفاع الأسعار هو حديث بعض الرعـاة ناكري الجميل.. إنها حالة سـائدة في العـالم كله.. مـا في دولة في العـالم إلا وارتفـعت فـيـهـا الأسعار.. والسبب في بلادنا هو كسل الرعية عن الزراعة.. ولكن بفضل سياستكم الحكيمة نعمل على توفـير مواد الإعاشة الضرورية، لكى تعيش الرعية في رفاهية واستقرار.. ونحن نطمئنكم على تنفيذ توجيهاتكم.

يشير الزعيم إلى وزير الأسـفار والعلاقات الخارجية، فـيقف نبهان ولكن الزعـيم يقـول: قـبل أن تتـكلم يا نبـهـان دعك من الكلام الفلسفي.. احكي بالبلدي كي أفهم ما تحكيه..

يوميء نبهان برأسه قائلاً: سمعاً وطاعة يا فخامة الزعيم..

يشرد ذهن الزعـيم في نبهان الذي نهب أموال البلد فـي كرشه.. ومعرفة الرعية - كلهم - بمدى نهبه وهبره نباهته فى التلون ويسمح له بالكلام...

نبهان: يا صاحب الفخامة والعظمـة.. بفضل توجيهاتكم السديدة تمكنا من فـتح ممثليـات جـديدة لفخـامـتكم في عـدة دول، وتطوير

علاقاتكم بهـا، وإزالة سوء الفهم الناجم عن موقفنـا السياسي السليم من علاقاتـنا بدول الجوار والمتعلقة بتـرسيم الحدود معـهم، خاصة أن حقوقنا التاريخية ثابتة وغيـر قابلة للتنازل.. وسيدون التاريخ موقفكم الوطني بأحرف من ذهب..

يا صـاحب الفـخـامة.. يبـقى أن أشيـر إلى الموقف العـروبي، فاستطلاعات الرأي في عالمنا العـربي تشير إلى انك تحتل المركز الأول في استـفتاءات الرأي العـام العربي، وفخـامتكم لست زعيـماً لبلدنا فحسب، بل للعالم العربي كله من محيطه إلى خليجه.. وهذا شرف لنا جميعاً.. نحن رعاياك.. في جمهورية نهبستان.

يقف الزعيم وينهض الحاضرون، ويوجه كلامه إليهم:

نكتفي اليوم بهذا القدر، وسأحدد لكم موعداً لاستكمال الحوار..

وقبل أن يفتح الحراس أبواب القاعة يطلب الزعيم من كبير المشايخ وبعض أقاربه البـقاء في القاعـة فخرج بـاقى الوزراء، وبدا ان الزعيم جاهز لاجـراء حوار عائلى مع أركـان القبيلة التى ينتـمى لها، والتى يمثلهـا بعض الوزراء، يتـحـرك الزعـيم فى القـاعـة، وهو ينظر فى السـقف، ولا يركز عـينيه فى عـيون الحاضـرين، وبمجرد أن يـخرج الوزراء، تبدأ جلسة عائلية تتسم بأعلى درجات الصراحة.

❖ ❖ ❖

الفصل الثاني

يجلس الزعيم «أبو اليسر» مع كبير المشائخ وأفراد عائلته، جلسة قبلية، حيث شيخ القبيلة أهم الموجودين، فيما يتراجع دور الزعيم ويصبح كفرد من القبيلة، عليه السمع والطاعة..

يبدأ الزعيم جلسة المشاورة بقوله:

لعلكم سمعتم ما دار في اللقاء، وقلت لكم أكثر من مرة إنه يجب أن نجري بعض التغييرات ونحن في موقع القوة والسيطرة، لتبقى عائلتنا أطول فترة ممكنة في الحكم، فلابد من تقديم تنازلات أو تحقيق بعض مطالب الناس وأنتم تعرفونها جيداً.

يقاطعه أبو العسر «شيخ القبيلة» بحدة:

يا ولد.. دائماً تطالبنا بتقديم تنازلات.. ألا تدري يا ولد أن هذه التنازلات تكون على حساب مصلحة العائلة والقبيلة.. لماذا تردد دائماً تنازلات لإقرار الديمقراطية ومكافحة الإرهاب والحكم المدني وحقوق الإنسان.. في كل مرة نسلم السلطة بغير إرادتنا.. يا ولد.. إن لم تغير ما برأسك سوف أكسرلك رأسك، ألا تعرف أن القبيلة المنافسة لنا تستفيد من هذه التنازلات.

يحاول الزعيم أبو اليسر الرد.. فينهره أبو العسر:

صه يا ولد.. لما أتكلم لا تقاطعني.. أنت قليل الأدب لا تعرف الأصول ولا أدب الحوار.. أما تعلمت كيف تحترم كبيرك..

يستأذن أبو الفضل في الحديث.. ويقول:

سيدي أبو العسر..

إنني أتفق معكم، ويكفينا ما قدمناه من تنازلات.. فأخي الزعيم

بدأ يستجيب لبعض الضغوط الخارجية الخاصة بمكافحة الإرهاب، وإذا استمرت استجابته لتلك الضغوط فقد تجرنا إلى الخروج من دائرة الحكم، وهو بهذا يهييء الطريق لولده ليحل محله، وكأن الحكم حق مكتسب له وحده.. ويبدو أن أبا اليسر قد نسى كيف أوصلناه إلى الحكم وحافظنا عليه انطلاقاً من مصلحة عائلتنا..

الشيخ أبو العسر يشير لأبي اليسر كي يرد..

أبو اليسر: هذا افتراء على دوري وعلى شخصي.. وأنتم تعرفون عهدي لكم برفض أي تنازل يهز أركان العائلة واستمرارها في الحكم، وأنا لا أنوي أن يتولى ابنـي رئاسة الدولة، فهو شاب طموح ومهتم بالشؤون العسكرية لذلك تولى قيادة الحرس الجمهوري، وهو خير ضامن لأمننا وأمنكم، وهو مخلص لكم جميعاً.

أبو العسر يقاطعه بحدة:

نفسي أصدقك.. لقد ضحكت علينا وحاولت تزوير حقيقة قتل خالك وعمك وغيرهم من أفراد العائلة.. قلت إنها مؤامرة علينا وأنك لم تكن تدري بهذه الحوادث.. لكن الرعية يؤكدون أنك المخطط والمدبر لهذا الحادث.. ولم نحاسبك حتى لا تنفرط حبات مسبحتنا.. لكنك نفشت ريشك علينا وتريد توريث الحكم لولدك..

أبو اليسر: أقسم بالله العظيم أني لا أعمل إلا لصالح العائلة.. وما يردده الرعية باطل.. وكلام بعيد تماماً عن الصحة.

أبو العسر: أسمع كلامك أصدقك.. وأشوف أفعالك أتعجب.. بالمناسبة.. قل لي يا أبوالفضل ما هى قصة مكافحة الإرهاب وما

صلتك بها؟

أبو الفضل: هناك قوى خارجية تطالب برأسي لأنهم يتهمونني بدعم وتشجيع جماعات الإرهاب.. يقصدون الشباب الذين كنا نساعدهم في الماضي على هزيمة الملحدين والكفار والخوارج من اليساريين الشيوعيين الملحدين.. هل بعد كل هذه الخدمات التي قدمتها للعائلة تصدقون ذلك ولا تدافعون عني..

أبو العسر: ما تقول يا رجل.. من يمسسك بالماء نحرقه بالنار.. والله لو لمسك أحد لكسرت رأسه.. أنت درعنا الواقي ولن اسمح لأي جربوع يقترب منك.

وأنت يا صعلوك «يشير إلى أبي اليسر»: قد سمعت ما قلته، ولا تلعب بذيلك وإلا سترى العين الحمراء.. وانسى تماماً حكاية توريث الحكم.. هل فهمت.. أم أنك مازلت تحن لأيام الصعلكة التي كنت تحياها بالماضي ثم جئنا بك زعيماً.. إذا أردت أن تتصعلك فليس علينا يا صعلوك.

أبو اليسر: سمعاً وطاعة..

أبو العسر: يا أبا القضل.. قلت لي منذ ثلاثة أيام أن أبا اليسر أصدر قراراً بتعيين مساعدين لك دون علمك.. وأنت متضايق من أبي اليسر.. أفصح..

ابو القضل: لقد قال لي إنه الزعيم والقائد الأعلى ويعرف مصلحة البلد..

أبو العسر «موجهاً حديثه لأبي اليسر»: مايكون.. صدقت أنك زعيم علينا؟

أبو اليسر: لو سمح لي شيخنا بالتوضيح.. لقد قصدت يا سيدي أن أشتري ولاء بعض الأفـراد حتى نستطيع تحييـد بعض العشائر لكي نكسب ولاءهم.. وهذا ما اتفقنا عليه من قبل حتى نستطيع ان نحافظ على وضع عشيرتنا، وحتى لا تحنق علينا العشائر الأخرى، أننى أفكر فى اختراق العشائر حتى نضمن ولائها لنا.

تبدو علامات الارتياح على أبي العسر.. ويقول:

إيه والله.. لكنك غلطان لأنك لم تسـتشـرني ولم تبلغ الولد أبو الأعسر قبل إصـدارك القرار حتى لا تثير غضـبه.. أحذرك من تكرار ما حدث.. هل فهمت يا ولد؟

أبو العسر ينظر شذراً إلى أبي اليسر ويقول:

قل لي يا فرعـون.. لا.. يا صعلوك حـتى لا تتفـرعن وتصدق نفـسك.. ما هى حكاية مـوافقـتك على حصـول أحد مـواليك من السفهاء على توكيل شركة سيـارات أجنبية وهى من صميم اختصاصنا وملكيتنا.. كم أعطاك؟

أبو اليسر: لا.. يا سيدي.. إنها وكالة لا تساوي حتى خمسة في المائة من قـيمـة أعـمالكم.. وهى بالمناسـبـة لشراء ذمم بعض أفـراد العشائر حتى لا تتجه العيـون لعائلتنا.. ولو كنت شعرت أنها ستؤثر عليكم لأوقفتها فوراً..

أبو العسـر: اشوف كـيف سيكون تأثيـرها.. وإلا طربقتـها على رأسك..!

أبو اليسر: أمرك يا سيـدي.. ولو سمحت لي.. أريد أن أتشاور

معكم في الضغوط الخارجية بشأن الإصلاح السياسي، وضرورة إجراء حوار مع بعض أحزاب المعارضة وأقترح بدء الحوار وتشكيل لجان حوار وأتعامل مع هذه الأحزاب بطريقتى الخاصة ليتلهوا بالحوار لأطول فترة زمنية ممكنة.. وأرجوكم أن تتحملوا تصريحاتي لأجهزة الإعلام.. وهدفي في النهاية هو مط الحوار وأنتم تعرفون مهاراتي في الفهلوة وتضييع الوقت.

أبو العسر: قد وكلناك من زمان بحكاية الحوار السياسي.. ولو شعرت أن شخصاً قد تجاوز حدوده معك قل لي وأنا كفيل بتربيته أفضل مما ربته أمه والأيام والحياة.

يتكيء أبو العسر على عصاه التي وضعها على ظهر أبو اليسر وينهض قائلاً: من الآن سنلتقي كل ليلة سبت.. ولا تنسوا دعوة أولادكم لحضور الاجتماع ليتعلموا ما هى حقوقهم وواجباتهم وأصول الحكم.. وتصبحون على خير.

❖ ❖ ❖

الفصل الثالث

بالقرب من النافورة القديمة، في الميدان الذي يتوسط العاصمة، وإلى جوار محطة البريد، كان المتسولون يتزايدون يوماً بعد يوم بأعداد يصعب حصرها وإحصائها.. هم من عامة الشعب أو الرعية كما يقولون.. وعشرات آخرين يبحثون في صناديق القمامة عن أي شيء يصلح لسد جوعهم من بقايا الأطعمة، وكأنهم كلاب ضالة.. وعشرات آخرون يتسكعون في الطرقات بحثاً عن أي فرصة عمل ولو باليومية.. فيما يدفن غيرهم همومهم في مشاهدة التليفزيون ولعب الورق والدومينو... بالمقاهي..

كلهم مكدودون.. مجهدون من اللاشيء.. يتجرعون كل نهار معاناة التسول والبطالة والآلام.. وفي لحظة الغروب يأوي كل منهم إلى جحره أو داره البسيطة. ومع انسحابهم منسحقين يبدأ العسس في الظهور والتواجد ثم ينتشرون بكثافة في كافة طرقات المدن والقرى..

ومهمة بعض العسس ليست في حفظ الأمن فقط، بل في خدمة فتيات الليل.. إما يستمتعون بهن أو يقتسمون معهن حصيلة بيع الجسد.

بعضهم يدَّعون العزة ويرفعون رؤوسهم ويمتشقون السلاح.. لكن صفاتهم الحقيقية بعيدة تماماً عن العزة والكرامة، خاصة عندما يرخي الليل سدوله، وعندما تبدأ العتمة، ويختفي القمر..

هنا يتخلل المشهد عدة أشباح.. إنهم المارة الباحثون عن المتعة المحرمة..

ولاذ من لا يستطيع شراء الجسد بقناة فضائية ينشد من خلالها

فيلماً «ثقافياً» ليفرغ به شهوته..

وسط هذا المشهد الدرامي كان إبراهيم في داره مع مجموعة من رفاقه يتحدثون عن أحوال البلد.. يقول إبراهيم: إن حكام هذا البلد هم منبع الفساد وأساس الفقر والانهيار الأخلاقي الحاصل.. كأنهم ليسوا من أبناء البلد.. كأنهم غزاة ومحتلون.. عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

يقاطعه أيوب: لو كان حكامنا شياطين لقرأنا المعوذتين فاختفوا، ولكنهم يفوقون الشياطين بأفعالهم المنكرة وأخلاقهم الوضيعة.. لكن قل لي.. لماذا أطبق الصمت التام على الشعب؟ هناك سر لا يمكن إدراكه.

إبراهيم: ليس سراً.. فأناس الأمس كانوا أكثر شجاعةً وكرامةً.. كانوا لا يحتملون الظلم والاضطهاد.. أما أناس اليوم فهم مدجنون.. أصبحوا أكثر خنوعاً وجبناً.. وقديماً قال المصريون. إيش فرعنك يا فرعون.. قال: ما لقيتش حد يلمني.. وقد تفرعن الحكام والشعب خامل وكسول لأنه شعب مقهور ومسلوب الارداة.. لكني أرى أن الشباب الآن أكثر وعياً من بقية عامة الرعية.. فلديهم قناعة بحتمية التغيير ولابد من يوم آت ستكون فيه الصورة أوضح.

كان اسماعيل المنتمي الي التيار الاسلامي الدعوي يفكر فيما يقوله رفاقه، وخرج عن صمته قائلاً:

إذا كان الشباب هم القوة الدافعة للتغيير فلابد أن يتلاحم مع كل فئات الشعب.. ولابد أن يكون هناك برنامج محدد للعمل على

إحداث التغيير.. وأرى أن أهم برنامج هو الدعوة إلى الله لكي يلتف الشعب كله حولنا..

في هذه الأثناء تتلاحق الطرقات على الباب.. بعنف وبسرعة.. سرى الخوف في الجميع.. نهض إسماعيل - صاحب الدار - بسرعة ليفتح الباب فإذا بصديقه «وضاح» الذي هرب لتوه من العسس..

وبسرعة قص عليهم و«ضاح» نبأ هروبه فأسرعوا به إلى غرفة داخلية لإخفائه.. جلسوا جميعاً معاً وقدموا الماء والعصير لوضاح الذي استرد أنفاسه وقال:

كنت مع مجموعة من الشباب في شارع الزعيم.. ورأينا أحد الضباط يعتدي على إحدى الفتيات بالضرب واللكمات ويوسعها سباباً تقشعر منه الأبدان.. فغلى الدم في عروقنا، رغم أن هناك علاقة نعرفها بين الضابط والفتاة، فتحركنا تجاه الضابط وخلصنا الفتاة من بين يديه وحاول الضابط سحب مسدسه فأوسعناه لكماً وصفعاً وركلاً واختطفنا المسدس وألقيناه بعيداً فسقط المسدس على رأس أحد أفراد الدورية فانتبهوا لنا وأسرعوا نحونا للقبض علينا.. لكننا سارعنا بالهروب الانفرادي.. كلٌ جرى في طريق حتى وصلت إليكم..

صاح إبراهيم قاطعاً لحظات الصمت: مجرمون.. فاسدون.. خونة..

يستكمل وضاح حديثه: قبل أن يعتدي الضابط على الفتاة قال لها: سبق وأن حذرتكم يا ساقطات من التسكع بشارع الزعيم.. ففيه قصره وقصر ابنه «الذي سيورثه الحكم».. وفيه مؤسسات الحكم..

وتجرى الاستعدادات للقاء الزعيم بكبار الشخصيات بمناسبة ذكرى توليه الحكم.. ثم سبها الضابط بأقذع الألفاظ وانهال عليها ضرباً..

عبدالغني: إنه ليس عيد توليه الحكم.. لكنها ذكري اغتصابه البلد كلها.. ولا أدري إن كان سيحتفل بالذكري في ذات ليلة الاغتصاب أم بعدها؟!

اسماعيل: هذه مناسبة جيدة لسرعة تحركنا..

ابراهيم: يجب أن نحصل على دعوات لحضور هذه المناسبة.. لأنها ستكون مذاعة على الهواء مباشرة.. ونحاول الحديث أمام الزعيم لايقاظ ضمير الشعب.. فنحن معتقلون في هذا البلد.. ولا يضرنا أن ندخل المعتقل.. ففيه سوف نجد أبناء أسر عريقة من الحراس وقد يتفهمون موقفنا ويعاملوننا أفضل معاملة.

عبدالغني: إذن لابد من الحصول على هذه الدعوات بأي شكل ولو بالتزوير!

ابراهيم: يجب أن نخطط جيداً..

أيوب: إن طرح رؤيتنا في اجتماع يحضره الزعيم سيكون له مردود إيجابي على الشعب..

اسماعيل: اقترح تشكيل مجموعات عمل لها مهام محددة..بدلاً من أن نضع البيض كله في سلة واحدة.. سنبدأ مع الصباح في التخطيط على أن نلتقي مساء.. وسأسعي جاهداً لتوفير الدعوات من خلال بعض زملائي..

انفض الاجتماع.. وأثناء خروج ابراهيم ورفاقه إلى شارع جانبي

شدتهم ثرثرة نسائية صادرة من أحد الطوابق الأرضية لمبنى منفصل يحيطه سور صغير.

وقفوا جميعاً.. فأشار عليهم إبراهيم بأن يبقى مع أيوب وعبدالغني فيما يذهب الباقون إلى منازلهم..

كان البيت يتمتع بثراء واضح، بدا ذلك من خلال الواجهة المزركشة، والبوابة العريضة، إضافة إلى وجود زهور فى الشرفات، ما يوحى أن اصحاب البيت من الأثرياء، فأحدث السيارات تقف أمامه.. وجاءت الثرثرة من نسوة ترامت إلى سمعيهما..

جميلة: ما حدث لي الليلة لم يكن يخطر لي على بال..

خديجة: هل عرفت الشبان الذين تدخلوا لإنقاذك من أيدي الضابط النذل ابن الكلب..

جميلة: لم أعرفهم ولم ألتق بأي منهم من قبل.. لكن تدخلهم يعني انهم ناقمون على أوضاع البلاد.. فهجومهم على الضابط محسن كان شرساً.

كبيرة النسوة «حالية»: اسمعن ما سأقوله جيداً.. انني أتوقع أن يزورونا خلال ساعات للبحث عن جميلة.. المهم.. عندما يحضرون دعوني أتصرف معهم بطريقتي.. اصعدن إلى الدور العلوي ودعوني وحدي في هذا الطابق..

خديجة: أنت لا تعرفين ماذا يفعل محسن عندما يثور؟.. إنه كالثور الهائج الذي يقودونه للذبح أو للتهجير..

حالية: أنا أعرف كيف أتصرف مع هذا الكلب.. دعوه ولا تخفن

منه.. وأنت يا جميلة.. لماذا لم تخرجي من الشارع عندما أمرك؟

جميلة: ما ترك لي فرصة للرد.. فقد أوسعني سباً وركلاً وضرباً.. لقد منعني من اصطياد شاب ثري في شارع الزعيم؟ لكن يا ستي.. هل تعتقدى أن هناك شخصية مهمة ستزور قصر الزعيم؟

حالية: ما سمعنا عن زيارة.. لو كانت هناك زيارة لأخبرونا..

خديجة: لعاد يكون فيه خبرية بتمرد شعبي أو عسكري ضد الزعيم؟

حالية: ما في شعب حامي.. خلاص.. كلهم دجاج.. حتى الجنود تحولوا إلى نهابين ولصوص ومرتشين، ولم يعد هناك أمل فى انقلاب داخل الجيش.

جميلة: ألا قولي لي يا ستي.. كيف تعرفتِ على هؤلاء السفلة؟

حالية- تسحب نفساً عميقاً من سيجارتها - وتقول: والله والشرف يا حبيباتي ما حصل معي لازال يتردد على ذاكرتي وبالذات.. عندما تعرفت على الزعيم ما حصل معى في أول ليلة معه.. لا يمكن ان انساه ابداً، انه محفور في ذاكراتي مثل النقش بالحنة.

وتسكب كأس الويسكي من يدها إلى فمها مرة واحدة.. وكأنها تستخرج من مخزن ذكرياتها حملاً ثقيلاً.. وتقول:

كنت في التاسعة عشرة من عمري، وكان زوجي المتعوس - الله يرحمه - يغيب عني ستة أشهر في الجيش ويزورني لمدة خمسة أيام، كنت جميلة جداً، مثل قنبلة فتاكة، كنت في عز شبابي..

وكان الشوق إلى الجنس يلهب جسدي.. خصوصاً عندما تتحاكي

صديقاتي عن ما يفعله معهن أزواجهن. . كانت النار تأكلني وتلتهم جسدي. . قررت أن أبحث عمن يطفيء نار شهوتي الجامحة. . ذهبت الي شارع معروف بتواجد الرجال الباحثين عن نساء لممارسة الجنس. . وقررت ان اختار شاباً فيه كل سمات القوة والنظافة وحبذا لو كان ابن عائلة، وفجأة توقفت أمامي سيارة معتمة بدون أرقام. . نزل منها أحد الرجال وأخذ يساومني. . قلت له أنتم ثلاثة. . لا أريد إلا واحداً فقط. .

وقبل أن يجيبني سحبني بالقوة ودفعني لداخل السيارة وأجلسني بجانبه. . رفع نقاب وجهي فرأى جمالاً بهره. . فرفع سماعة تليفون السيارة واتصل قائلاً: يا سيدي معي لك هدية رائعة. . أنا واثق أنك لن تتردد في قبولها.

بعد خمس دقائق تجاوزنا خلالها عدة شوارع كانت السيارة تدخل قصراً فخيماً محاطاً بحراسة مكثفة. . دبابات وعربات مصفحة وعربات تحمل صواريخ مضادة للطائرات.

أدخلوني غرفة واسعة شديدة الثراء. . لم أر مثلها في حياتي. . جلست وحدي. . رفعت نقابي. . بدأت أداعب خصلات شعري الطويل ممنية نفسي بنشوة جنسية طاحنة. . ودخل رجل فسألته عن الذي اصطحبني. .

فقال: لا تكدري صفونا بهذا المخنث. . أنتِ معي الآن ولي وحدي فقط. . ولا أحد في الدنيا أسعد حظاً مني الآن وأنتِ معي. .

قدم لي شراباً لم أتذوق مثله في حياتي. . وفجأة تناول الريموت

كنترول ووجهه إلى أحد الجدران فانفتح بصورة مثيرة للدهشة. وظهر جهاز تليفزيون ذو شاشة كبيرة جداً.. ثم وجه الريموت إلى الفيديو.. وقال لي: ستشاهدين الآن كيف يعيش الناس في أوروبا وأمريكا..

توقفت حالية عن الكلام وأشارت برأسها لاحدى الفتيات التي سارعت بصب كأس ويسكي واشعال سيجارة لها.. تناولتهما حالية بشراهة.. وأخذت تحكي..

كانت المناظر تلهب المشاعر.. إنه فيلم جنسي مثير للغاية.. وانهمك في الشرب وأخذ يداعب جسدي حتي خلع عني كل ملابسي.. وتحسس بفمه كل جسدي بلهفة أحرقتني.. وتحرشت به كثيراً.. لكنه فجأة غط في نوم عميق وتركني أتلوي بجحيم جسدي.. فرغبتي الجنسية ملتهبة.. لكنه نام!

استيقظ في الصباح وسألني عما فعلناه الليلة البارحة.. فأحسست باحراج وكتمت غيظي وقلت له: أنت أستاذ كبير.. ياه.. لقد كنت كالأسد وأنا أتأوه في أحضانك من النشوة.. عندئذ تهللت أساريره ورفع سماعة الهاتف وطلب سائقه الخصوصي.. وفتح خزينته وأخرج منها نقوداً أجنبية وناولها لي وقال: اتركي لي رقم هاتفك وستكون كلمة السر هي «أم هند.. عندكم؟».. وهذا معناه أن سيارتي بانتظارك..

كانت حالية تدخن بشراهة وهى تعبىء كؤوس الويسكي..

وسألتها جميلة: وماذا فعلتِ لإخماد ثورة جسدك الجنسية؟

حالية: جلست أمام التليفزيون وأخـذت أعد النقود فوجدتها ثلاثة آلاف دولار أمريكي.. وفجـأة جاءت نشرة الأخبـار.. المذيع يستهل النشرة بقيام الزعيم بزيارة أحد معسكرات الجيش..،

وكدت أسقط من فوق مقعـدي لقد كان «أبو هند» الذي كنت معه مسـاء تلك الليلة.. كان يتـحدث بصوته الجـهوري مـستحـثاً جنوده وضباطه بالجاهزية القـتالية لمواجهة العدو الصـهيوني.. إنه الزعيم.. ياه.. لقد قضيت ليلة باردة نائمة بجواره.. واكتشفت فى تلك الليلة كم أنا جاهلة فانا لم اعـرف رئيس البلد الذي كان بجواري، بل لعلي لم اصدق أنه هو بشحمه ولحمه.

فيما كـانت الثرثرة تتدفق، كان إبراهيم كالمصعـوق مما يسمع ومعه أيوب.. فيـما كـان عبـدالغني يراقب الطريق ويتأكـد من خلوها من دوريات الجند والعسس..

كانت الأبصار شاخصة تجاه حالية تستحثها على قول المزيد..

حالية: أعرف فضولكن يا ساقطات.. سأحكي عما حدث..

من منظر الجدية الذي كان بادياً على وجـه الزعيم فقد قلت إنه لن يتذكرني وأن كل ما يهمه قضية فلسطين ومواجهة العدو الصهيوني.. وأثناء تفكيري رن جرس الهاتف.. رفعت السماعة.. سألني رجل: «أم هند.. عندكم؟».. وبسرعـة جهزت نفسي للقـاء المحموم.. وذهبت إلى حـيث تنتظرني السـيارة.. كـانت سـيارة مـختلفـة عن سابقتـها.. لكن السائق كان هو الذى أقلنى في الصـباح أثناء عودتى للمنزل ويعتبـر أكثر الاشخاص قرباً للزعـيم .. وانطلقت بي السيارة

حيث كان الزعيم ينتظرني في قصره.

ترتشف الويسكي وتشعل سيجارة.. وتلتمع عيناها أكثر.. وتواصل حالية حديثها وسط إصغاء صويحباتها:

وما إن دخلت عليه حتي وجدته في حالة نشوة عالية لم أتوقعها.. خصوصاً وأن البلد مهيأة لمواجهة وضع حربي فطلب من سائقه الخاص منع الاتصال به أياً كان المتصل..

وانصرف السائق..

رفعت النقاب.. فبدا وجهي.. وأسدلت شعري.. والتصقت به في الفراش الوثير.. وقلت له: سمعت خطابك أمام ضباطك وجنودك وحثهم على الاستعداد لقتال العدوالصهيوني.. فأدركت أنك ستنشغل بهموم الحرب وتنساني..

لكنه قال لي: ما هذا الذي تحكينه.. هذا كلام سياسة للشعب وللاستهلاك الاعلامي فقط.. ليس هناك معركة ولا حرب ولا يحزنون.. وهل أجرؤ على محاربة أمريكا وإسرائيل معاً؟!

أضافت حالية: لم أصدق ما سمعته من الزعيم.. لكني أظهرت له ارتياحي كي يطمئن لي..

وقلت له: ماذا لو أن قضية فلسطين تم حلها بإعلان دولة فلسطين.. ماذا ستقول للشعب؟

أطلق الزعيم ضحكة مجلجلة.. لكنها ماكرة وساخرة وقال لي:

آه منك يا ماكرة.. يا ملعونة.. كم لك من قضايا.. وقتها نطالب بحقنا في جزء من أراضي المريخ

ضحكت من كل قلبي وضحك معي.. وشربنا معاً ذات المشروب الذى يسميه شراب الملوك.. ولكنه اشبعني جنساً.. قضينا ليلة حمراء أمتعني فيها وأمتعته.. وبلغنا النشوة ثلاث مرات متتالية..

وفي الصباح تناولنا الفطور معاً، ثم تركني عدة دقائق وعاد كالثور الهائج.. أخذ يتمتم بكلمات لم أفهمها، وبعد أن هدأته - بطريقتي الخاصة - قال لي: هذا المعتوه أخي جاءني هذا الصباح من دون موعد سابق يطلب منحه مزيداً من الصلاحيات والمسؤوليات.

وفجأة تنظر حالية في ساعتها فترى أنها تشير إلى الخامسة فجراً.. فقالت لرفيقاتها: سوف أكمل لكن بقية الحكاية في الليلة القادمة..

في هذه الأثناء كان إبراهيم وعبدالغنى وأيوب في حالة ذهول مما سمعوا، ثم توجهوا لمنازلهم قبل أن تشرق شمس اليوم الجديد..

بعد أن خلدوا عدة ساعات إلى نوم عميق التقوا ثانية لوضع خطة دقيقة لمراقبة بيت حالية، وعرفوا أن سيارات عسكرية ومدنية أحاطت بيتها واقتحامه، لكن هذه المجموعات خرجت من دون اعتقال أي واحدة منهن، وأدركوا أن حالية اتصلت بالكبار الذين أمروا بخروج الجند على الفور.

أثمرت اتصالات حالية عن ضرورة عقد اتفاق صلح بين المقدم محسن وحالية، وتعويضه مالياً ونقله فوراً من موقعه وإبلاغ حالية بضرورة تنظيم عمل شبكتها بعيداً عن شارع الزعيم.

واستطاع اسماعيل استخراج ثلاث دعوات من نقابة المعلمين

لحضور اجتماع الزعيم، وأبلغ ابراهيم الذي قال بغضب وعصبية: انهم فاسقون.. مخنثون.. أنذال.. أي بشر هؤلاء الذين يتفقون مع الساقطات.. عليهم اللعنة..

ينبري «قائد» من وسط رفاقه قائلاً: كل هذه الأخبار المخزية سوف نفضحها بنشرها في منشورات خاصة لأن الساكت عن الحق شيطان أخرس..

- إبراهيم: سأقوم مع اسماعيل وعبدالغني بعقد لقاءات مع قادة الأحزاب المعارضة المعروفة بإخلاصها لقضايا الرعية لمعرفة آرائهم حول هذه القضية.

- عبدالغني: سنبدأ بكتابة المنشورات بحيث تخلو من أسماء بنات الليل، على أن يقوم الأخوة أيوب وقائد ومنصور بإعداد المنشورات والبيانات ومراجعتها.

- إبراهيم: أحسنت، فأيوب لديه موهبة الكتابة، وسأحرص على اصطحابه في أثناء لقائي برئيس حزب «المحرومين»، الذى يقود المعارضة حالياً.

- قائد: هل تدرون أن أم الزعيم تزوجت اكثر من رجل.. إنها شرهة جنسياً.. وسوف أكلف أحد زملائي بكتابة قصة قصيرة رمزية تحمل هذا المعني وتوزيعها في كل المدن مع منشوراتنا..

- إبراهيم: إنني أفكر في جميلة..

- قائد: هل بعت قضية الوطن لترتمي في أحضان ساقطة؟

- إبراهيم: إن جميلة لو تعرفت بها سوف تقودني إلى حالية..

كبيرة إلساقطات.. ومنها أعرف أسرار الزعيم..

- اسماعيل: لا تدخل عش الدبابير..

- عبدالغني: دعوا هذا الأمـر لى.. أنني أثق في اختيار إبراهيم، فهو لا يفكر بعاطفة في جـميلة، بل يفكر في اختراق منظومة السلطة والنظام لكي نجمع معلومات عن الفساد الكامن في القصر الجمهوري، وكذلك فـساد كـبار رجالات الحكـم الذين ينهبون ثـروات الشعب، ويضيعون المال في أحضان الداعرات.

قال إبراهيم: إن أفـضل مكان نجمع منه المعلومات هو بيت حـالية حيث يخلع رجال السلطة ملابسهم وأسرارهم في وقت واحد.

هز عبدالغني رأسه موافقا، ولسان حاله يقول: على بركة الله..

❖ ❖ ❖

الفصل الرابع

اتجه ابراهيم لحزب «المحرومين» فالتقي برئيسه، فيما اتجه اسماعيل للقاء زعيم حزب «العدالة والكرامة»، وعبدالغني إلي حزب «الغد»..

وبعد عودتهم اكتشفوا أن هذه الأحزاب متنافرة وأن سبب التنافر هو الزعيم الذي يوسع هوة الخلاف بين هذه الأحزاب، ويصفها بأنها أحزاب مستوردة، واكتشفوا أيضاً أن قيادات هذه الأحزاب قيادات هرمة، عفا عليها الزمان، وأنها لا تختلف عن حزب الزعيم إلا في الأسماء فقط!

وأخذوا يتساءلون: أين الثورة.. هل أكلت الثورة أبناءها؟ لماذا يتركون الرعية من دون رعاية واهتمام.. ولماذا يتحول الثوار إلى ثيران هائجة كل همها التهام ثروات البلاد ونهبها؟!

واتجهوا لمنزل أيوب وتناولوا الغداء معه واتجهوا متفرقين إلي حيث اجتماع الزعيم بالرعية احتفالاً بالذكرى السنوية لاغتصابه الحكم في جمهورية نهبستان.

الطريق كان حاشداً بالجند والعربات المصفحة ورجال الاستخبارات، وتزداد القوات كثافة كلما اقترب مكان الاجتماع.. وتمكن ابراهيم واسماعيل من الدخول..

جلس الحاضرون داخل القاعة المكيفة وكأن على رؤوسهم الطير.. صامتون.. كأنهم تماثيل يونانية تنتظر إله الحرب..

بعد ساعة دخل الزعيم وسط عاصفة مدوية من التصفيق، فيما وقف عدد كبير من الشباب يرددون: يعيش زعيم جمهورية نهبستان

الديمقراطية.. وردد الحضور هذا الهتاف فيما كان الزعيم وبطانته يبتسمون للحضور ثم أمرهم بالجلوس..

يتقدم وزير الداخلية ويهمس في أذن الزعيم الذي يستمع بإنصات لدقيقة ثم يبادله الهمس ويأمره بالانصراف..

مذيع الحفل الذي يظهر على شاشات التليفزيون دائماً قال:

في هذه الذكرى العطرة نحتفل بمرور ربع قرن على تولي الزعيم قيادة الحكم في جمهورية نهبستان الديمقراطية..

يقاطعه بعض الشباب الذين حصلوا على مبالغ مالية لكي يؤدوا دورهم في الهتاف:

يعيش الزعيم.. يا.. يا.. يعيش الزعيم..

مذيع الحفل: أدام الله المخلصين لجمهورية نهبستان وعلى رأسهم الزعيم.. قائد مسيرة التنمية الشاملة.. قائد عهد الرخاء والرفاهية والثراء الذي نحيا فيه جميعاً.. ان انجازاته فاقت المعدلات والتوقعات العالمية إنه ليس زعيماً لجمهورية نهبستان الديمقراطية، بل هو زعيم لكل العرب..

هتاف: يعيش الزعيم.. يا.. يا.. يعيش الزعيم..

المذيع: ان تجربتنا الديمقراطية والتي أرسى قواعدها الزعيم مثال يحتذى به في العالم العربي وفي العالم أجمع..، فها هى رايات الحرية وحقوق الإنسان والديمقراطية شاهدة على إصلاحنا السياسي.. والأسعار في انخفاض مستمر.. وأرصدة الشعب اكتظت بها بنوكنا

الوطنيـة والبنوك الأجنبـية. . . كـان المذيع يلحن وينغم كلمـاته وبدا وكأنه يريد أن يرقص على ايقاعها. .

هتاف: يعيش الزعيم. . يا. . يا. . يا. . يعيش الزعيم. .

يتقدم نقيب الصحفيين بابتسامته الملتصقة دائماً بفمه قائلاً:

لم تشهـد الصحافـة حرية إلا في عصر هـذا الزعيم. . فلم تغلق جريدة ولم يقصـف قلم ولم يعتقل أي صحفي بجـمهورية نهبـستان الديمقراطية. . لقد وعد فأوفى. . وعقد العزم فأنجز. . هنيئاً لنا بزعيم العرب. .

هتاف: يعيش الزعيم. . يا. . يا. . يا. . يعيش الزعيم. .

في هذه الأثناء دبت حركة في القاعـة وبدت بعض الهمسات كان بعض الأفراد يتـداولون عدداً من المنشـورات أثناء هذا الهرج. . فيـما كان بعض المخبـرين بملابسهم المدنية يحاولون جمعـها. . ولكن جزءاً كبيراً مـنها كان قد اختفى واندس في الجـيوب بدون أن يتمكن الناس من قراءتها.

وزير الاعلام وبعصبية يمسك بالميكروفون ويقول:

لاحظ فخامة الزعيم منشورات تم توزيعهـا الآن، وقد أمر فخامته بعدم جمعها «او اعتقال اصـحابها لأنه قائد مسيرة حرية الرأي وراعي الديمقـراطية. . فليكتب المعـارضون مـا شاءوا. . إنهـا ضريبـة الحرية والديمقـراطية. . وعندي لكم مـفـاجأة: فـالزعيم قـد جاء اليـوم لا ليـتكلم. . وإنما يسـتـمع من أبـنائه. . من عـامـة الشـعب. . نبض

قلوبهم.. وكل من يريد التحدث يسجل اسمه في هذا الدفتر.

- هتاف: يعيش زعيم جمهورية نهبستان.. يا.. يا.. يا.. يعيش..

ستون شخصاً سجلوا أسماءهم.. كان إبراهيم واسماعيل من بينهم.

تحدث البعض عن الفساد الذي استشرى في كل قطاعات العمل وأفاضوا في الحديث عن الفقر المدقع الذي يعيش فيه عامة الشعب، وانعدام الأمن والأمان ومصادرة الحريات وشراء القضاء والمثقفين والأدباء والصحفيين ورجال البنوك.. تحدثوا دون المساس بشخص الزعيم من قريب أو من بعيد.. كثيرون تحدثوا عن فساد رئيس الوزراء أو اهمال وزير المالية أو اضطهاد تمارسه وزارة الداخلية، لكن احداً لم يشر إلى دور الزعيم فى هذه الفوضى السائدة في البلاد وجاء الدور على إبراهيم ليلقي كلمته أمام الزعيم..

- إبراهيم: اسمح لي يا سيادة الرئيس ان اتكلم بصراحة، وانا لا أنافق أو أجامل بعبارات المديح، فالأزمة ليست في وزير أو وزارة، ولا في مسؤول صغير أو كبير بل في السياسات العليا التي ترسمها سيادتكم، وفي الخطوط الرئيسية وسيادتك تتحمل المسؤولية الأولى والكاملة والمباشرة عن كل ما يحدث، فأنت تقوم بتعيين المساعدين الكبار والصغار، وأنت وحدك تتصرف في أموال البلد.. والشائعات كثيرة وأولادك وأقاربك يسيطرون على ٩٠٪ من اقتصاد جمهورية

نهبستان، وسيادتك وحدك الذي يشجع على انتهاك الحريات، فكم أغلقت من جرائد وقصفت أقلاماً كثيرة، وأودعت صحفيين السجون والمعتقلات، لكنك دائماً تصرح بعكس هذا تماماً..

أنت جاثم على صدورنا منذ ربع قرن تتصرف في جمهورية نهبستان كأنها عزبة خاصة بكم.. إن الأسعار ملتهبة والبطالة طالت ملايين الشباب.. والفقر دفع بعض النساء لاحتراف العمل كخادمات في البيوت واحتراف الدعارة.. والموظفون يرتشون علناً.. لا فرق بين كبيرهم وصغيرهم.. والشريف منهم يتسول أمام أبواب المساجد أنت ولأكثر من ربع قرن تتصرف بالوطن وكأنه ضيعة خاصة بكم فأين العدل وأنت على رأس القضاء، وكاتم على الكل؟ إلى متى هذا الظلم.. إلى متى؟ جلس إبراهيم، وقد بلغ به التعب لكن صديقه اسماعيل قام ليستكمل عرض الرأي المعارض..

- اسماعيل: أصابع الاتهام موجهة إليكم، الناس يقولون انك من تشجع الارهاب وتدعي أنك تكافح الارهاب من خلال أحاديثكم مع وسائل الاعلام.. فأنت تستخدم شبكات الارهاب ضد خصومك السياسيين وغير السياسيين.. أين رؤوس الفساد التي زعمت أكثر من مرة أنك ستقدمها للمحاكمة.. انهم أحرار طلقاء.. يرتعون ويفسدون ويدعون أن لهم كبيرهم..

خيم سكون وصمت رهيب على القاعة بعد حديث ابراهيم واسماعيل.. وقطعت السكون فتاة اتجهت للميكروفون بكل ثقة وثبات قائلة:

- أنا أماني.. وأبدأ قولي «بسم الله الرحمن الرحيم. ان الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون».. صدق الله العظيم.

لماذا يبدأ افتتاح اللقاء باسم الزعيم وباسم الثورة وليس باسم الله؟ كأننا لسنا دولة مسلمة وعربية.. على كل حال أقول: صلوا على النبي..

تتردد في القاعة: اللهم صلى وسلم وبارك عليه..

- أماني: تخرجت في كلية التربية.. وعملت في مدرسة ثانوية.. وبعد عامين اكتشفت فساد ادارة المدرسة، فهى تتلاعب بالنتائج وتضيف درجات كثيرة لأبناء المحظوظين أو المحظيين في الدولة ولأبناء الأثرياء،

ترفع أماني النقاب عن وجهها فتكشف عن جمال باهر.. وتواصل حديثها..

- أماني: وأبلغت الادارة التعليمية بوجود الفساد في إدارة المدرسة، فقرروا تشكيل لجنة تحقيق مع منحي إجازة وصرف راتبي، وقد مرت ثلاث سنوات ولم تنته التحقيقات بعد.. ولا تظنوا أنني بشرحي ظروفي أرجو حل مشكلتي أو طلب الوساطة لإعادتي لعملي، فأنا في غنى عن الوساطة حتى لو جاءت من الزعيم.. انني لا أنتمي لأي حزب.. حزبي الحقيقي هو وطني.. وواصلت أماني حديثها بينما قلبها يرتج من شدة الانفعال:

لماذا لم نتحول من الشرعية الثورية إلي الشرعية الدستورية؟

لقد قامت الثورة وتم اقصاء الملك فـجاء نظام جمهوري، لكننا لا نشعر أننا في نظام جمهوري.. كـانت حقوق الانسان منتهكة، وكان قمـع الحريات ونشـر مظلة الفسـاد والاستـبداد من الملك وبطانـته.. الوضع لم يتغـير الآن إلا في المسمى.. رحـل الملك وجاء الرئيس.. ولكنكم لا تتـعظون من الحكمـة القائلة: لودامت لغـيرك مـا وصلت إليك..

يزداد توتر الحـاضـرين وينظرون للـزعـيم الذي يـسـمح لهـا بالاستمرار..

أماني: هل من المنطقي أن تكـون نتائج الانتخابات الرئاسـية ٩٩٪ أو ١٠٠٪.. هل هذا معقول.. إن الله جل جـلاله لم يحظ بأغلبية ١٠٠٪.. فمـن الناس من آمن ومنهم من كفـر.. أيضاً رسـول الله صلى الله عليه وسلم.. قد دعا الناس.. فمنهم من أسلم ومنهم من ظل على كفره.. فهل الزعيم أفضل من الله وأفضل من رسوله صلى الله عليه وسلم؟!

إن التزوير واضح كالشمس.. وهذا ما تظهره تقارير الأمم المتحدة التي تقول إننا نتمتع بانعدام المصداقية فى عملية الإصلاحات السياسية والاقتـصادية والاجـتمـاعية وغـيره.. أي انعـدام سلطة دولة النظام والقانون.. وانعـدام تداول السلطة.. فأنت على كـرسي الرئاسة منذ ربع قرن.. فهل عقمت أرحام النساء في جمهورية نهبستان عن انجاب

شاب يصلح لقيادة البلد.. وإلى متى سيظل الزعيم يعلن أننا نقيم دولة النظام والقانون.. دولة العدالة والمساواة.. دولة الحرية والبناء.. دولة الديمقراطية؟

يا ناس لقد سئمنا من محاولات وسائل الإعلام الرسمية والتابعة في العمل على إضعاف الشخصية الوطنية لمواطنينا وإسقاطها فى شخصية الرئيس أو الزعيم.. وكم قرأت من كتب التاريخ فلم أجد ما يشير إلى مثل تلك الحالة، حتى الحبيب وسيد المرسلين وخاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم لم يكن يوماً يحاول إسقاط شخصيته على أتباعه ومن ثم أمته، لذا ارحمونا ودعوا رحمة الله تنزل علينا ولا تحاولوا أن تصدوها أو تحجبوها عنا نحن الرعية.

وأختم مداخلتي بالسؤال إلى متى سيظل يعلن الزعيم ومساعدوه عن جهودهم فى تأسيس دولة النظام والقانون.. دولة العدالة والمساواة.. دولة الحرية والبناء..! إننا نطالبكم بأن تحددوا لنا وقتاً معيناً لتأسيس قواعد الدولة الديمقراطية.

وقبل أن أنصرف أقول: هل هناك من أمان لي ولمن سبقوني؟

وتلك هى أحد مؤشرات ممارسة الحرية والتعددية الفكرية التي يعلن دائماً الحكم أنه يحترمها ويحميها، نحن فقط نطالب بالاحترام كبشر وليس لنا من طموحات شخصية وأشكر لكم على حسن اصغائكم.

وبعد أن أنهت الفتاة حديثها حظيت بتصفيق حاد من بعض الحاضرين استمر حتى عودتها لمقعدها، ثم تحدث الزعيم بالقول:

- الزعيم: برافـو. . برافو، هذا هو الشباب الذي اريده، شـباب جرىء مـتحمس، وانا رجل ديمقـراطي اسمح واسـمع للرأي الآخر، واحترم اجتـهادات الشباب، وأنا مصمم على السـير في طريق العدالة والديمقراطية ومواجهة الفساد. .

صـمت الزعيم برهة ثـم واصل حديثـه: نكتـفي بهذا القـدر من المداخـلات. . وأنا سـعيـد جـداً بالحـوارات التي دارت وبالذات من الشباب الذين أعتبرهم عمـاد المستقبل. . واعترف أمامكم: نعم هناك أخطاء في أجهـزة الحكم وهي سبب الفسـاد. . وأرفض التشكيك في الثورة وأهدافـها. . وأؤكـد لكم أنه لا توريث للحكم. . فقـد مضى عهد الملكية إلى غير رجعة. . وهناك معلومات مشوشة عن جمهوريتنا تبثها جـهات معادية إقليمية ودولية. . وأؤكـد لكم أنني لست حاكماً لهذا البلد، بل خادم لها. . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. .

تضج القاعة بالتصفيق ويهتف المأجورون:

تعيش جـمهـورية نهبسـتان. . يعيش الزعـيم. . يا. . يا. . يا. . يعيش. . !

ذهب إبراهيم للفتاة وسلم عليها ودس في يدها ورقة وقال لها:

فرصة سعيدة يا أماني. .

انصرف ابراهيم واسماعيل فرادى مع المنصرفين لتأكدهما من مراقبة الأمن لهما. .

بعـد أربعة أيام قـام الشبـاب بإصـدار نشرة أسـموها «النجـدة».

أحدثت دوياً هائلاً في كل قرى ومدن جمهورية نهبستان. . وسارعت الصحف الحكومية باتهام أحزاب المعارضة بإصدار النشرة. . فيما هرولت صحف المعارضة تنفي عن نفسها هذا الاتهام الذي وصفوه بـ «البشع»!.

قامت أماني بالاتصال بإبراهيم هاتفياً الذى انفرجت أساريره بسماع صوتها. .

- أماني: هل أنت من أصدر النشرة؟

- إبراهيم: أحرار البلد كثيرون. . أريد مقابلتك. . متى وأين؟

- أماني: في مقهى الحرية في الثانية ظهراً.

خرج ابراهيم وتردد على عدة أندية ثقافية ليضلل العسس عن وجهته الحقيقية. . ودخل عدة محلات تجارية لم يشتر منها شيئاً. . فأرهق من يراقبه. . وكذلك فعلت أماني. . وأخيراً التقيا في مقهى «الحرية». .

- ابراهيم: حاولت تضليل من يراقبني فدخلت أماكن كثيرة كي أرهقهم. .

- أماني: وقد فعلت مثلك. . لكن قل لي: هل أنت من أصدرت نشرة «النجدة»؟

- ابراهيم: أصدر النشرة مجموعة من الشباب يعملون بسرية تامة. . ويشرفني أن تنضمي لنا. . كما أرجو أن يكون هذا الكلام سراً بيننا. .

- أماني: سرك في بير. . سأنضم إليكم مع عدة فتيات ثائرات

على أوضاع البلد المترددية.

- إبراهيم: خذي هذه الورقة.. بها هاتف عملي وهواتف أقاربي وزملائي حيث سأكون معهم.. احفظيها جيداً في ذاكرتك ثم احرقيها فوراً..

- أماني: وهذه الورقـة بها هواتف أقاربي وهاتف عـملي واسمي «الكودي».

- ابراهيم: أتوقع أن يداهم الأمن منزلي ومنزل اسماعيل.. اتوقع اعتقالنا في أية لحظة.. انكري معرفتك بنا.. وإذا طلب منك العسس التعاون معهم فسايريهم واقبلي لتعرفي أهدافهم الحقيقية..

- أماني: أنت تقلقني بشـأن قرب اعتقالك واعـتقالنا.. لكن لنا الله..

يفترقان كل منهما في طريق..

يتصل ابراهيم باسـماعيل وأيوب وحـددا موعداً في مقـهى بشارع الزعيم.

في أثناء تنـاولهم الشـاي حكى لهـمـا ابراهيـم مـا دار بينه وبين أماني.. وغادر كل منهم في اتجاه..

توقف ابراهيم فجأة أثناء سيره والـتفت إلى الشخص الذي يراقبه، وقال له: أنا آسف لأني أرهقتك كثيراً.. فتحركاتي كثيرة..

تردد الرجل في الرد عليـه.. لكنه قال: أنا عـبدالمأمـور.. ومنذ بدأت أراقبك لم أجـد عليك ما يثـير الشكوك ضـدك.. وقد طلبت

منهم رفع المراقبة عنك لأن جيرانك أشادوا بك وقالوا إنك وأهلك موضع حب واحترام الحي بأكمله، لكن حديثك الثوري الساخن مع رئيس الجمهورية جعل الأجهزة تضعك تحت المراقبة حتى تعرف اتجاهاتك السياسية، ومن الذي يعمل معك ومن الذي يمولك، لكن المراقبة اثبتت أنك شاب وطني ليس لك علاقات مع أحد وأتوقع رفع المراقبة عنك خلال ساعات..

إبراهيم يندهش مما قاله الرجل.. فقال له:

يبدو أنك رجل أصيل ومن أسرة عريقة.. فحديثك ينم عن نبلك وكرم أصلك ومنبتك..

يمد الرجل لإبراهيم بطاقة بها اسمه وهاتفه ووظيفته نقيب في الأمن الداخلي للعاصمة.

يشكره ابراهيم ويدعوه لمنزله ولكن النقيب يعتذر شاكراً..

يتصل النقيب برؤسائه طالباً رفع المراقبة عن ابراهيم فيوافقون..

بعدها يصعد الرجل لابراهيم ليبلغه برفع الرقابة عنه.. فيشكره ابراهيم قائلاً: أنا متأكد من كرم أصلك.. شكراً لك..

لكن ابراهيم ظل منقبضاً.. فهذا البلد به أكثر من سلطة وكل سلطة لها معتقلاتها وأجهزتها الأمنية الخاصة، بل أن كل شيخ قبيلة لديه سجن خاص في قصره أو في مزرعته لا يعلم عنها وزير الداخلية شيئا، هناك سجن محفور في مزرعة تحت الأرض وبه بعض المواطنين الذين احتجوا على نهب اراضيهم على يد أحد شيوخ قبيلة الزعيم.

في الرابعة فجـراً يتم اقتحام بيت ابراهيم فيتم اعـتقاله، وفي ذات الأثناء يتم اعتقال اسماعيل..

في هذه الساعـة يكون العابدون مسـتيقظون لقيـام الليل، ورجال المباحث لإلقاء القبض على المغضوب عليهم!

❖ ❖ ❖

الفصل الخامس

وقعت المفاجأة كالصاعقة، مفاجأة بلون وطعم الإهانة، لم يكن أحد يصدق أن هذا يمكن أن يقع، وان الكارثة كانت متخفية، وراء الستائر في انتظار اللحظة المناسبة..

إهانة ضخمة صفعت جمهورية نهبستان، فقد قامت دولة صغيرة مجاورة لها بالهجوم العسكري على جزء منها واحتلت عدة كيلومترات، وقتلت واسرت عدداً من جنودها وبسرعة البرق طار الخبر للزعيم الذي حشد الوزراء وكبار المشايخ لتداول الأمر واتخاذ القرار المناسب.

كانت الرعية قد تداولت الأمر بالتهكم الشديد على الزعيم وبطانته الذين يتشدقون ليل نهار بقوة جيشهم وأسلحتهم الفتاكة ورجالهم الجبابرة الذين يستنزفون ميزانية البلد،

وقد جاء الزعيم من هذا الجيش الذي خاض معارك كثيرة خرج منها منتصراً.. كما يدعي..

لكن مع فساد الحاكم وبطانته ولهوهم وعربدتهم تراخت قوى الجيش، ما دفع تلك الدولة الصغيرة للإقدام على فعلتها أو للطمع في أراضي دولتنا التي كنا نظنها قوية وثابتة.

في مقهى شعبي دارت هذه الحوارات بين عدد من المواطنين..

- عشنا وشفنا زمن الأقزام.. والله لن نتسامح مع قيادة جيشنا على تخاذلهم المهين.. لقد مسحوا بتاريخ شعبنا وجيشنا الأرض..

- يا أخي حاول تفهم.. فبلدنا محاصرة منذ عشر سنوات.. اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً.. ولقد نبذنا الأشقاء العرب

والأصدقاء.. العيب ليس فينا.. بل فيهم لأنهم لا يريدون أن يفهمونا.

- السبب في الزعيم والحكومة.. فهم فاسدون ومفسدون ويرفضون الإصلاح السياسي الذي هو أساس كل إصلاح.. هم السادة وبقية الشعب عبيد..

- هذا هو المتوقع من أمة يحكمها جهلة ولصوص

- كفانا.. من واجبنا أن ندافع عن وطننا مهما كانت الأسباب..

- دعك من هذه السخافات.. إنها شعارات هوجاء وقديمة.. إن قيادة البلد هى المسؤولة عما حدث.. فهم يتمتعون بثروات البلد وكأنها عزبة خاصة بهم.. وهم يمارسون الإرهاب على كل طبقات الشعب..

- هل معنى هذا أن نستسلم ونقبل الأمر الواقع؟

- إن سكوتنا على حكومتنا أظهرنا للآخرين على أننا شعب جبان.. لذا حدث ما حدث من جارتنا الشقيقة.. بالعربي وبالبلدي.. بلد مافيهاش رجالة..

- ألم أقل لكم إن السبب في قيادة البلد.. إنهم مارقون.. خرجوا عن مبادئنا وعاداتنا وتقاليدنا.. كل همهم الاحتفاظ بمناصبهم حتى لو كانت على أطلال هذا البلد.

- وماذا سيقول عنا أولادنا من بعدنا.. هل نترك بلدنا محتلة.. كيف نفرط في وطننا.. إن كانوا هم قبلوا فنحن لن نقبل وسنحمل السلاح.

- يا أخي اسكت.. انت ما تستحي على دمك.. كفاية شعارات.. شوف كيف كنا بالأمس وكيف أصبحنا اليوم.. أين مباديء الثورة التي اغتصب بها الزعيم وعصابته الحكم.

- اسكتوا جميعاً.. يا صاحب المقهى.. أيها المنحوس.. هات الورق لكي نلعب.. ملعون أبوها بلد..

في داخل القصر الجمهوري، ووسط الوزراء والشيوخ اخرج أبو العسر شريط كاسيت وطلب من أحد الحراس احضار جهاز كاسيت كبير لكي يعرض على الرئيس ورجاله ما يدور في الشارع حول الحادثة - المفاجأة - واستمع الحاضرون إلى الحوار الذي دار قبل قليل في المقهى، وكانت اجهزة الأمن قد سجلته..

يخرج أبو العسر الشريط من الجهاز.. فيما كانت العصبية والقلق والتوتر بادية على وجوه الجميع، الذين لم يصدقوا ان الجيش المجاور والمكون من الحفاة والعراة يمكن أن يهزم جيشهم ويحتل احدى الجزر الهامة.

يقطع أبو نبهان الصمت قائلاً: هذا الملف يضم آخر التطورات

يقاطعه أبو العسر - كبير المشايخ - محتداً:

والله إنك وجه المصائب.. أنت لا تنفع في أي عمل.. ما أدري ما فائدة استمرارك.. ما في مصيبة تحل على دماغنا إلا وأنت تتكلم وتتفلسف وتبررها.

- أبونبهان تعلو ابتسامته المرسومة على وجهه:

أمرك يا سيدي على العين والراس.. وكلك نظر ومفهومية..

والله يا سيدي.. واقسم بشرفي اني ما باعمل غير لصالح تثبيت دعائم حكمكم.. وأنا في خدمتكم دائماً وقد خبرتنى أننى وفياً ومخلصاً لكم.

يتدخل الزعيم بأدب:

- سيدي أبو العسر.. إن أبا الأكرش أثبت إخلاصه لنا خلال فترة عمله.. أرجو أن ترضى عنه يا سيدي، لأننا الآن في وقت أزمة، ونحن في حاجة إلى الوحدة والتضامن.

- أبو العسر: يا الله.. جني تعرفه أحسن من إنسي لا تعرفه.. هيا يا صعلوك قل ما عندك وخلصنا، خلصت روحك.

- أبو نبهان يفتح ملفه ويقرأ:

لقد استغل جيراننا أوضاعنا الاقتصادية بعد حروبنا المقدسة وأرادوا أن يفرضوا علينا شروطاً مجحفة أثناء التفاوض على حدودنا المشتركة بفرض الأمر الواقع، وبالتالي سيطرتهم على ما استولوا عليه بالحيلة أو بمشاركتنا في بعض المواقع المهمة خصوصاً وأنهم دائما ما يغمزوننا بديوننا لهم التي قدموها لنا في الماضي كمساعدات برغم رفضنا الدائم والمشرف لادعاءاتهم الباطلة، فنحن ومن توجيهاتكم نتعامل معهم كأشقاء لا أعداء.

وواصل كلامه: إن استخدام جيراننا للأسلوب العسكري بهدف فرض الأمر الواقع يتوجب علينا الأخذ في الاعتبار العديد من المواقف المترتبة والتي يجب تقييمها بعناية ومن ثم قيام سيادتكم باتخاذ القرار المناسب.

الموقف الداخلي: انقسمت الرعية يا سادتي في مواقفها إلى قسمين، قسم يرى بأن يتم التعامل مع جيراننا بنفس أسلوبهم مع التأكيد على ضرورة تأديبهم وهؤلاء يشكلون ثلثي الرعية، والقسم الآخر يرى بأن التعامل مع جيراننا من مؤيدينا الأشقاء والأصدقاء يتم عبر الحوار خصوصاً أن علاقة جيراننا بالأشقاء والأصدقاء متميزة، ومن جانبنا فإني أرى بأن نهيىء القسم الأول إلى جانب رفع الجاهزية القتالية لجيش جلالتكم مع استخدام لغة سياسية مغلفة بالتهديد من جهة ومن الجهة الثانية ندخل معهم في حوار وبوساطة من بعض الأصدقاء والأشقاء المؤثرين عليهم فإن رفضوا وتعنتوا شهدنا عليهم الوسطاء وحملناهم مسؤولية فشل حواراتنا والوساطة وحينها لن يلومنا أحد لو علمناهم دروساً في احترام الكبير وفضحناهم أمام العالم أجمع.

الموقف الإقليمي: إن وجهة نظر خبرائنا المتخصصين تقول إن جيراننا وبما يملكون من علاقات جيدة مع الأنظمة الإقليمية قد يستطيعون تقسيم المنطقة إلى قسمين: قسم يساند موقفها بنسبة ٨٥٪ وهو مؤثر اقليميا ودوليا وقسم آخر يساند موقفنا بنسبة ١٥٪ وهو غير مؤثر اقليمياً ودولياً. وموقف الأطراف الاقليمية يعاني من مشاكل داخلية وخارجية شبيهة بمشكلاتنا.. وفي الحالة التي يمكن ان نستخدم أسلوب القوة - المعاملة بالمثل - فقد نتعرض لهجمة سياسية وإقليمية لا نحمد عقباها.

أما الموقف الدولي: وكما تعرفون يا سادتي العظام لا يساعدنا، فمعظم الأطراف الدولية مسخرة لصالح جيراننا الذين يستخدمون

ثروات الأمة في شراء مواقـفهم السياسية، وإن كانوا يدركون حـقيقة موقـفنا وحقنا الشرعي في المنطقـة الحدودية، وبرغم ذلك لا يمكن أن يثقوا بجيراننا ولكن نتـيجة ضعف علاقتنا معهم أو انعدامـها سيجعلنا غيـر قادرين على مواجـهة تلك المواقف التي تؤكـد كل المؤشرات أن مواقفهـا مباعة للجيران مقابل امـتيازات عسكرية وسياسيـة واقتصادية وثقافية لا نستطيع التنبؤ بها.

كان كبير المشايخ يحرك رأسه بعـصبية تارة ويضرب رأسه بالعصى التي يحملها دائـما للاتكاء عليها أو ليضـرب بها معاونيه ومـساعديه وغيرهم، وتارة أخـرى يضرب العصا بالأرض كـتعبير عن غـضبه مما سمعه من تقـرير وزير الخارجية فيلتزم الصـمت وعيناه صوب الزعيم وكأنه يوجـهه باغلاق باب المناقـشة لأنه لا يحتـمل المناقشة مع أمـير الأسفار باعتباره صعلوكاً ومخادعاً.

يتحدث الزعـيم وهو فى حالة قلق وذهول مما سمعه فـقال بصوت حاد:

قلت لك أكثـر من مرة إني لا أهتم برأي الرعـية فأنا كـفيل بهم، وأيضـا الموقف الإقليـمي لا يشغلنـي كثـيراً لأنـي أعرف أنه مـرتبط بالموقف الدولي، وهو الذي يهمني، وتقريرك لا يحمل أي مقترحات بهـذا الاتجاه وهذا يعني أنك مع اسـتخـدام القوة أليس هذا مـا تريد قوله؟

- أبو نبهان: الشور شوركم والقرار قراركم يا سيدي.

الزعيم موجها كلامه لأبى الأكحل:

- يمكنك أن تأخـذ أبوالأكرش وتنتظـراني في مكتبك حـتى أنادي عليكم، واسـتدعي وزير الدفـاع أو رئيس الاركان حالاً ودعـه ينتظر معكم أيضا حتى أكمل اجتماعنا الخاص.

وما إن غادرا مكتب الزعيم، حتى صاح أبو اليسر:

- نحن الآن في خطر.. أنتـم عائلتي الـكريمة.. إن لم نسـتعـد ونخرج منتـصرين فـالويل كل الويل لنا.. وغداً نلتـقي في اجتـماع عائلي آخر..

- أبو العسر: غداً مـساء في قصري تجتمعـون.. وأحيطكم علماً بأنني أصـدرت أمر اعتـقال للصـعلوكين اللذين تحدثا عن العـائلة في اجتـماع أبو اليسـر.. هما الآن في سجـوني لتربيتـهما ومعـرفة أي الجهات تقف وراءهما..

- أبو اليسر: خيـر ما عملت يا سيدي.. لقد صبـرت عليهما فى الاجتماع لكنني كنت انوي اعتقالهما

- شقيق أبو اليسر من الأم وهو شخـصية نافذة في الجيش والحكم يقول:

عندما تنتهي من تحقيقاتك أرسلهما لي وسأريهما أصول التربية..

أبو العسر: أيها المشبـوه.. دعك من هذا الموضوع فأنا كفيل به.. وألا تشوفني ناقص؟

أبو اليسر: معاذ الله يا سيدي.. أنت سيدنا وتاج رؤوسنا جميعاً.

في مساء نفس اليوم عقد الزعيم اجتـماعاً آخر مع أقرب مساعديه في وزارتي الخـارجية والـدفاع لبـحث الأمر طبـقاً للمـستـجدات..

أجمعت كل الآراء على ضرورة الرد عسكرياً على دولة الجوار بعد عدة إجراءات دبلوماسية كتوضيح عدالة قضية جمهورية نهبستان وطلب وساطة دول اقليمية على تهدئة الموقف وعدم تصعيده أكثر واستمرار التأكيد على خيار الحوار، وقد تم الاتفاق على عمل مناورة سياسية بأن يكون الخطاب الإعلامي خطاب سلام وحوار وتفاوض بينما القرار الحقيقي هو شن الحرب لاستعادة الأراضي المحتلة.

❖ ❖ ❖

في ليلة اعتقال إبراهيم وإسماعيل كان عبدالغني يستمتع بأحضان وقبلات جميلة في بيت حالية، لم يكن يمارس معها الجنس بشراهة وشهوة، بل بحب وود شديدين، وبحنو بالغ يدل على عمق العلاقة العاطفية بينهما.

أحبته جميلة لأنه لم يفترسها كباقي زبائنها، ولذلك فقد دعته للبقاء معها والجلوس مع سيدتها حالية..

- جميلة: سيدتي حالية.. احكي لنا ما حدث بينك وبين الزعيم.. فعبدالغني ليس غريباً عنا.. بصراحة أنا أحبه وأموت فيه.

- أطلقت حالية ضحكة أنثوية بغنج ودلال قائلة: من أول مرة من أول نظرة؟

- جميلة: نعم.. من أول مرة.. احكي يا ست الكل..

خديجة: لا تحرمينا من خبرتك.. واعدك بحكاية قصتي مع إحدى الشخصيات النافذة في الحكم عندما تكملين قصتك المشوقة التي كلها فلفل وبهارات.

أشعلت حالية سيجارتها وأشارت إلى إحدى الساقطات التي هبت واقفة وصبت كأساً لكبيرتهن..

- حالية: ذات ليلة طلب مني أبو اليسر أن أغير مكان لقائي به..

فشرحت له ظروفي العائلية، فأمر سائقه بشراء فيللا والانتهاء من تأثيثها بسرعة.. وقلت له: إن زوجي ضابط في الجيش وأرجو أن تكرمه.. فسألني عن اسمه واسم وحدته العسكرية، فاتصل بسائقه وأملى له اسم زوجي ووحدته العسكرية، وطلب منه ابلاغ وزير الدفاع بترقيته.. فشكرته، فأخذ يقبلني بشراهة، لكنني أعرضت عنه.. فقال لي: ما بك يا حالية؟ فقلت له: إن هناك شخصاً علم بزياراتي لك وهو يراودني عن نفسي ويطلب معاشرتي جنسياً وإلا فضح علاقتي بك.. فسألني عن اسمه وعنوانه، وسرعان ما اتصل وأبلغه لسائقه أيضاً بالاسم والعنوان، ومن يومها ضاع هذا الشاب.. الله يرحمه إن كان ميتاً.

جميلة: المهم.. حصل إيه مع الزعيم؟

حالية: أهم من الزعيم زوجي.. فقدتم نقله إلى وحدة عسكرية حدودية وسلط عليه بعض العسس الذين علموه معاقرة الخمر ومصاحبة النساء وهو المعروف باستقامته وتمسكه بدينه، فلم يكن يترك فرضاً، لكنه تحول إلى مدمن خمر وجنس ووصل به الأمر إلى أن يلعب القمار وانقطعت اخباره عني تماما فلم يعد يأتي كالعادة ولا يتصل بي بعد ما وصلته انباء عن علاقتي مع شخصية كبيرة في البلد، واصلت حالية الحكاية وهي تدخن سيجارة:

بعد عـدة أسابيع كانت الفـيللا جاهزة وقد أمـر أبو هند ببناء هذا البيت الذي نجلس فيـه الآن من ميزانية الجيش. . وأثناء وجـودي معه في الفـيللا قرأت خـبراً ينعـي فيـه الجيش زوجي. . فـحزنت حـزناً شديداً. . لكنه حاول أن يـنسيني ويواسيني على طريقتـه، كان يُقبلني بكل شراهة وعاشـرني ثلاث مرات بقسوة وشـراهة. . وبعد أن انتهى من معـاشرتي طلبت منـه سيارة جـيب شيـروكي فقال لـي في الغد ستكون السـيارة لديك، ثم أعطاني ٢٠ ألف دولار وأخـبرني أن هذا المبلغ هو مكافأة عن مجهودات زوجي في خدمة الوطن!

غادرت الفـيللا مسرعة لأسـتقبل المعـزين في وفاة زوجي. . وفي اليوم التالي طلبني فذهبت إلى الفيللا وفوجئت بهدايا كثيرة أعدها لي وكان أغلبـها مـلابس داخلية مثـيرة. . وأثناء ارتدائي لإحـداها كان يشاهد التليفزيون ويطالع صور بعض مـساعديه ويسبهم بأبشع الألفاظ وأقبـحها. . ثم أغلق التـليفزيون وقـبل أن يلتهمني طلبـت منه تعيين بعض أقاربي، فوافق على الفور واقترحت عليه عدة أسماء منهم اسم أحد اصـدقائى الذي كنت أعـرفه أيام دراسـتي الثانوية وكان يـحبني ويتمنى الارتبـاط بي، فاتصل بسائقـه وأملى عليه الأسمـاء وأمره بان تذاع هذه الأسماء في نشرة الصباح. .

في تلك الليلة كنت أصب الخمر على نهديّ وكان هو يحتسيها من جسدي ويضحك كالأطفـال. . وبعد أن لعب الخمر برأسه هجم عليّ بطريقة شهوانية ومارس مـعي الجنس بشراهة ثلاث مرات حتى خارت قواه وخلد إلى نوم عميق. .

بعد ساعتين استيقظ فأخذ يداعب شعري ويتحسس جسمي.. فقلت له إن خالي كان يعمل في شؤون الخارجية والأمصار وهو يبحث عن عمل الآن.. فقال لي سوف أعينه فى احدى سفارتنا بالخارج.. واتصل بسائقه وأملى اسمه ليعين في احدى السفارات في دولة أوروبية.. ثم أخذني في حضنه ونام!

تشير حالية إلى إحداهن فتناولها كأساً وتشعل لها سيجارة.. تأخذ حالية نفساً عميقاً وتصب الكأس في فمها دفعة واحدة..

- خديجة: وما هى حكاية الفتاة التي تعرف عليها وكانت السبب في فراقكما؟

حالية: أسمها تهاني، كانت جميلة بحق، لكنها لم تكن أجمل مني، كانت فقط مصابة بداء الشبق الجنسي، كانت تحب الرجال، وتموت في الجنس.

خديجة: وكيف تعرف عليها؟

- حالية: ذات يوم زارني أبو اليسر من دون موعد سابق.. فجأة فتح الباب ودخل.. وجدني مع تهاني صديقتي.. وعرفتهما ببعض.. فأخذني إلى غرفتي وعاشرني فيما كانت تهاني خلف الباب المغلق وترى من الثقب ما يدور بيننا ويبدو أنها أعجبت بشبقه وفحولته.. وهو أيضاً أعجب بها.. ولدى مغادرته يبدو أنه قد دس في يدها ورقة بها هواتفه الخاصة ولكنني لم ألمح هذا لأنه طلب مني إحضار مسدسه الذي نسيه في غرفتي متعمداً.

تبدو علامات الحزن والغيرة الشديدة على حالية، فتطلب كأساً آخر

وتشعل سيجارة، والتمعت عيناها بدموع تحجرت في مآقيها فواصلت حديثها قائلة:

- لم أكتشف العلاقة بينهما إلا بعد ستة أشهر، فكان يلتقي بها، من دون علمي ثم باعد فترات التقائه بي، ولم أكن أعرف السبب.. وقد أهدى تهاني فيللا وسيارة فخمة وزوّجها لأحد أتباعه المخنثين الذي كان يأتي للزعيم ليعاشرها، فيما يقوم المخنث بحراسته، ونتيجة إخلاص هذا المخنث عينه أبو سبأ برتبة جنرال لقيادة وحدة عسكرية على الحدود..

- عبد الغني: سمعنا أن زوجة الزعيم الثانية عرفت العلاقة بينه وبين تهاني.. ما هي التفاصيل؟

- حالية: كان أبو هند في أسبوع العسل وسافرت معه زوجته إلى باريس وحجز جناحاً ضخماً لهما، وحجز جناحاً آخر مجاور لتهاني، وكان يتنقل بينهما، وما إن علمت زوجته حتي عادت لوطنها في ذات الليلة، التى عرفت بخيانته لها وفي صباح اليوم التالي لحقها بطائرته الخاصة من دون اصطحابه تهاني، ثم انتشرت هذه القصة بين الرعية فأخذوا يتندرون بها في جلساتهم الخاصة.

ثاني يوم من عودة الزعيم وزوجته اتصل بي وحدد موعداً في السابعة مساء، ثم اتصلت بي تهاني تستأذن فى زيارتها إليّ وحضرت تهاني قبل الزعيم بربع ساعة، فاعتذرت لي عن اختطافها الزعيم وسامحتها لأني كنت أعرف بأنه كان يلعب بذيله دائماً مع النساء اللواتى تعجبنه.

وتستطرد حالية:

وحضـر الزعيم وأخذ يُقبلني بشـراهة أمام تهاني التي بدت عليـها علامات الغـيرة والعصبية الشـديدة، وطلب مني أن أنصحه بما يجب عمله لتـسامحـه زوجته الثـانية، فقلت له يجب أن تتـوقف تماماً عن علاقـتك بتهـاني وأن تلبي كل طلبات زوجـتك الثانيـة، وأن تجعلني ألتقي بها، وأن تكثف فترات وجودك معها..

بعدها انصرفت تهاني، وانفـرد بي وعاشرني بشبق جنسي رهيب! وادركت في هذه اللحظة انني قد استعدته ثانية، وان تهاني صارت «ع الرف» أو صارت من الـدرجة الثانيـة، لن يلتفت اليـها مـرة أخرى، هناك نساء يحـبها الرجل مرة واحدة، وربما مـرات، وهناك نساء يظل الرجل يحبها حتى آخر العمر، وأنا من الصنف الذي يحبه الزعيم.

❖ ❖ ❖

الفصل السادس

في جمهورية نهبستان مساعد الزعيم.. زعيم وكل شيخ زعيم ولكل مساعد الحق في أن يصدر أمر اعتقال لعدد من الرعية وإيداعهم سجناً خاصاً به.. ولكل منهم أجهزته الأمنية الخاصة الداخل فيها مفقود والخارج منها مولود.. فهناك قد يقضي بعضهم شهوراً أو سنوات، أما من يقضون أياماً فإما أن تتدخل الوساطات العشائرية والقبلية أو تصعد روحه إلى السماء..

في هذه المعتقلات أحدث وسائل التعذيب، وهي تقع في المزارع أو أسفل قصور المساعدين الضخمة الفخمة، وهى - بالطبع - تعمل بعيداً عن الأجهزة الرسمية والمحاكم وسلطة القضاء..

وتم الزج باسماعيل وابراهيم في زنزانتين منفصلتين تتبعان الشيخ أبو العسر وقد سعى الكثيرون بالوساطة بشخصيات سياسية وقبلية، إلا أن أبو العسر رفض الافراج عنهما..

بوادر الإرهاق والأرق بادية على إبراهيم واسماعيل، وقد بدأ حفل استقبالهما برجال أشداء انهالوا عليهما ضرباً وصفعاً وركلاً، ثم قيدوا أيديهما وأرجلهما وربطوا كل واحد في كرسي من الحديد برباط وثيق من الجنازير الحديدية..

في الزنزانة أربعة رجال أشداء تبدو عليهم امارات البؤس والشقاء والاحباط والشراسة، هم لا يتبعون جهازاً أمنياً في الدولة، إنما لأبى الأخفش شخصياً..

وفي الزنزانة جهاز تسجيل حديث ومحقق يكتب مجريات التحقيق، وآخر متخصص في الضرب والصفع والتعذيب، واثنان

يستجوبان المتهم.. فضلاً عن شخص خامس بملابسه الأنيقة يدخل كل فترة لطرح المزيد من الأسئلة، ويبدو أنه كبيرهم الذي علمهم الاستجواب وطرق انتزاع الاعترافات من ضحاياهم.

وعندما طلب الشابان الماء استجاب المعذبون بلكمات وصفعات وجهوها إليهما بدون شفقة أو رحمة..

في زنزانة ابراهيم نظر أحد المحققين إليه وقال له: انت يعني الذي ستحرر البلد، أنت عنترة بن شداد، أنت الجرىء الذي يستطيع أن يهاجم رأس الدولة وفي مؤتمر عام ثم اضاف.. لن نسألك عن اسمك ومهنتك وعنوانك لأننا نعرف الاجابة.. لكننا سنبدأ بالأهم.. ما هو انتماؤك السياسي؟

- ابراهيم: لا أنتمي لأي حزب سياسي..

- المحقق الأول: لا تكذب.. إن افكارك السياسية تؤكد عضويتك في حزب المحرومين..

- إبراهيم: والذي خلقني وخلقكم لا أنتمي لأي حزب لأنني لا أثق في الأحزاب السياسية.. القائمة، فهي لا تفرق كثيراً عن الحزب الحاكم.

- المحقق الثاني: ولكنك ترتبط بعلاقة مع بعض القيادات الحزبية.. نعلم أنك كنت تزورهم وتحضر لقاءاتهم واجتماعاتهم السياسية..

- ابراهيم: أحضر بصفتي الشخصية بدافع من فضولي لمعرفة ما يقولونه والتي غالباً تتعارض مع برامج أحزابهم.. كنت أحضر

اجتـماعاتهم كواحـد من الرعية وطالما عبـرت عن مواقفي المتعـارضة معهم.. يا جمـاعة.. أنا واحد من الرعية البسطاء الـتعساء.. أحلم بالحريـة والديمقراطية.. ومـعارضـتي السيـاسيـة لا تعني معـارضتي لشخص الحاكم الذي يمثل رمزاً لسيادتنا الوطنية الواجب احترامها..

- المحـقق الأول: كـيف تجـرؤ - إذن - علـى اتهـام هذا الرمـز بالمسؤولية عن الفساد المالي والاداري في البلد؟

- إبراهيم: لقد تحدثت أمام الزعيم لمعرفتي بسعة صدره وقبوله الرأي الآخر، وهذا يُحسب له لا عليه.. ولأنه دائماً ينادى بمكافحة الفساد.

- المحقق الثاني: المنشور الذي تم توزيعه في اجتماع الزعيم يحمل نفس أفكارك.. أنت شاركت في صنعـه.. لا تنكر.. فهذا ليس في صالحك.. لو اعترفت ستكون شـاهد إثبات على رفاقك وسنصرفك من هنا فوراً..

إبراهيم: أقسم بالله العظيم - وفي داخله يقول يارب سامحني فأنا مُكره - أني لا أعرف شـيئـاً عمن كتـبوا هذا المنشـور.. وأؤكد أنني أرفضه جملة وتفصيلاً.. فهو يحوي كثيراً من الافتراء على الزعيم.

الرجل الموكل بالتـعـذيب عريض المنكبين ذو رأس كـبـير وعـينان رماديتان واسعتان بهما من الشـر ما يكفي لتسميم بحر حيث أشار له المحقـق الأول، وفهم الاشارة، فـهجم علـى ابراهيم يوسعـه صفـعاً ولكمـاً وسبـاً بأقذع الألفـاظ وأبشعـها.. تعـالت صرخـات إبراهيم وتأوهاته من آلامه المبرحة..

- المحقق الثاني: لو صدقنا ما قـلته.. كيف نصدق أنك لا تعرف

اسماعيل وتقاريرنا تؤكد معرفتكما الجيدة بعضكما بعضاً.. بدليل أنه سهل لك حضور لقاء الزعيم.. رغم أنك لست عضواً في أي نقابة..

– إبراهيم: من هو اسماعيل الذي تتحدث عنه؟ لا أعرفه.. أما قصة حضوري اللقاء فقد كنت عضواً بجمعية الشباب منذ دراستي في الجامعة.. وذهبت للجمعية حيث كان المسؤولون مشغولون باستدعاء زملائهم لحضور الاجتماع، وفي غمرة هذا الانشغال التقطت دعوة خالية من الاسم ودسستها في جيبي دون أن يعرفوا.. ولكي تصدقوا كلامي فقد كانت هناك ٢٥ دعوة لجمعية الشباب الجامعية وبإمكانكم التأكد من هذا..

– المحقق الثاني: بعد تخرجك في الجامعة لماذا لم يتم تعيينك.. ما هى الموانع؟

– إبراهيم: تخرجت في الجامعة منذ أربع سنوات بتقدير «جيد جداً» في تخصص إدارة الأعمال، ومنذ ذلك الحين وأنا أبحث عن عمل في كل المؤسسات الحكومية، وفي كل منها ملف يحوي سيرتي الذاتية وشهادتي.. وآخر طلب تقدمت به أمس إلى وزارتي البيئة وحقوق الإنسان.. وقد وعدوني بالرد خلال شهر.. أما الآن فأعمل في..

المحقق الثاني: تعمل بالساعة في شركة استثمارية.. وقبلها عملت لمدة سنة ونصف السنة في مكتبة خاصة.. وسنة في مكتب استشاري.. وتسعة أشهر في مصنع للمواد الغذائية.. ووالدك متقاعد

وملفه نظيف.. وشقيقك الأكبر ضابط في سلاح المدرعات.. وشقيقك الأصغر مازال يدرس بالجامعة لكنه يعمل بعد الدوام في صحيفة اسبوعية مستقلة كباحث في الشؤون الاقتصادية.. ملفك لدينا كان نظيفاً قبل ستة أشهر.. نحن نعرف عنك كل كبيرة وصغيرة، وسوف نخرب بيتك وبيت اخوك الضابط.

- إبراهيم: ما دمتم تعرفون عني كل شيء ومتأكدون من معلوماتكم.. فأنتم متأكدون من براءتي وصدقي.. وأكرر.. أنا لست عضواً في أي حزب أو جهة سياسية معينة.. وما قلته أمام الزعيم بفعل فورة الشباب وإيماني العميق بتوجهات الزعيم الديمقراطية والتي يشيد بها الأصدقاء والأشقاء العرب.. ولو كنت أعرف أنني سأكون هنا ما نطقت بحرف واحد مما قلته.. ولو أردتم أن أعتذر كتابة عما قلت فأنا على استعداد لذلك وفوراً..

يدخل رجل يبدو أنه شخصية مسؤولة.. تهامس مع المحققين وأمر الرجل البدين بإعطاء الماء لابراهيم الذي أفرغه بشراهة في جوفه..

- المسؤول الكبير: لو رفضت التعاون معنا وركبت رأسك ولم تقل الحقيقة فسوف تكون ضيفاً دائماً علينا.. وتخيل نفسك أمام هذا الرجل «يشير إلي المختص بالتعذيب» الذي يدمن الضرب والركل والصفع.. بمجرد إشارة من قائده.

- إبراهيم: سيدي.. قل لي كيف يمكنني التعاون معكم؟

- المسؤول الكبير: مثلاً.. قل لنا ما هى الجهة التي تساعدكم.. ومن هم رفاقك؟ وما هى أهدافكم؟

- إبراهيم: أقسم بالله ليس هناك جهـة أو رفاق أو هدف شخصي لي من السياسة.. كل أملي أن أجـد فرصة عمل وأتزوج.. هذا هو هدفي..

- المسؤول الكبير: هل مازلت على علاقة بخطيبتك السابقة؟

- إبراهيم: لا.. لقـد تزوجت في السنة النهـائية وبعـد التخـرج سافرت مع زوجها للخارج وانقطعت صلتنا تماماً.

- المسؤول الكبير: ولكن ميولك يسارية وهذا واضح منذ دراستك الجامعية، انت شيوعي يا ولد؟

- إبراهيم: لا.. وملفي الجـامعي لديكم.. وأنا رافض لمـمارسة السياسة بالجامعة وأعلنت رأيي في صحيفة مستقلة منذ خمس سنوات ولديّ نسخة من هذه الصحيفة في البيت..

- المسؤول الكبير: قرأت مقالك.. إنه مـقال جيد ويخدم السياسة العامة للبلد.. سنرسل من يحضر نسخـة الجريدة ربما يساعدك مقالك.. لكن قصة حصولك على الدعـوة لا أصدقها.. وأؤكد أنك كنت متهـجماً على الزعيم عن قصـد وسابق نية أثناء الاجتـماع.. ما هى دوافعك؟

- إبراهيم: دوافعي هى ضرورة إجراء إصلاحات سـياسية واقتصادية والقضاء على الفـساد والمفسدين.. هذه الاصلاحات تحـتاج إلى تعاون الجميع مع الزعيم.. فقـد استطاع الزعيم منذ توليه الحكم تخليص البلد من شرور المكـائد السياسـية الخـارجية والمكـائد الحزبية المحلـية وتجنب الانقلابات العسكرية، فضلاً عن رعايته لتطوير صناعة النفط..

- المسؤول الكبير: لماذا - إذن - تتهم الزعيم برعايته الفاسدين؟

- إبراهيم: قلت هذا من منطلق تصريحات الزعيم بضرورة مكافحة الفساد والمفسدين ولدفع الزعيم للتخلص من رموز الفساد في جمهورية نهبستان.. لأنه المسؤول عن تعيين مساعديه والوزراء وهؤلاء هم من يعرفون حقيقة الكوادر الفاسدة.. وعلى فكرة لقد عملت في شركة استثمارية يملكها بعض أقارب الرئيس ولمست مدى مساهمتها الجادة والفاعلة في تنمية موارد البلد.. وليس من أخلاقي الهجوم على اليد التي ساعدتني ذات يوم..

- المسؤول الكبير: يا الله.. إن كلامك مثل العسل.. والآن سأمنحك فرصة للراحة..

ويأمر المختص عن التعذيب بفك وثاق إبراهيم وتقديم الطعام والشراب له على الفور في زنزانته الانفرادية.

❖ ❖ ❖

المشهد التالي كان في زنزانة اسماعيل..

أربعة أشخاص غلاظ، شداد، أكثر شراسة، لديهم من الوسائل التعذيبية ألوان وفنون متعددة، فقاموا بتوثيق اليد اليمنى لاسماعيل بأحد الجدران والرجل اليسرى بجدار آخر.. بينما يده اليسرى ورجله اليمنى مربوطتان في كرسيه بجنزير من الحديد.. كان المحققون يشكّون بارتباط اسماعيل بجهة دينية متطرفة.. وبعد حفل الاستقبال المعهود بدأ التحقيق..

- المحقق الأول: انتماؤك السياسي؟

- اسماعيل: لا شيء!
- المحقق الأول: شيوعي متطرف.. ديني متطرف.. اختر لك واحدة منهما بلا وجع دماغ.
- اسماعيل: لا هذه ولا تلك.. الشيوعية أرفضها كفكرة ونظام.. ودينياً فأنا مسلم أرفض التطرف والمغالاة في الدين.. فالإسلام هو دين الوسطية.. ابحثوا عن تهم غيرها.
- المحقق الثاني: أنت ذكي ورجل دعوة وسبق أن تم اعتقالك بتهمة انضمامك لجماعة ارهابية متطرفة.. لكنك خرجت براءة لعدم كفاية الأدلة حينها.. أما الآن فالأدلة كافية ونحن متأكدون مما نقول..
- اسماعيل: أنتم الحكومة تملكون كل السلطات وتعرفون كل شيء وتقررون ما تريدون..والله معي، وثقتي فيما أقول كبيرة.
- المحقق الثاني: معني هذا أنك واثق من صحة كلامك عن الزعيم وكلامك أمامه واتهامه بالفساد.
- اسماعيل: أنا متأكد من أن الزعيم يقبل آراء معارضيه ويتعامل مع الجميع بروح ديمقراطية راقية.. ولو عرف الزعيم أن ما قلته أمامه سوف يحضرني هنا لأمر فوراً بالإفراج عني وتعويضي.. أنتم بتصرفاتكم هذه تسيئون إلى حكمه وتشوهون سمعته.
- المحقق الأول: معارفك من الشخصيات المرموقة لم يعترضوا على قرارنا باعتقالك وتقديمك للمحاكمة..
- اسماعيل: هم شخصيات مرموقة، ولكنهم لا يستطيعون رفض

قراركم باعتقالي.. وأنا لا أستخدم شخصيات مرموقة لتحقيق مآربي الخاصة.

- المحقق الأول: من هم رفاقك وما هى أهدافكم؟

- اسماعيل: لا أحد.. وما كان حديثي للزعيم سوى التعبير عن ثقتي في شخصه واحترامي له وترحيبه بعرض وجهات النظر الأخرى التي قد تتعارض مع وجهة نظره.. فهل كلامي له سوف يُغير الحكم أو الزعيم؟ بالطبع لا، وعلى فكرة لا يوجد بديل مناسب للزعيم والأمة كلها متفقة على ذلك.

- المحقق الأول: أسلوبك معنا يعني رفضك للتعاون معنا.. وهذا ليس فى صالحك!

- اسماعيل: ما قلته هو الحقيقة..

- المحقق الثاني: ما علاقتك بإبراهيم؟

- اسماعيل: لا أعرفه، ولم أسمع عنه.. استحلفكم بالله أن تتركوه فهو أيضاً لا يعرفني.. فكوا وثاقي وأطلقوا سراحي.

- المحقق الأول: بفرض أننا صدقناك.. قل لي لماذا رفضت المشاركة في الجهاد مع الجماعات التي سافرت إلى افغانستان لطرد الاحتلال السوفيتي؟

- اسماعيل: كان هذا قبل سنوات.. وقد ألقيت محاضرة بأحد المساجد قلت فيها كيف نصدق أميركا التي تدعو للجهاد في أفغانستان وتمنعه في فلسطين حيث أولى القبلتين وثالث الحرمين.. وإلى متى لا تعترف أميركا بحق العرب في فلسطين.. فالمنطق يقول إن أميركا هى

إسرائيل.. ونعرف غيرة الزعيم على فلسطين ومقدساتنا الإسلامية والعربية.. أولى بنا نحن المسلمين أن نجاهد لنصرة أشقائنا في فلسطين أولاً وأخيراً..

- المحقق الثاني: ولماذا لم تحاول إقناع أصدقائك الذين ذهبوا للجهاد؟

- اسماعيل: أقنعت بعضهم ولم يذهبوا لأفغانستان ولم أفلح مع الآخرين الذين ذهبوا لافغانستان.

رئيس المحققين يدخل زنزانة اسماعيل، فيأمر بفك وثاقه وإعطائه الماء ليشرب ويهدأ قليلاً.

- رئيس المحققين: ما هى علاقتك الحالية بجماعة الدعوة؟

- اسماعيل: تركتها بعد شهرين من المشاركة في أنشطتها بسبب قناعتي بضعف أدائهم وعدم وجود برنامج دعوي واضح ولأنهم يسيسون الدعوة، ولأنني أيضا أرفض التزاوج بين الدين والدولة.

- رئيس المحققين: وكيف أوضحت لهم رفضك؟

- اسماعيل: الدين هو علاقة العبد بربه ليس فيها وسيط أو مغريات دنيوية، أما الدولة فهى منظومة من العلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والقانونية، والدولة يجب ألا تسيس الدين، والدين يجب ألا يتدخل في شؤون الدولة.

- رئيس المحققين: وما رأيك في الجماعات الدينية التي تدعوا إلى محاربة السلطة وتكفير بعض رموز الدولة؟

- اسماعيل: هى جماعات جاهلة، فهم لم يشقوا قلب العبد

ليعرفوا إيمانه من كفره، الحكم في هذه القضية هو الله تبارك وتعالى.

- رئيس المحققين: هل تدعو إلي قيام دولة دينية في بلدنا؟

- اسماعيل: لا.. وإلا فحكامنا كافرون، وهذا ما أرفضه.. إن فكرة الدولة الدينية فكرة مجنونة لا يقرها عاقل.. وهل يقبل النظام العالمى بقيام مثل هذه الدولة؟

- رئيس المحققين: ولو قدر - لا سمح الله - لرموز دينية أن تغتصب الحكم.. هل ستعمل معهم؟

- اسماعيل: لا يمكن أن يحدث ذلك.. ولن أعمل معهم..

- رئيس المحققين: لا تنسوا تعذيب هذين الشابين.. أوصيكم برشهما بالماء الساخن ثم البارد والضرب واللكم والصفع حتى يتعاونا معنا كما نريد.

يذهب رئيس المحققين للشيخ أبي الأخفش ليطلعه على نتائج التحقيق، في الوقت الذي يتحرك رفاقهما في خارج السجن لبذل جهود وساطة كثيرة وعلى مستويات عدة أملاً في الإفراج عنهما.

❖ ❖ ❖

الفصل السابع

كـان الليل قد رحل فـي اتجاه الفـجر، حـين كان الزعـيم يراجع التقـارير السرية عن نشاطات اجـهزة المخابرات الشـقيقة ضـده وضد نظامه، اتسعت عيناه بالدهشة من هول ما قرأ، فـالزعماء متفقون تمام الاتفاق على شيء واحـد، هو حكم رعيتهم بالحـديد والنار والقناعة التامة بأن كل دولة تتـآمر على شقيقـتها، فالعلاقـات متوترة بين تلك الدول - جمهوريات وممالك وإمارات - ويسودها الشك والريبة، رغم محاولات البعض لتنقية الأجـواء بينهم، فما يجري في المؤتمرات غير ما بعد في الغرف السرية.

في جمـهورية نهبسـتان كان الوضع أكثـر تردياً، فمعدلات الفـقر ارتفعت بنسب غير مسبوقة، وزادت معدلات الجريمة من نشل ونصب وتزوير وسـرقة بـالإكراه ودعـارة وسطو مـسلح وغيـرها، واكـتظت صفحات الحوادث بالصحف بأخبار الجرائم الجديدة، كل هذا أدى إلى انهيار الروح المعنوية للرعية واختفاء قيم الولاء والانتماء للوطن..

في هذه الأثناء كان الزعـيم أبو اليسر مشـغولاً في إعمال الجـهود الدبلوماسية التي شاركت فيهـا دول اقليمية وقوى دولية فاعلة لإجلاء قوات الدولة الجارة من جزء بجمهورية نهـبستان، ولكنه كان قد اتخذ قرار الحرب وأعد جنده وعـسسه لهذه المهمة إعـداداً فائقاً، فهم على أهبة الاستعداد انتظاراً للأمر بالقتال.

ذات ليلة من ليالي الصـيف الحارة، كان أبو اليـسر يقضي سـهرة ماجنة من سهراته، وكانت عشيقتـه في أحضانه تتأوه من فرط فحولته وشبقه اللا محدود بفعـل بعض المنشطات المستوردة وحينما بلغا ذروة

النشوة وأفـضى بعضهما إلى بـعض، رفع سماعة الهاتـف وأمر قائد الجيش بالحرب وفوراً . .

وتحركت مدرعات الجيش ومدافعه في جنح الليل واخترقت بسهولة ويســر كل تحصـينات الدولة المجاورة، ومـا ان طلعت الشمس حـتى كانت قوات جمهورية نهبسـتان قد احتلت ثلاثة أرباع الدولة الشقيقة، فهـرب حكامها بطائراتهم الخـاصة إلى دول مجاورة وأوروبيـة وتركوا الرعية تمارس فيهم قوات نهبستان السرقة والاغتصاب والقتل والنهب، فكانوا يغتصبـون المرأة اغتصاباً جماعياً على مـرأى من زوجها بعد أن يوثقوه، ثم يقتلونه إذا سـبهم أو سب زعيمهم وتضـرع إلى ربه داعياً بالستر والخلاص.

حتى المستـشفيات نهـبوها، فقد حـملوا الأجهزة الطبيـة الحديثة من غرف العناية المركزة بما فيها الحُقن ومات مرضى كثيرون فضلاً عن نهب البنوك وشركات الصرافة والمستودعات والمحلات التجارية بأنواعها.

استـيقظ أبو اليسـر على نبأ نجـاح قواته في احتـلال الدولة الجارة وهروب حكامـها للخـارج، وكان مـستـمتـعاً بأنبـاء النهب والسلب والاغتصاب، وأمر باستباحة العاصمة لثلاثة أيام كاملة.

وانتشر نبأ الغزو في العـالم كله، وسارعت دول اقليمية بإدانة هذا الغزو، وكذلك قـوى دولية فاعلة، قد تكون هى المحـرضة - سراً - لهذا الغزو.

ولأن البترول هو غاية المراد للدول الكبرى فقد حشدت الرأي العام العالمي والقوات متعددة الجنسـيات وصممت على طرد الغزاة، وقالت

إن هذا الغـزو لدولة ذات سيـادة يتنافي كليـة مع الأعـراف الدوليـة والقـانون الدولي، ولابد من تحرير الدولة وعـودة نظامهـا السيـاسي السابق الموالي تمامـاً للقوى الكبرى، مع وعد باحتـلال الدولة الغازية وإسقاط نظامها السياسى، أو على الأقل محاصرته وتعليمه الأدب.

كانت الوفود الدبلومـاسية تقوم برحلات مكوكيـة لإقناع أبو اليسر بالانسحاب، لكـنه ركب رأسه معتقـداً أن كل زعماء العالم مـقتنعون بقوته الضاربة وسيدينون له بالولاء، فأوكل إلى الشيخ أبوالعسر مهمة مقـابلة الوفود الدبلومـاسية، فـيما كـان أبو اليسر يمارس مـجونه مع عشيقاته بتلذذ غريب وبتجاهل مريب لما يجري حواليه.

ذات ليلة اجتمع أبو اليسر مع عائلته لبحث آخر المستجدات . .

تحدث شقيق الزعيم الأكبر قائلاً:

- إمكاناتنا العسكرية لا يستهان بها ولا يمكن التراجع عما أنجزناه، وبصفـتي قائداً لأكـبر الوحدات العـسكرية والأمنية فـقواتنا والرعـية مؤيدون لقرار الزعيم وهم على استعداد للتضحية بكل شيء دفاعاً عن البلد والحكم . .

- الأخ غـير الشـقيق - من الأم - للزعـيم، والذي يقود وحـدة عسكرية كبرى:

هذا الانتصار سوف يسجله لنا التـاريخ بأحرف من نور، لقد عبرنا الحدود الوهميـة بيننا وبين جارتنا، وهذه خطوة مهمة وأولى لتـوحيد أمتنا العربية، فهذه الحدود صنعـها الاستعمار، ونحن دولة تعمل ضد الاستعمار . . وقد منحنا القـادة الذين انتصروا بعض الامتيازات المادية

لرفع روحهم المعنوية ومنحنا الجنود امتيازات أخرى لرفع روحهم القتالية لمواجهة أي عدوان خارجي محتمل.

- كبير المشايخ «أبو العسر»: والله «يا عيالي» نحن عملنا على تصحيح ما أفسده الاستعمار، فقد أعدنا الجزء المنفصل إلى الوطن الأم، ويجب على إعلامنا توضيح هذه الصورة للعالم أجمع حتى يدركوا الحقيقة، ثم أننا في موقف دفاع عن النفس، هم الذين احتلوا أرضنا في البداية، فكان الرد الطبيعي هو اجتياح أراضيهم.

- قائد عسكري اشتهر بالفساد وابن الزعيم:

الوضع في البلد تحت السيطرة، وأخشى أن يسمح أشقاؤنا العرب بتواجد قوات أجنبية في أراضيهم واستخدام قواعدهم ضدنا، وأرى أننا يجب أن نعد خطة تحسباً لما قد يقع مستقبلاً، بإرسال وفود دبلوماسية لأشقائنا لإقناعهم برفض وجود قوات أجنبية على أراضيهم، والمماطلة قدر الإمكان في تحقيق طلباتهم وبالتالى دفعهم للاعتراف.

- الشيخ أبو العسر: أحسنت يا ولد.. وأنا مستعد لرئاسة وفد رسمي يتجه لأشقائنا العرب وإقناعهم بموقفنا.

- الابن الآخر للزعيم: ويجب تعيين شخصية كبيرة من قبيلتنا وهو يحتل منصب عسكري رفيع ليتحدث كرئيس وفد إلى دول الجوار..

أبو العسر: رعاك الله يا ولدي..

أبو اليسر: يجب ألا نقدم تنازلات من خلال الوفود، فموقفنا قوي

وواضح وحقنا ثابت..

وبعد عدة أسابيع من الوفود القادمة والراحلة من وإلى جمهورية نهبستان تضيق السُبل على الزعيم ويتم حشد قوات أجنبية ضخمة في دول الجوار العربية..

وذات يوم يقوم الزعيم بالاتصال بحالية ويطلب منها الحضور الفوري..

جاءت حالية إلى قصر الزعيم، وفوجئت بأبي اليسر يخبرها أنها ستقيم لديه لمدة ثلاثة أيام، وأطلعها على هداياه وكانت من أجمل الملابس الداخلية التي طلبها لها خصيصاً من كبرى الشركات العالمية، وهى كانت سعيدة بتلك الهدية المتميزة والمعبرة.

وجذبها الزعيم لحضنه وبدأ يوزع قبلاته النهمة شوقاً على شفتيها وخدودها ورقبتها، وما أن أفرغ جزءاً من شحنات الشوق أجلسها على أحد المقاعد الوثيرة وجلس بجانبها يسألها عن أحوالها وأسباب غيابها وآخر أعمالها، ثم اعتدل في جلسته لصب كأسين من الخمر، هذه المرة كان نوعاً جديداً استطاعت حالية أن تقرأ اسمه Blue Lable وكانت تسمع عن هذا المشروب بأنه مشروب الملوك والزعماء - ثم أستأذنته لتغيير ملابسها فتوسل إليها أن تغير أمامه لكنها راوغته بالقول: إنى لا أخجل من المثول عارية أمامك فأنت تعرف خارطة جسدي بتفاصيلها الدقيقة، ولكني أريد أن أهيئك لمفاجأة تزيد من حرارة لقائنا وأشواقنا.

يقبل برأيها، ويتركها في الذهاب إلى غرفة النوم لتغيير ملابسها

وبعد دقائق عادت حيث كان الزعيم قد اطفأ أنوار الغرفة الصاخبة، وأضاء الانوار الخافتة مع تشغيل الموسيقى الشرقية الراقصة فبدأت حالية تتحرك نحوه بخطوات راقصة وهادئة وباشرها بالقول:

واه.. يالك من فاتنة.. إنك مع كل يوم تزدادين جمالاً على جمال..

حالية تجيب بتدلل: تسلم لي يا روحي، فهذا كله من فضلك وخيرك، فهذه البدلة اشتريتها من فرنسا ولم ألبسها إلا اليوم لأنها شفافة وأعرف أنك تحب الشفافية حتى في أحاديثك السياسية..

يجيبها:

الله... مابك..؟ لماذا تذكرينا بالسياسة في هذه اللحظات الجميلة؟

تقاطعه حالية: لا فرق بين الجنس والسياسة، فأنت عندما تخطب تنتابني رغبة جنسية، وترتفع حرارتي والشوق إليك عندما تتشعب في خطبك عن القضايا الوطنية والقومية التي تتطلب حلولاً شفافة وصادقة، وقبل أيام، وعند متابعتي لآخر خطاباتك كنت أغمض عيناي وأفكر فيك حتى شعرت بأن إخماد نار رغبتي الجنسية ضروري جداً، ولم يكن أمامي إلا هذه - قالتها وهي تضحك حيث كانت تشير إلى أحد أصابعها -

أبو اليسر يضحك فيناولها يده لتساعده على النهوض فيقول لها:

دعينا من السياسة الآن، ودعيني أمتع نظراتي برقصك وحركات جسدك الشفافة.

حالية: كلك ذوق يا دلعي...

وبينما كان أبواليسر على السرير مع حالية، وفي قمة الانتشاء الجنسي رن الهاتف ذو اللون الأحمر الداكن واستمر في الرنين بينما هما غير مبالين، وطلب منها أن تجيب وتسأل عن ماذا يريدون في هذه الساعة المتأخرة - الثالثة صباحاً - وهو مشغول بتوزيع قبلاته على جسدها العاري، تجيب حالية على الهاتف:

نعم.. ماذا تريد؟

الطالب على الهاتف كان سائق الزعيم فقال في حالة إرباك:

سيدي.. لو سمحت أبغي أكلمه في أمر هام.

حالية وهي تقهقه من تأثير القبلات وحرارتها:

عفواً إنه مشغول في هذه اللحظة بإمكانك محاولة الاتصال مرةً ثانية..

السائق:

لو سمحتِ إن الأمر مهم ولابد أن أكلم سيدي.

حالية وبلهجة جنسية أثارت غرائز السائق ترد:

ما بك لا تسمع ولا تريد تفهم.. أقول لك جميع الخطوط مشغولة.. «ثم توقفت عن الكلام بإطلاقها شهقة جنسية معبرة».. ثم واصلت الرد ما في أخلاق عندكم يا عديم الأدب والاحساس والمفهومية..

ويسمع السائق كلام حالية مع سيده وهي تقول له بطريقة آمره توقف قليلا وتكلم مع هذا الجاهل الذي يحتاج للتربية.. وأكثر من

مـرة أقول لك أبعـد عني هذا الهـاتف، وأرجـوك من اليوم مـا أريد أشـوف جهـاز تلفون أو أسـمع رنين!! ويسـمع السائق قـول سيـده لخليلته: ولا عليك كل مـا تبغيـه أوامر، دعيني أشوف هذا الحـمار، وحسابه مـعي عسير، تناوله حـالية السماعة والسـائق في حالة ذهول وخوف فـسمع الزعيم يقول: مـا بك يا ابن الحمار أكثـر من مرة وأنا احذرك بعدم ازعاجي مع ضيوفي.. ما بك.. ما نحوك؟!

السائق:

عفواً سيدي.. أنا حمار وابن حـمار.. سيدي وصلتني برقية من مكتب قائـدي الجيش والاستـخبارات تقـول إن هناك أساطيل حـربية تحركت باتجاه حدودنا..

يرد عليه الزعيم:

ولو، فـالأمـر لا يـسـتـحق ازعـاجي، قل لهـم هذا تهـويش، اسمع... بلغهم أن يتـصرفوا كما هو مـرسوم لهم في خطتي، ومرة ثانية أحذر من تكرار هذه التصرفات الحمقاء.

السائق يرد وهو في حالة ذهول:

أوامرك سيدي..

في تلك اللحظة لم يـكن أمر البلد والرعـيةُ ذي أهـمية بالنسبة للزعيم الذي كان يعتقد أن تشكيل التحالف العسكري الدولي لن يرى النور انطلاقـا من ان التـباينات في جـسد ذلك الـتحـالف أكثـر من القواسم المشـتركـة التي تجمعـهم، وظل على هذه الحال حـتى كانت الضـربة الأولى لقوات التـحـالف وفي الساعـة الواحـدة بعد الظهـر

نهضت حالية واغتسلت ثم عادت إلى عشيقها الزعيم وداعبته حتى أفاق من نومه ودلفته إلى الحمام وطلبت منه أن يستحم ولكنه رفض واشترط بقبوله بأن تستحم معه ولم يكن أمامها من خيار إلا أن تقبل شرطه، وفي حوض الماء الفسيح والمجهز باحدث وسائل التقنية العصرية، وبعد المداعبات الصبيانية طلب منها ممارسة الجنس، ولكنها - حالية - أقنعته بأنها متعبة وتحتاج لبعض الوقت بعد ليلتهم الماجنة، على أن يعودا بعد ذلك لممارسة الجنس في حوض الحمام.

بعد الحمام ترتدي حالية فستاناً آخر رمادي اللون ورفعت سماعة الهاتف، وطلبت احضار الطعام مع إضافة قارورة حليب طازجة، وفي الصالة المجاورة التي كان يقوم بتنظيمها بعض الفتيان طلبت منهم أن يفتحوا الستائر والنوافذ للتهوية فأخبروها أن سيدهم لا يعجبه هذا وقد يغضب منهم ولكنها اقنعتهم بأنها ستخبره بأنها هى التي عملت ذلك لو سألها أو سألهم، وبعد أن يخرج العمال ويحضر الزعيم إلى الصالة حتي تغيرت ملامح وجهه وسأل غاضباً عمن فعل ذلك؟ فأجابته حالية: أنا يا روحي، لا تخاف ما دمت معك؟ والهواء الطازج يساعد على رفع القدرات الجنسية كونها تجدد خلايا المخ والجسم.. وبالذات العضلات الحساسة.

وبعد تناولهما للفطور، رفع الزعيم سماعة الهاتف وطلب من سائقه أن يحضر إليه مع ملفه اليومي، كان السائق في حالة خوف وقلق مما قد يناله من عقاب على اتصاله التليفوني الأخير، يدخل على سيده وعشيقته بعد أن طرق الباب، شاهد سيده وهو في حضن

عشيقته فاقترب منهما فقال بكلمات هادئة وهو يرتجف:

نعم سيدي.. هذا الملف.. هل تأمرني بشيء؟

ترد حالية بصوت هاديء ورقيق:

ما بك مرعوش، خائف من العقاب، لا تخاف، أسمع أنا أبغي أريحك وأدخلك عالماً جديداً، وعندما يكون سيدك مع العائلة تعالى لي وسأعرفك إلى فتاة تطير العقل..

السائق:

هذا الأمر راجع لسيدي.

الزعيم:

ولا عليك.. سأعطيك إجازة نهاية هذا الأسبوع، قل لي من طلبني وهل من جديد؟

السائق:

شكراً سيدي، كل شيء في الملف، وهناك وفد من الاتحاد الأوروبي وصل فجر اليوم ويود اللقاء بكم اليوم أن أمكنكم..

الزعيم:

أطلب أبو الأكرش وأيضاً الشيخ أبو الأخفش، ووجههم بأمري لهم بأن يلتقوا بالوفد وتنظيم برنامج لزيارتهم إلي المستشفيات والمجمعات السكنية والأسواق الشعبية، وأنا سألتقيهم غداً بعد الظهر أي في الثالثة عصراً.

ينصرف السائق فيتناول الزعيم الملف حيث يبدأ بمطالعته فقطعت حالية الصمت قائلة:

هل لي بأن أشير لحبيبي إلى شيء غائب عن إدارة ديوانه

الزعيم:

وهل منعتك عن شيء؟

حالية تجيب:

إن طاقم ديوانك يثقل عليك أعباء الاطلاع الطويل والمرهق ويؤثر على صناعة القرار الصائب.

الزعيم بدهشة:

كيف ذلك يا نور العين؟

حالية:

مثلا هذا الملف فيه برقيات وأخبار ومواضيع سياسية واقتصادية وعسكرية وغيرها ولكنها غير مرتبة، ولكن لو أنهم قاموا بفرز كل موضوع على حدة على شكل ملف مستقل..

تسحب حالية الملف من الزعيم وتطلب منه أن يعتدل في جلسته ليرى كيف تطبق ما تقول ثم تقوم بفرز المواضيع كلاً على حدة وهو ينظر إليها بإعجاب، وما ان انتهت من الفرز قالت: وهكذا يسهل عليك الاطلاع بسهولة وتركيز والتعقيب بالملاحظات أو القرارات أو التوجيهات.

يجيبها الزعيم وهو في حالة دهشة وسرور قائلاً:

وأنا أقول مع نفسي وعندما أطالع الملفات اليومية.. كيف ينتابني الملل من الاطلاع عليها، أنا عندي مقترح بأن أعينك في ديواني وبأعلى درجة وظيفية، وهى بالمناسبة فرصة لتكوني بقربي دائماً.

ترد عليه حالية:

يقول المثل.. أبعد عن حبيبك يحبك.. أو لو صاحبك عسل ألحس منه وبقى، هذا العمل بسيط ويمكن أن يقوم به أي موظف مؤهل...

وتواصل حالية حديثها:

وأنا عندي مقترح آخر وأسهل، فقط أريد وعد منك أن تقبل شروطي لو قبلت بالمقترح.. «يوعدها الزعيم بتلبية شروطها مهما كانت» أنا ممكن أرشح لك أختي الصغيرة وهى خريجة كلية الاقتصاد والإدارة بدرجة جيد جداً، وتعمل منذ شهر في شركة خاصة، وهى ستكون متخصصة في تنظيم أرشيفك اليومي، بل وتقرأ عليك جوهر محتويات الملف وتسجل ملاحظاتك وقراراتك، ولكن شروطي هى أن تتعامل معها كموظفة فقط، مع توظيف زوجها في الديوان كمتخصص في صياغة قراراتك وتوجيهاتك.

الزعيم:

فكرة سليمة وموافق على اقتراحك وشروطك، سأعين أختك مديرة عامة لأرشيفى الخاص، وزوجها مديراً عاماً لإدارة صياغة القرارات والتوجيهات.

اكتبي ذلك في الملف ومن يوم غد يباشران العمل...

حالية:

أفضل أن يكون ذلك من بداية الشهر القادم.. باقي أسبوع فقط وهي فرصة لي لأحاورها وأقنعها هى وزوجها، ولكن قل لي كم ستكون رواتبهم؟!

الزعيم:

حسنا.. رواتبهم ستكون مضاعفة لراتب المدير العام، راتب الدرجة ومستلزماتها وراتب خاص ومماثل من الديوان الرئاسي لخصوصية وأهمية أعمالهم مع علاوات وامتيازات أخرى.. بل سأمنحهم مساعدة مالية لشراء مسكن مجاور للعمل، مادام أنهما واصلين من قبلك ومن ريحة الحبايب، وأعدك بأن أعاملها كابنة لي بل سوف أدعوها لقراءة الملف بحضور زوجها حتى تطمئني وإياهم.

حالية تشكره ثم تشدد عليه بألا يحاول ذكر اسمها امامها ومع تفتيشها للملف يجذبها نقص في الجانب الاقتصادي والاجتماعي حيث وجدت ورقة واحدة لم تستطع استيعاب ما فيها وأشارت لعشيقها بذلك واقترحت عليه أن يوجه طاقمه بزيادة المعلومات الخاصة بذلك المجال المهم، يطلب منها أن تكتب ذلك على نفس الورقة ويوقع عليها ثم يسحب منها الملف ويطرحه على الطاولة، ويعود لمداعبتها حتى قطعت عليه لحظات المداعبة بالقول:

إلا قُل لي يا حبيبي كيف لي استيعاب ربطكم لخطوتكم الحربية الأخيرة والرائعة بموضوع القضية المركزية؟! وواصلت بدلال ودلع: القضية اللي هي.. اللي هي فلسطين.

بعد محاولات الزعيم رفضه بالحديث في السياسة فقد استسلم لطلبها وبدأ قوله:

عندما انتصرنا واعدنا الفرع إلى الأصل نزداد قوة ومكانة في كل النواحي، وهنا ستكون لنا كلمة ودور في القضية المركزية للأمة

وستصبح بلادي رائدة لشعوب المنطقة، وهنا ستخاف منا إسرائيل وحلفاؤها مما يجبرهم على إعادة النظر في سياساتهم تجاه شعوب المنطقة وتلبية مطالبنا المشروعة... بلدي ستمثل القوة الوحيدة في المنطقة القادرة على مواجهة اسرائيل.

حالية:

عظيم، وهل فعلاً ستضربون إسرائيل كما أعلنتم وماذا لو ردت إسرائيل بالمثل، ونجحت بضرباتها كما نجحت في السابق وكلنا نعرف أن موازين القوى السياسية والعسكرية يميل لصالحها وليس لصالحنا؟

الزعيم:

هذا كلام سياسة للتهويش، ولو فكرنا يا حبيبتي بضرب إسرائيل فإننا كمن يحاول الدخول لعش الدبابير أي العش الأمريكي، فنحن لا نقوي على مواجهتها، وبعدين يا حبيبتي لو أننا أسقطنا إسرائيل فإننا كأنظمة سياسية سنسقط بعدها مباشرة فوجود إسرائيل واستمرار صراعنا معها هو ضمان بقاء أنظمتنا.

تعقب حالية:

كنت أقول لنفسي مش معقول نكون جادين في ضرب إسرائيل ونحن في حالة اتفاق مع أمريكا على ضرورة عدم الاعتداء عليها، يا الله يكون في عون شعب فلسطين والأمة العربية..

يشدها الزعيم نحوه فيطلب منها عدم الخوض في القضايا السياسية أثناء جلساتهما أو خلوتهما ثم يواصل وهو يقبلها:

بالله عليك ومن دون غضب أو حساسية قولي لي هل التقيت

بتهاني في الفترة الأخيرة؟

حالية بتدلل ترد:

من تغالط يا فرعون.. أنا حالية والأجر على الله.. ما بلاش مغالطة وعلى فكرة ما في امرأة تدخل على سعادتكم ومساعديكم إلا وخبرها عندي...

ولتجاوز الحديث عن تهاني كانت حالية تتفاعل في دلالها مع الزعيم فتذكرت طلب فتاتها جميلة بالتوسط في مساعدة حبيبها عبدالغني في البحث عن عمل فطرحت الطلب على الزعيم الذي أشار لها بالايجاب وهو مشغول بمداعبتها فقال لها:

لك ما تشائين، أكتبي قرارا بتعيينه مديرا عاما في أي وزارة أو مؤسسة وأنا سأوقعه المهم أنك تعرفيه..

كانت حالية تطرح طلباتها على الزعيم لشعورها بأن أوضاع البلد في حالة سيئة وذات مستقبل مجهول ومظلم مما يتطلب منها اقتناص الفرص في تحقيق طلباتها.

❖ ❖ ❖

كان عبدالغني من تكرار زياراته لجميلة وملاطفته وجلوسه مع حالية وشبكتها قد نال ثقتهن، خصوصاً بنكاته الجنسية اللاذعة وخفة ظله بينهن.. ومن خلال هذه الثقة بدأ يستدرج حالية في الحديث عن الزعيم ليعرف هل هى تكرهه أم تحبه.. واكتشف أنها تكرهه من كل قلبها..

وفاجأته حالية: ما حكاية الشابين اللذين حيرا السلطة ودوخوها..

هل تعرفهما؟

- عبدالغني: كل ما أعرفه عنهما أنهما متهوران.. إنهما من الشباب الطائش الضائع.

- حالية: إنهما دوخا الأمن والزعيم وعائلته خصوصاً أبو الأخفش لقد أعجبت بشجاعتهما وصمودهما وتمردهما على الأوضاع المتردية للبلد..

- عبدالغني: لو سمعك العسس ما تركوكِ..

- حالية: لا يهمني العسس أو غيره.. ولكن أماني حققوا معها وتركوها خشية ثورة قبيلتها وحدوث ثورة شعبية فى الوضع الراهن.. لذلك لم يعتقلوها.. هى بطلة ومناضلة.. قالت كلمة الحق في وجه الجميع.

- عبدالغني: لو سمعت هذا الكلام من غيرك لصدقته.. لكن من الست حالية حبيبة الزعيم.. فهذا ما لا أستطيع توقعه وتصديقه.

- حالية: قلت لك إني لا أحب أبو اليسر.. لكن الظروف هى التي وضعتني معه.. ولعلمك أنا أشعر بمعاناة الرعية.. لقد قتلوا زوجي بعد ان طلقوني منه. وعائلة الزعيم هى المتورطة في القتل.. لن أندم على سقوط الزعيم وعائلته إن حدث وربنا كريم يمهل ولا يهمل.

- جميلة: هذه العائلة كانوا لصوصاً ومتسولين، انظروا اليوم كم تبلغ مخصصات كل طفل فيهم.. بالملايين.. فما بال مخصصات الكبار.. لقد اغتصبوني في ليلة دخلتي وفي غرفة نومي قبل أن

يلمسني زوجي.. لقد اغتصبني أحد أفراد عائلة الزعيم مع اثنين من حراسه.. اغتصبوني بوحشية وألقوا بي وأنا في حالة إعياء شديدة أمام بيت أهلي.. كنت أنزف بغزارة لولا أهلي الذين نقلوني للمستشفى بين الحياة والموت.. وطلقني زوجي يوم الصباحية.. وظللت أبحث عمن اغتصبوني كثيراً لكني لم أعثر لهم على أثر.. انهم يستحقون الإعدام..

- عبدالغني: لقد تمكنتِ من الوصول لكثيرين.. كيف لم تستطيعين التوصل إليهم؟

- جميلة: هم يعرفون كل شيء عني، ولا أعرف شيئاً عنهم.. وكم من مرة وأنا أجاهد فى مقابلة ذلك الوغد!!

- حالية: حاولت مساعدتك كثيراً في الوصول لابن الشيخ ولكني لم أفلح.. لأنه يرغب دائماً في فتيات بكر ولا تستمر علاقته بهن أكثر من يوم واحد.. ولعلمكم.. فالزعيم لا يبوح بشيء من أسراره إلا عندما استدرجه وهو يداعب جسمي قبل المباشرة.. ولكن في حدود حتى لا أخسره بتساؤلاتي.

❖ ❖ ❖

الفصل الثامن

دبت حركة فجائية في القصر الذي يقع في حضن جبلين، وكأن صاحب القصر وهو كبير المشايخ أبوالعسر اختار بنفسه اجراءات أمنية طبيعية تحول دون وصول معارضيه وما أكثرهم - إليه - فالقصر محاط بسور خارجي فيه ٤ بوابات، وفي كل بوابة موقع أمني متكامل، فيه خمسة من الرجال المسلحين، وهم اصلا مدنيون يعملون في جهاز أمن الشيخ، وهناك خبير يجلس إلى جوار جهاز اليكتروني لكشف المتفجرات أو الأسلحة، وبعد ذلك هناك سور داخلي للقصر فيه اجراءات أمنية أكثر تعقيداً، ويتولى ابناء الشيخ الاشراف عليها مع وجود بعض ابناء العمومة، ويصل عدد المسلحين لحماية الشيخ ٣٥ رجلاً، عدا المكلفين بحراسة موكبه الذي يتكون من ٧ سيارات، من بينها سيارته، المصفحة، التي لا يخترقها الرصاص، وسيارتان مزودتان بمدافع «الدوشكا» المضادة للطائرات هى سريعة الطلقات، وتستخدم لضرب السيارات التي تحاول الاقتراب من سيارة الشيخ أو من المقلب.

كان الليل قد داعب جبين المساء عندما وصلت سيارة الزعيم أبو اليسر، وسط موكبه، فانتفض رجال الحراسة غير مصدقين أنفسهم، فلم تكن لديهم معلومات تفيد أن زائراً كبيراً سوف يصل، وبعده بدقائق وصلت عدة سيارات، يبدو مستقلوها وكأنهم من علية القوم، بما هم رجال الحزب ورجال الحكم لا فرق بينهما.

وفي حجرة الاستقبال، جلس أبو العسر متصدراً القاعة، وإلى جواره جلس الزعيم أبواليسر، بينما كان بعض افراد العائلة يتحلقون

حولهما، وبدا أبو العسر وكأنه يحمل فوق رأسه طيراً مذبوحاً، بينما كان الزعيم أبو اليسر في حالة معنوية مرتفعة، وتترسم على وجهه ملامح انتصار غير معروف سببه.

دخل بعض الخدم وهم يحملون سلال الفاكهة، وبعض المشروبات الساخنة، لكن الشيخ أبو العسر اشار إليهم بالخروج بسرعة، وبدت همهمات بين الحاضرين، قطعها صوت:

- أبو العسر: يا أولاد.. وصلني اليوم خبر من أبي الأكحل الذي لو سمعتم صوته لبكيتم جميعاً.. فحالته تصعب على الكافر.. قال لي:

إن ابنته التي تدرس بالجامعة على علاقة حب مع أحد أبناء الرعية من ذوي الأصول الواطية ولد فقير وابن كلب وهذه فضيحة مجلجلة في قبيلتنا الحاكمة.. الله يلعن أبو الجامعة التي خربت عقول بناتنا..

ساد صمت رهيب.. وارتشف أبو العسر الماء من كأسه محاولاً تهدئة نفسه.. ولكن هيهات.. فقد كان يحرك عصاته بعصبية شديدة.. وبنبرة حزينة قال:

- المشكلة أننا لو سمحنا بهذا في حالة واحدة فسوف تضيع القبيلة بحالات كثيرة.. والمصيبة أن البنت مصرة على علاقتها وأمها تؤكد أن ابنتها تزوجت بالفعل من زميلها الصعلوك الواطي.

- الابن الأكبر لأبي العسر: لماذا لا نقتل الفتى ثم نزوج البنت من أحد أفراد قبيلتنا؟

- أبو العسـر: يا ولدي.. لقد غادر الفـتي المدينة وذهب لقبـيلته واستجار بشيوخها فأجـاروه.. وأنتم تعرفون علاقة قبيلتنا المتوترة بهم منذ زمن بعيـد.. وقد أرسلنا إليهم أكثـر من مرة نطلب منهم تسليم الفتى وهددناهم بقوتنا العسكرية لكنهم رفضوا..

- أبو اليسـر: قبل عشريـن عاماً اقتـرحت عليكم تزويج بناتنا من أفراد قـبيلتنا.. لكنكم رفـضتم أو تجاهلتم الاقـتراح.. يمكن نزوات أولاد قـبيلتنا وشطحـاتهم لا يروق لبنات عـائلتنا.. لكن كـان يجب تنفيـذ اقتراحي على الفـور.. ها هى المصيبـة قد وقعت وصـدق ما توقعته من زمن.

- أبو العسر: هذه غلطة وأنا وحدي أتحمل مسؤوليتها.. لا تنبشوا الماضي.. أعـتقـد أن هناك مـؤامرة للتـغلغل في قـبـيلتنا من هؤلاء الرعاع..

- أبواليسر: المصيبة الأكبر أن بعض فتيات قبيليتنا يلاحقن الشباب بسياراتهن ويتـعاطين الخمور والمخدرات في شقق مـفروشة مع هؤلاء الشباب.. والفضيحـة عندما يداهم العسس هذه الشقق ويقتادون من فيها إلى أقسام الشرطة.. وهناك تكشف الفتاة عن قبيلتها فيتم إخلاء سبيلهـا فوراً ولكن تبقى الفضـيحة متـداولة بين العسس إلى أن تصل إلى الرعية..

كـان أبو اليسـر يصوب نظراتـه إلى أحد أفـراد العائلة الذي كـان يتصبب عرقاً لأن ابنته هي المعنية بالأمر..

أبو اليسر: إنني أدعو جميع شباب وبنات العائلة إلى الكف عن ممارساتهم الخاطئة ولو مؤقتاً في ظل حصار جمهورية نهبستان اقتصادياً وعسكرياً. . والعالم كله يحشد قواته ضدنا لإسقاط حكمنا. .

- أبو العسر: اسكت يا. . . . لن يسقط حكمنا ولا تردد مثل هذا الكلام على مسامعي مرة أخري!

أبو اليسر: إذن فلتهدأوا قليلاً. . وسنجتمع في نهاية الأسبوع. .

- أبو العسر: انصرفوا جميعاً ما عدا أبو اليسر. .

يجلس الاثنان ويقررا استدعاء الفتاة العاشقة فوراً وبسيارة أبو العسر.

تأتي الفتاة مع والدها الذي يطلب منهما ألا يشركاه في مناقشتها لأنه غاضب جداً عليها بسبب تصرفها المشين.

تقدمت زهراء لمصافحة أبو العسر وأبو اليسر، إلا أنهما صدوها وأمراها بالجلوس في مكانها الذي حدداه لها. . حيث جلست على كرسي مقابل لهما. . .

أبو اليسر: أهلاً بك يا بنيتي. . أنتِ في بيتكِ. . لا تقلقي. . لم أكن أعرف أنك جميلة إلى هذا الحد. . لقد كبرتِ بسرعة. . ما أروعك.

- زهراء: شكراً لمجاملتك يا عمي. .

- أبو اليسر: أعرف صراحتك. . تحدثي إلينا ولا تخافي. .

- زهراء: لكنني أرى عمي أبو العسر لا يريد النظر إليّ ولا

التحدث معي . .

- أبو اليسر: يا بنيتي . . هو عمك وهو كبيرنا . . تحدثي واطمئني . . نحن بشر من لحم ودم . . لنا أحاسيسنا ومشاعرنا . .

زهراء: حينما نجحت في الثانوية العامة تقدمت للالتحاق بالجامعة، وكان عمري ثمانية عشر عاماً . . وتقدم لخطبتي أحد أبناء عمي أبوالعسر، ووافقت كي لا أكون لأحد من خارج قبيلتنا . .

مثل ما بيقول المثل، «زيتنا في دقيقنا» . . كان يتحرش بي جنسياً فنبهته إلى أننا أولاد عمومة وسنكون زوجين ويجب أن يمتنع عن أفعاله تلك، لكنه أقام علاقة جنسية كاملة مع إحدى صديقاتي لإغاظتي . . وكان يتصل بي وهى في أحضانه وكنت أسمع صوتها تتأوه . . وغضبت جداً وقررت التخلص من هذه الخطوبة . . إلا أن عدة أطراف تدخلت في العائلة وأعادوا المياه إلى مجاريها . . فالتزم حدود الأدب وحدد موعد زواجنا فور انتهائي من السنة الأولى من الجامعة.

ساد صمت وقلق . . فيما زهراء ترشف الماء لتحاول تهدئة نفسها . .

- وفي آخر يوم من أيام الامتحانات جاءنى خطيبي إلى الكلية بعد الامتحان، وأخبرني أنه يريد أن يحتفل بي بمناسبة أنتهاء العام الأول بسلام . . وذهبنا إلى أحد المطاعم الشهيرة . . وطلب الغداء . . فذهبت للحمام وعدت بعدها بدقائق . . تناولت رشفات من عصير

الليمون فأحسست بدوار خفيف.. وتناولت معه الطعام وأحسست بثقل رأسي وأخبرته بذلك، فأبدى قلقه وانزعاجه.. ثم ركبنا السيارة معاً وطلبت منه توصيلي إلى بيتي.. واتصلت من تليفون سيارته بأمي لأبلغها بأنني سأتأخر قليلاً، اصطحبني معه إلى فيللته وأخبرني أنني سأظل معه لمدة ساعة حتى أستعيد نشاطي وتوازني وأعطاني كأساً من العصير.. بعد أن شربته أحسست أنني في عالم آخر.. طلب مني أن أرقص له فرقصت.. وأن أخلع ملابسي فخلعت.. وناولني كأساً آخر، وأخذ يقبلني ويحتضنني وأنا غائبة عن الوعي.. ولم أدر بشيء مما حولي وذهبت في غيبوبة تامة..

يأمرها أبو العسر بالسكوت.. لكنها تجاهلته وواصلت حديثها:

- عندما أفقت وجدت نفسي عارية في السرير كما ولدتني أمي، واكتشفت أنني فقدت أعز ما تملكه كل فتاة.. فصرخت بأعلى صوتي بعد أن شاهدت دمائي على السرير،

حاول تهدئتي، فقال أنا ابن عمك وشرفك هو شرفي وسوف نتزوج خلال أيام، لا تقلقي.. اطمئني تماماً، ثم أعادني إلى بيتي، وأغلقت عليّ حجرتي وانخرطتُ في نوبة بكاء حادة، فقد وضع خطيبي في العصير مواد مخدرة، لقد اغتصبني ولم يراع صلة القربى التي تجمعنا أو الفضيحة التي سببها لي ولكل العائلة.

وبعد مرور عدة أيام لم يتصل بي خلالها قررت الاتصال به فأخذ يتهرب مني، وفاتحت أمي بالموضوع، فضربتني وحبستني في البيت،

وأخبرت أمي والدي بما حدث، فذهب إلى عمي أبو العسر الذي حاول إقناع ابنه بسرعة إتمام الزفاف.. لكنه رفض وقال: ما يدريكم أن ابنتكم كانت بكراً قبل أن أضاجعها؟ أنا لن أتزوجها..

وذهبت إلى طبيبة أمراض نساء وولادة وأجرت لي تحليلاً وأكدت لي أنني لم أحمل..

تحملت عاري داخلى .. لم أكن أستطيع أن أرفع عيني في عيون أمي أو أبي وأخوتي.. فعشت في وحدة وعزلة قاتلة في البيت إلي أن بدأت الدراسة الجامعية..

تعتدل زهراء في جلستها وترشف قليلاً من الماء لتبتلع غصتها، وقد شحب وجهها وخفت صوتها.. وقالت:

والتحقت بالسنة الثانية ورفضت الاختلاط بزملائي وزميلاتي..

انطويت على نفسي، ولكن كان أحد زملائي ويدعي ادريس ينظر إليّ نظرة عطف وحنان، في البداية لم أعره اهتماماً، لكنه كان يسألني كل يوم، كيف حالك؟ مالى أراك وحدك دائماً.. وما هذا الشحوب الذي يكسو وجهك؟ وظل كل يوم يتابعني.. كنت أقرأ في عينيه الصدق.. وبإحساس الأنثى في داخلي أدركت أنه لا يطمع في شيء مما يطمع فيه شباب اليوم وبالذات شباب قبيلتنا.

وذات يوم لم يأت هذا الزميل، فأحسست بفراغ كبير.. وبعد يومين عاد، فسألته عن سبب غيابه.. فأخبرني أنه كان برفقة أحد أقاربه بالمستشفى..

زاد الضجر على وجوه الجميع،

- أبو العسر: وماذا بعد يا زهراء؟، أوجزي القول

- أبو اليسر: مهلاً عليها يا عمي.. دعها تواصل حديثها

- والد زهراء: اسمحوا لي بالانصراف

- أبو العسر: لقد سمعنا بما فيه الكفاية

- تقاطعه زهراء: ها هو والدي قد انصرف.. دعوني أقص عليكم ما هو أهم وأخطر..

- فتواصل حديثها قائلة: في هذه الأثناء أحببت هذا الزميل وتمنيت أن يطلب مني الزواج.. وانتهت الامتحانات واتصلت به والتقيته خلال الإجازة في أحد المتنزهات وقضينا وقتاً ممتعاً وعدت إلى بيتي وأنا أكاد أطير من الفرح.. واشترى لي والدي سيارة جديدة كنت أصطحب زميلي ادريس بها.. وشرحت له ما حدث من ابن عمي.. فأعلن رغبته في الزواج مني وأنه مستعد لدفع المهر الذي تطلبه أسرتي، وعرضت الأمر عليهم لكنهم رفضوا رفضاً قاطعاً، فقررنا الزواج العرفي، فاصطحب اثنين من أصدقائه وذهبنا لشيخ عقد قراننا وذهبت معه إلى بيت صغير، قليل الأثاث، وهو بيتي الآن، وعشت معه كزوجة شرعية لكنني... «مقاطعة» من أبو الأخفش: اخرسي يا بنت.

- كان أبوالعسر في قمة غضبه وأخذ يقرأ المعوذتين بصوت واضح ومتهدج فيما كان أبواليسر يستمع بإنصات شديد، حينما واصلت كلامها.

- زهراء: لكننا لم نقتنع بالزواج العرفي فذهبنا وعقدنا عقد زواج رسمي، ونظمت رحلة لبعض الصديقات لمدة أربعة أيـام قضيتها كلها مع إدريس في بيته. ولعلك تعـرف يا عمي أن هناك مشكلات عديدة بين بنات وشـباب العـائلة، وهناك أكـثر من حـالة زواج أو طلاق أو حتى فرار تمت بطريقة قسرية.

هنا صـرخ أبو العسـر: اسكتي يا صـعلوكـة.. هيا اخـرجي من قصري إلى غير رجعة.

- أبو اليسـر: لا عليك يا ابنتي.. اطلبي السمـاح من عمك أبي العسر فلكل داء دواء.

ويطلب أبو اليسر من أبي العسر الذي هب واقفاً الانتظار في غرفة أخرى حيث يجلس والد زهراء.

- أبو اليـسر: أعلم يا زهراء مـدى فساد شـباب وبنات العـائلة، وأعلم أيضاً إحـدى الفتيات اللواتي هربن مع عـشيقهـا وقد وصلتني معلومات مـؤكدة بضبطها مع عـشيقها، سـمعتها أصـبحت على كل لسان، وهذا العشـيق اسمه أمين، وقد نهبت من أمـوال زوجها الذي كان معها في لندن ٣٠ ألف دولار وأعطتهم لعشيقها أمين.

زهراء: نعم يا عمي.. كل ما قلته صحيح..

ظهرت علامات التشفي على أبي اليسر من اعتراف زهراء على ابنة أبو العسر كبير المشايخ..

- أبو اليسر: أعلم جيداً بكل فضائح العائلة..

- زهراء: لقد تعرضت لصدمة نفسية أثرت على ثقتي بالعائلة كلها. . وأنا أحب إدريس وهو زوجي. . ولست عشيقة غيره لأحد كما تفعل الكثيرات من بنات العائلة. . ولعلمك يا عمي فمعظم شباب وبنات العائلة لديهم شققاً خاصة يمارسون فيها مجونهم. . يعيشون عالمهم الخاص. . يسكرون ويزنون ويحششون ويفعلون ما لا يخطر على البال. . سواء من داخل العائلة أو من خارجها مع بنات وشباب الرعية!

- أبواليسر: مادمتِ تتحدثين بصراحة فسوف أساعدك.

يخرج أبواليسر ويأتي بالشيخ أبي العسر ووالد زهراء.

- أبو العسر: والآن يا زهراء. . سوف نطلقك من زوجك الصعلوك ونزوجك من أحد شبان العائلة.

- زهراء: لا يا عمي. . أنا أحب زوجي. . فهو لم يغدر بي. . كما أنه يحبني بجنون. .

- أبو العسر: آه منك يا فاجرة. . هكذا تعترفين أمامنا ومن دون حياء أو خوف.

- أبواليسر: يا جماعة الخير. . مهلاً وسوف نتدبر الأمر.

- والد زهراء: لقد سودتِ وجوهنا يا زهراء. . الله يسود وجهك يا فاجرة.

- أبو اليسر: الموضوع انتهى ويحتاج لمعالجات هادئة والآن يا زهراء الزمي بيتك حتى نتدبر أمرك. . مع السلامة. .

يأخذ والد زهراء ابنتــه ويخرجها ويـبقى أبو العسر مع أبي اليــسر فقط حتى أتفقا

- أبو العسر: لندبر معاً قتل زوج زهراء حتى نستريح.

- أبو اليسر: اتفقنا.. وليظل هذا الأمر سراً بيننا.

كان أبــو اليســر يريد أن يورط شيخ القــبيلة في أي مــشكلة، وأن ينتقم منه جــراء الاستهزاء به في كل مناســبة، ومحاولة فــرض كلمته عليه باعتــباره شيخ مشــايخ البلد، وصاحب الكلمة العليا فــي القبيلة وكذلك لأن الشيخ يعرف الكثير عن مفاسد الزعيم وغرامياته وارصدته سواء في بنوك الخارج أو في الخزانة الموجودة في داخل القصر.

❖ ❖ ❖

الفصل التاسع

كانت البلد تئن من الحصار المفروض عليها، وحالة الرعية تزداد سوءاً، والفساد استشرى بصورة مرعبة وغير مسبوقة.. فالحكم يتم بقانون الأحكام العرفية وكل خيرات البلاد منهوبة من العائلة الحاكمة وزبانيتهم فزاد فقر الرعية واتجهت سيدات بيوت محترمة لاحتراف الدعارة حتى يتمكنَّ من إيجاد طعام لأطفالهن..

سادت حالة عامة من القرف بين الرعية تجاه الحكام، خصوصا بعد تداول مجلة سرية اسمها (النجدة)- أخبار الفساد والانحراف لشباب العائلة الحاكمة، كانت المجلة تباع على نطاق واسع في الشوارع وفي كل محافظات جمهورية نهبستان.. ولم يتوصل العسس لمكان طباعتها أو ناشرها، ووصلت المجلة للحكام الذين زاد غضبهم وسخطهم على الرعية بعد أن فضحتهم واخترقتهم هذه المطبوعة التي كان يتلقفها الناس بلهفة ويقومون بتصويرها، وترويجها.

في هذه الأثناء كانت أماني وإبراهيم يعيشان قصة حب رائعة، فهما مناضلان التقت أفكارهما على محاربة الفساد، والانخراط في العمل السري..

بعد رفع الرقابة عن إبراهيم وأماني كانا يلتقيان ويوسعان مساحة نشاطهما السري..

- إبراهيم: أشعر أن الأيام تسرق أحلامي وعمري.

- أماني: وأنا أيضاً يا إبراهيم.. فمنذ تعارفنا وخطبتنا ليس لنا من مجال في الحديث إلا السياسة والعمل السري.. لم نتحدث بعد عن أحلامنا وتوجهاتنا للمستقبل وحياتنا الخاصة..

- إبراهيم: لقد حملنا أنفسنا هموم الرعية بدلاً من أن نحمل همومنا.. واكثر مما يحتمل وما يفوق طاقتنا.

- أماني: أحاول جاهدة أن أشعر نفسي بأني امرأة من حقها الحب والزواج وأن تشعر بلحظات عاطفية خاصة مع حبيبها، أنني أحبك بجنون.

- إبراهيم: على فكرة يا حبيبتي.. إنني أحتفظ بسر سوف أبوح لك به بشرط أن تقسمي لي بأن علاقتنا لن تتغير بعد البوح به..

- أماني: أقسم بالله الواحد الاوحد أن سرك في بئر.. وأنني قبل البوح به وبعده أحبك ومسامحتك..

- إبراهيم: قبل أن أعرفك بسنوات حين كنت أدرس بالجامعة.. تعرفت إلى فتاة وأحببتها وأحبتني.. وقررنا الزواج.. ذهبت لأهلها فرفضوني لأنهم مرتبطون بوعد مع أحد أقاربهم.. وتدخلت الفتاة لاقناعهم وقالت لهم إنها تحبني.. لكنهم أسرعوا بتزويجها من قريبها لترضخ للأمر الواقع.. حاولت الفتاة الانتحار أو الهروب معي.. فأقنعتها بنسيان ما بيننا من حب لعدم قدرتنا على مواجهة عاداتنا وتقاليدنا.

وبعد زواجها من ابن عمها طلبت مني أن أزورها في بيتها، فرفضت رفضا قاطعا.. لكنها قالت لي إن زوجها مسافر لمدة أسبوع، وأنها ستتغيب عن الكلية.. فذهبت إليها.. استقبلتني بأحضان وقبلات ملتهبة.. ونهلنا من الجنس بشراهة.. لقد عوضنا شعورنا بالحرمان.. وتعددت اللقاءات في مواعيد الكلية، وذات يوم ذهب

والدي إلى الكلية فأخبروه أنني لا أحضر منذ عدة أسابيع، واجهني والدي فلم أستطع الانكار.. وقررت قطع علاقتي بها تماما على أن تقتصر مقابلاتنا في الكلية كزملاء فقط.. وصدقيني يا أماني.. أنا صادق معك وصريح وواضح.. فسامحيني على صراحتي.

تبدو علامات الغضب والثورة على وجه أماني.. فهي تحبه ولم تكن تتوقع منه ما سمعت.. لكنها امتصت غضبها وتغلبت على ثورتها.. فقالت له:

- سأغفر لك هفواتك السابقة مادمت صريحا معي وان لا تفعل ذلك مرة أخرى وسر حبي لك هو صراحتك..

- إبراهيم: الآن شعرت بارتياح شديد بعد أن تأكدت من أن سري قد بحت به لحبيبتي وأنها تحبني لصراحتي.. وقد صفحت عني، واعدك بأنني سأظل أحبك حتى أفنى أو يفنى الزمن.

- أماني بدلال: إذن قل لي ما هى عيوبي؟!

يطلق إبراهيم ضحكة عالية فيها كثير من الثقة - والاعتزاز بالنفس ويقول:

- عيبك الوحيد أنك تحبينني!

وافترقا على وعد بلقاء قريب..

❖ ❖ ❖

كان إبراهيم مشغولا بتوليه مسؤولية التنظيم السري الذي شكله مع رفاقه.. حاول التنحي أكثر من مرة، ولكن رفاقه أصروا على قيادته، كان إسماعيل الأكثر قربا من إبراهيم، والأشد خوفا عليه، وكان

أكثرهم تدينا يرفض الإزدواجية بين الحياة الخاصة والعامة. .

وذات يوم فاتح إسماعيل إبراهيم بعلاقته بأماني وطول فترة الخطوبة، ولابد من سرعة إتمام الزواج. .

- إبراهيم: أنت الوحيد الذي له حق التدخل في شؤوني الخاصة. . وأعدك ألا تطول فترة الخطبة أكثر مما مضى.

- إسماعيل: هل يعني ذلك أنك تحدثت مع أماني بهذا الشأن.

- إبراهيم: أنت تعرف وضعي الحالي، فأنا بدون عمل. . أنا عاطل. . فهل ستقبل أماني الزواج من عاطل. . ولكن قل لي ما سبب حدة تعاملك مع عبد الغني رغم مجاراته لك ومحاولاته المستمرة في التقرب إليك؟

- إسماعيل: أنا أحب عبد الغني وأثق في اخلاصه. . لكن علاقته بجميلة. . هذه الساقطة تؤرقني. . فإذا غدرت به ما تدري كيف ستنتقم منه؟ هذا سيؤثر عليه شخصياً وتنظيمياً. . فهو متزوج ومن أسرة محترمة ولو عرفت الساقطة بموضوع زواجه فلن تسكت. . وفي جميع الحالات لابد أن نقف معه وبصدق. .

- إبراهيم: عندك حق. . ولكن لماذا اخترت قائد لتحمل مسؤولية مالية التنظيم. .

- إسماعيل: قائد موهوب في الإدارة المالية. . وأيوب موهوب في تحمل مسؤولية الإعلام والمتحدث الرسمي لأنه متابع جيد لكل ما ينشر في الصحف والمجلات ولديه كفاءة نادرة في تفقد مواقع الإنترنت. .

- إبراهيم: لقد أصبت حينما أطلقت عليك لقب (حكيم التنظيم).. لكنك لم تكن حكيما معي بإقرارك وإصرارك على قيادتي للتنظيم.

- إسماعيل: أنت تمنحني أكثر من حقي وحجمي.. أنت من الآن لست ملكاً لنفسك.. فالعمل العام يحتاجك.. وكل الرفاق يحبونك ويكنون لك التقدير والاحترام.. ودعك من هذا فلكل حادث حديث.. لأن الوقت لم يحن لما تفكر فيه الآن عن هروبك من تحمل قيادة التنظيم.

- إبراهيم: لقد ذكرتني بما يقوله الزعيم.. لكل حادث حديث.. إنه يحاول أن يلصق نفسه بالمثقفين وهو ليس منهم.. هو جاهل وغبي وزعيم عصابة كل همه هو وعصابته. نهب البلد.. والمشكلة أن الرعية تعلم ذلك ولا تحرك ساكنا..

- إسماعيل: لن يستمر هذا الوضع طويلاً بإذن الله.

- إبراهيم: سمعت أن مجموعة من الضباط شكلوا تنظيما فيما بينهم لقلب نظام الحكم.. لكنهم فشلوا والقى القبض عليهم.

- إسماعيل: لقد تم إعدام عدد كبير منهم وأحالوا عدداً آخر إلى التقاعد.. وقد سرّب الزعيم هذا النبأ بطريقته ليرهب من يفكر في القيام بمثل هذا الأمر من الضباط والجنود.. على رأي المثل.. اضرب المربوط يخاف السايب!

- إبراهيم: لقد سمعت أن الضابط الذي كان مكلفا بمراقبتي قد زارك في بيتك.. ماذا دار بينكما؟

- إسماعيل: كانت الزيارة نتيجة لدعوة وجهتها له أثناء لقائي به عند أحد أقاربي.. وقد سمعت منه أنه يريد التقرب كصديق وكمصدر للمعلومات والحماية.. لم أشأ دعوتك لالتزامي الحذر من كل رجال الأمن.. وهناك احتمال نقله من أمن العاصمة لأية مدينة أخرى لخلافه المستمر مع زملائه وقياداته..

- إبراهيم: ولكن كل ما أخافه أن يعرف طبيعة علاقتي بك.. ولعلك أخبرته بعلاقتي بأماني ونصيحته لي بالتروي قبل الإقدام على الزواج..

- إسماعيل: أعلم أن موضوع أماني يؤرقك.. هل ستظل معنا في التنظيم أم ستلزم بيتها رغم حاجتنا الشديدة لجهودها معنا..

-إبراهيم: سوف أستطلع رأيها وأحاول إقناعها بوجهة نظرك.. وفي النهاية فإن القرار قرارها وحدها وهى المسؤولة عنه..

- إسماعيل: ما رأيك في نشر أخبار فضائح بنات العائلة الحاكمة في المجلة؟

- إبراهيم: فكرة رائعة.. فهذه المواد تزيد نسبة التوزيع من جهة وتثير حنق الرعية ضد الزعيم وهيئة الحكم من ناحية أخرى.. لذا يجب أن ندفع عبد الغني في اتجاه الساقطة جميلة مرة أخرى وأخيرة ليعرف منها أسرار بنات الحكام..

إسماعيل: اتفقنا..

❖ ❖ ❖

بينما الحكام منشغلون بالاستعداد الرسمي للحرب التي ستشنها عدة دول ضد جمهورية نهبستان، كان الرعية منشغلون بتدبير أوضاعهم المعيشية والبحث عن قوت يومهم في ظل زيادة معدلات الفقر وارتفاع الأسعار وزيادة البطالة وانخفاض قيمة العملة الوطنية بشكل غير مسبوق.. لذا فقد انعدم الولاء والانتماء للوطن وانصب الاهتمام على المصالح الذاتية.. وأصبح التعيين في وظائف الدولة يتم طبقا لولاء الخريج للزعيم وعشيرته وعلى أساس ما يقدمه لخدمة أحد أفراد قبيلة الزعيم.. واستشرت الانتهازية والنفاق والتملق لصعود السلم الاجتماعي والوظيفي بسرعة مذهلة على حساب الآخرين.. وأيضا على حساب الكفاءة والخبرة والمؤهلات العلمية.

لذا فقد تهافت عدد كبير من الرعية للانضمام للحزب الحاكم.. حزب الزعيم.. هو حزب السلطة والثروة وحزب الأغلبية المزورة.. حتى عبد الغني انضم لهذا الحزب ووصل إلى منصب أمين مساعد التنظيم في إحدى مقاطعات العاصمة المهمة.. ومن خلال عضويته فقد سعى لتعيين إبراهيم وإسماعيل وغيرهما في وظائف حكومية جيدة برغم اعتراضات أجهزة الأمن عليهما.. ونجحت جهوده في تعيين أيوب.. وتعرف من خلال عضويته في الحزب على إدريس الذي اكتشف ثورته ضد العائلة الحاكمة.. لكن عبد الغني وإدريس جمعتهما سهرات شبابية مع أبناء الذوات، حيث ضمت السهرة جميلة وعبد الغني وإدريس وزوجته زهراء، وأسدى عبد الغني نصيحة مهمة لإدريس فأبلغه أن الأمن يتعقبه ويبحث عنه في كل مكان، وأن الحل

الوحيد هو الرحيل لقبيلته والاحتماء بشيوخها..

ولكن إدريس فر إلى أوروبا، فما كان من الأمن سوى محاصرة قريته وإعدام والده واعتقال أشقائه الثلاثة ومصادرة أملاكهم.. ثم قامت أسرة الزعيم بفسخ عقد زواج زهراء وتزويجها إلى أحد الأفراد من غير ذوي صلة القرابة المباشرة بالعائلة..

وانجبت زهراء من زوجها الجديد طفلة جميلة كأمها..

ولم تكن زهراء تطيق زوجها وكانت تنفر منه نفورا شديدا أثناء المعاشرة التي كانت على فترات متباعدة للغاية.. كانت تحتقره.. وكان هو يحتقرها.. أيضا ويعايرها بتاريخها..

وقررت الانتقام من العائلة الحاكمة التي تنتمي إليها بالإرتماء في أحضان أي شخص وممارسة الجنس معه في أي بقعة من بقاع الأرض.

وذات يوم عرفت زهراء رقم تليفون إدريس وعنوانه في أوروبا وسافرت إليه وأعطته مبلغاً كبيراً اشترى منه محلا تجارياً وسيارة وشقة.. وكانت تغافل زوجها الذي حجز لها جناحا في فندق كبير بفرنسا وتزور إدريس في الجناح الملاصق لها والذي حجزته له على نفقتها.. كانا يمارسان الجنس بشهوة الانتقام من زوجها ومن العائلة الحاكمة وبشراهة جنسية حقيقية كما كانا يفعلان في أيام عسلهما الأولى.

وفى إحدى الليالي عاد زوجها ليجدها في أحضان رجل غريب فتشابك معه وطرده..

كان هذا الغريب هو إدريس زوج زهراء الأول.·.

أما زهراء فقد نصحت زوجها بتكتم الخبر لأنه والد طفلتها وحفاظا على سمعة العائلة الحاكمة التي تعتبر أهم من عائلته الحافلة بالصعاليك.. والفضائح.

عادت زهراء مع زوجها وقد ازداد احتقار كل منهما للآخر بصورة أكثر وضوحاً.. احتفظا بالمظاهر الشكلية كزوج وزوجة وطفلة.. وطغت على علاقتهما الزوجية التوتر المستمر وعدم المعاشرة الجنسية الشرعية.

لكن عبد الغني عرف بالقصة من إدريس فقام بإبلاغ رفاقه لنشر هذه الفضيحة في مجلتهم السرية.. وما أن طبعت المجلة حتى تلقفتها الأيدي وكان ثمن النسخة باهظا رغم انها تباع بشكل سري وحاولت أجهزة الأمن شراء هذه النسخ فلم تفلح إلا في شراء أعداد قليلة منها..

ووقعت المجلة في يد زهراء.. فقرأتها وعرفت أن القصة قصتها.. فلم تحزن ولم تغضب.. بل كانت سعيدة بالانتقام من العائلة الحاكمة التي قهرتها.. وحرمتها من التمتع بحقها فى الحياة كامرأة.

والتقت زهراء بعبد الغني في إحدى السهرات وقالت له:

إنني حزينة جدا لما فعلته أجهزة الأمن بعائلة إدريس.. إنني مازلت أحبه.. كان حنونا وعطوفا معي في كل تصرفاته حتى ونحن على فراش الزوجية.. كم ألعن السلطة والجاه والعائلة الحاكمة.. لقد فرقت بيننا ومازلت مشتاقة له ومع الأيام تزداد حرارة حبي وشوقي له.

- عبد الغني: حاولي الخروج من عزلتك بعمل في وظيفة تستهلك وقتك وجهدك وتكون كفيلة بالنسيان.

- زهراء: حاولت.. وفشلت.. وقد كانت رغبتي جامحة في استكمال دراستي الجامعية ولكني لن أتنازل لزوجي المخنث... وما أرجوه هو.. الموت أهون عندي من رجائه.. أو معاشرته

- عبد الغني: لا عليك.. الأيام كفيلة بكل شيء..

- زهراء: ولكن قل لي.. هل تعرف القائمين على هذه المجلة التي استفزت العائلة وأطارت النوم من عيونهم؟

عبد الغني: لا.. وكيف لي أن أعرف.. أنا أقرأها مثل من يقرأونها.. أحيانا أجدها عند بائع في الشارع وأحياناً لا أجدها.. إنها مجلة تافهة تهتم بأخبار الفضائح فقط.

- زهراء: بالعكس.. فأنا أراها أفضل المجلات.. وأصحابها شجعان.. هم يقولون الحقيقة من دون أسماء، فضلا عن لغتها الأدبية الرفيعة..

- عبد الغني: ما هذا يا زهراء.. إن المجلة تستهدف عائلتكم والسلطة والبلد.. لا يمكنني تصديق ذلك منك.. أرجوك لا تفتحي معي سيرة هذه المجلة مرة ثانية فهي لا تستحق مجرد الحديث عنها..

- زهراء: أنت تخاف من حديثي معك بشأن المجلة..

- عبد الغني: هيا أوصلك لدارك.. ولكن ساعديني..

تتجه زهراء لابنة عمها وتقول لها: شاغلي جميلة حتى يخرج عبد الغني وسأغادر من باب آخر..

ابنة عـمهـا لجميلة: الله.. مـا هذا الفستـان الرائع.. من أين اشتريتيه.. إنه حقا مختلف.. رائع.. ولابد أنه غالي الثمن.

- جمـيلة: لن تصدقيني إذا قلت لك إنه من صناعـتنا الوطنية.. من جمهورية نهبستان.

ويواصلان الحديث.. فيما خرج عبد الغني ثم تبعته وزهراء وركبا معا في سيارتها.

- عبد الغني: ماذا لو رآنا زوجك ونحن في سيارتك؟

-زهراء: دعك من هذا المخنث.. إنـه في قريـته لمدة أسـبـوع.. هيا.. سندخل فيللتي، والآن ابنتي مع خادمتها السيرلانكية نائمة.

تتوقف زهراء بسيـارتها أمام فيلتهـا وتضغط على الريموت كنترول فينفتح الباب وهي بسيارتها.. فتدخل ثم يغلق الباب أتوماتيكياً..

- عبد الغني: ما هذا يا مجنونة.. الساعـة قد تجاوزت الثانية بعد منتصف الليل وتدعونني داخل فيلتك..

- زهراء: كن رجلاً.. ولا تخف أيها الجبان..

تدخل زهراء وعـبد الغني إلى جناحـها وتغلق البـاب.. ويجلس بينما تدخل زهراء غرفتها وتبدل ملابسها بملابس مثيرة وشفافة وتحمل كأسين وقارورة..

- زهراء: والآن اعتـبر نفسك في بيتك.. اخلع مـلابسك.. خذ راحتك وتصرف بحرية.

- عبد الغني: وما هذا الشراب؟

- زهراء: إنه شراب الملوك.. دعنا نجربه..

يخلع عبد الغني معظم ملابسه وتجلس زهراء ملتصقة به وتصب من القارورة في الكأسين حتى شربا معظم القارورة..

بدأت زهراء في التحرش بعبد الغني والتهمت شفتيه فيما وضعت يديها على يديه وتحسست بهما جسدها.. وفارت الشهوة.. وضغطت على زر هاتفها.. كلمت خادمتها بألا توقظها في الصباح وألا تفتح جناحها إلا بإذنها.. وبعد الاتصال بها فهي متعبة وبحاجة للراحة التامة.

كان عبد الغني لا يصدق ما يحدث.. وانخرطا يقطفان من ثمار الشهوة والجنس بشبق وعنف من جراء تأثير شراب الملوك!

دقت الساعة السادسة صباحا وهما على السرير.. يحاول عبد الغني التحدث ولكنها تضع إصبعها على شفتيه..

- زهراء: هذه نزوة عابرة.. لا تنشغل بها.. لا تلم نفسك أو تلمني.. كنت محرومة من الجنس منذ فترة طويلة.. أنت خطير وفظيع.. أنت رجل رائع.

تنهض زهراء وتفتح باب ثلاجة صغيرة تخرج منها عدة أنواع من الثمار والحليب. وبعد أن تناولا إفطارهما ناما.. ثم استيقظا في منتصف النهار.

يدلف عبد الغني إلى الحمام ومعه زهراء.. يستحمان معا.. وبمجرد خروجهما يعاودان الشرب من شراب الملوك ويهجم عليها ليضمها إلى حضنه ويغيبا في قبلة طويلة تتبعها التنهدات والآهات والانغماس في الشهوة والشبق حتى الثامنة مساء.

يغادر عبد الغني فيللا زهراء مـودعاً إياها بالقبلات والوعد بتكرار الزيارة.. ثم يتجه إلى صديقه إبراهيم..

- إبراهيم: مالي أراك حزينا؟

- عبد الغني: لقد خنت زوجتي.. ومع مَنْ.. مع زهراء..

- إبراهيم: انس هذا الأمر تمـاما.. وعليك الاعتـذار لزهراء كلما طلبت منك موعدا لمقابلتها.. والأفضل أن تحصل على إجازة وتذهب لزوجتك فـي مرابع قبـيلتك.. عوضـها عن غـيابك بحـبك لها.. أرجوك أنسى الموضوع فأنا خائف عليك يا صديقي.

- عبد الغني: أنت لا تعرف زهراء.. فهي عنيدة ويمكن أن تفعل أي شيء بتهور.. على كل حال سأنفذ ما قلته قدر الاستطاعة عساني أستريح!

ويحصل عبد الغني على إجازة لمدة ثلاثة أسابيع يقضيها مع زوجته وقبـيلته.. حـاول نسيان زهراء وجـميلة فلم يفلح.. ولـكنه فوجئ بزيارة إبراهيم وقائد في أثناء وجوده مع زوجته.. فاطمأن لهذه الزيارة كثيرا.. وفرح بزيارة أصدقائه..

بعد انتهاء اجازته عاد لعمله بروح جديدة وقد قام بتغيير رقم هاتفه الجوال.. وأبلغ عاملة الهاتف في عمله ألا تخبر من يتصل به بوجوده أو عنوانه أو رقم هاتفـه الجديد.. كـان ذلك مقـابل اغراءات مـادية ووظيفية.. وقـام بشراء شقة جديدة لم يعط عنوانهـا لأحد، كما باع سيارته واشترى سيارة أخرى مختلفة.

رغم ذلك لمحته زهراء في أحد المطاعم حيث كان يتناول عشاءه مع

ابن خـالته. . فـتوجـهت إليه وسلمـت عليه وعلى ضـيفـه وطلبت التحـدث إليه على انفـراد. . لكنه قال لها: هذا ابـن خالتي. . ليس غريبا. . اجلسي وتناولي عشـاءك معنا. . هو مريض وكنت في رحلة لعلاجه ولم أعد إلا بالأمس فقط. .

سألته زهراء عن رقم هاتفه فـقال إن هاتفه ضاع منه في أثناء رحلة العلاج. . وسوف يشترى غيره.

- زهراء: سأقوم بجولة سياحـية في مدن جنوب البلاد وأرجو أن تتصل بي.

ومن أسفل المنضدة مدت يدهـا تتحسس فخذيه بحركة عـصبية. . ففهم ما تريد.

يستأذن ابن خالته لدقائق.

- زهراء: لي طلب عندك يا حبيبي.

- عبد الغني: طلبك مجاب. . حتى لو كان لبن العصفور!

- زهراء: أنت تعرف طلبي جيدا. .

- عبد الغني: ولي طلب عندك يا زهراء. .

- زهراء: وما هو؟

- عبد الغـني: أنتِ تعرفين جميلة. . هذه السـاقطة التي تحبني. . خلصيني منها وسألبي لكِ طلبك. . فالساقطة لا يهمها فعل أي شيء يدمر من أحبته وهجرها. . حتى يخلو الجو لي ولك.

- زهراء: اعتبر موضوعها انتهى. . ولكن أرجوك قبلني الآن وإلا نهضت وقبلتك.

- عبد الغني: آه منك يا مجنونة.. نحن في مكان عام.. وكفاك عبثا من أسفل المنضدة. يبدو أن حرمانك من الجنس سوف يطيح بعقلك!

- زهراء: إذن، تعال معي لتثبت عقلي.. أكاد أجن.. أنت في الجنس فظيع.. فحولتك بهرتني.. لا أستطيع مقاومتك!

- عبد الغني: أعدك بإعادة عقلك إليك بأفضل مما كان عليه في لقائنا السابق!

يعود ابن خالته.. فترحب به زهراء.. وتستأذنهما بالانصراف..

- عبد الغني: ما رأيك يا منصور في أن أقطع علاقتي بها بشكل نهائي؟

كان منصور من المقربين لعبدالغني وهما لا يخفيان شيئاً من أفعالهم وأفكارهم.

- منصور: هذا هو عين الخطأ.. بالتدريج يا صاحبي أفضل.. وأنت يجب أن لا تأمن مكرها وشرها لو انفردت بك.

يغادر عبد الغني ومنصور المطعم ويستقلان السيارة في اتجاه منزل إبراهيم.

يقص عبد الغني ما دار بينه وبين زهراء على إبراهيم في وجود منصور.

- إبراهيم: رتب معها للرحلة إلى جنوب البلاد وسنحجز مكانا بالقرب منك لمراقبة تحركاتكما حتى نقوم بحل أية مشكلة قد تطرأ.. ما رأيكما بالسير قليلا خارج البيت؟

خرجوا سيرا على الأقدام.. وبعد عدة شوارع وقفوا لتناول مشروب بارد من أحد الأكشاك.. ثم توقفت سيارة حديثة بزجاج معتم ونزلت منها فتاة أنيقة وسلمت على عبد الغني بحرارة «كانت جميلة»

- جميلة: أين أنت يا عبد الغني.. لقد بحثت عنك كثيراً..

- عبد الغني: لقد وصلت أمس فقط مع قريبي سمير (يقصد منصور) فقد كنت في رحلة لعلاجه.. والان انصرفي فورا كي لا يلاحظنا العسس والأمن.

جميلة: لن أنصرف إلا بعد أن تطلب لي مشروباً.

- عبد الغني للبائع: هات عصير ليمون لو سمحت.

يناولها العصير وتجذبه من يده ليكون بعيدا عن رفيقة

- جميلة: آه منك يا ملعون.. لقد مارست الجنس مع كثيرين لكنه كان ببرود.. أما معك فأشعر بالحب والنشوة والوجود.

- عبد الغني: وأنت وحدك من تمتعني دون نساء العالم.. والآن هيا انصرفي قبل أن يلاحظنا أحد..

....

في منتصف الليل يتصل عبد الغني بجميلة، ويتحدث مع حالية، ومع بقية شبكة الساقطات، ووعدهن بزيارته قريباً بعد انتهائه من رحلة علاج قريبة

ذهبت زهراء لجميلة وخرجا معا لتناول العشاء في أحد مطاعم العاصمة الشهيرة.. وبعد تناول العشاء هددتها زهراء بأنها إن لم

تقطع علاقتها بعبد الغني فسوف تستصدر لها أمر اعتقال من المسؤولين الكبار.. وإن أفشت أسرار علاقتها به فسوف تدبر لها محاولة اغتيال والفاعل مجهول.

ولأن شريعة الغاب هي السائدة في جمهورية نهبستان فقد ابتلعت جميلة الاهانة والتهديد ووافقت على مضض ومرارة..

اتصل عبد الغني بجميلة في منتصف الليل بعد لقائها بزهراء وعرف منها ما حدث من زهراء.. فواساها.. لكنه كان في قرارة نفسه سعيدا بالتخلص من إحدى المشكلتين.. ثم اتصل بزهراء فقصت عليه ما حدث مع جميلة.. فزاد اطمئنانه.. ويتصل بعدها بإبراهيم ليبلغه بما حدث..

- إبراهيم: عجّل بتحديد موعد إجازتك في جنوب البلاد مع زهراء..

- عبد الغني: سأتصل بها غداً لأنني حجزت مكاناً لأيوبْ ومنصور وقائد بجوار المكان الذي ستنزل فيه.

- إبراهيم: علمت أن زوجها لن يذهب معها إلا بعد أسبوع.. وهذه فرصة لقضاء وقت ممتع معها.

يتصل عبدالغني بزهراء بعد ذلك بيومين ويعرف أن زوجها مسافر فى اتجاه آخر.. فتعرض عليه البيات معها.. ويوافق على الفور!

ما إن لمحت زهراء من شرفتها سيارة عبد الغني حتى هرولت وفتحت الباب وجذبته وأغلقت الباب، وأخذته في حضنها وغابا عن الوعي بعد قبلة حارة، وطويلة للغاية.

أدخلته في جناحـها الخاص، واطـمأنت لنوم ابنتهـا مع خادمتـها السيرلانكية.

خلعت رباط شعرها فانـسدل غزيراً ناعماً على كتفـيها العاريتين، فيما نهداها انتصبا شوقا ليدي حبيبها.. ثم فتحت ثلاجتها وأخرجت قارورة الشـراب الملكي وجاءت بالكؤوس.. وقـامت بفتح مسـجلها علي مـوسيـقى الرقص الشـرقي، ناولتـه كأسـاً وشـربت كأسـا.. وانهمكت في الرقص وهى شبه عارية، فيـما خلع ملابسه ناظرا إليها بشبق يلتـهم جسـدها البض بعينيه.. ثم قـام إليهـا واحتضنهـا بقوة وألقاهـا على السرير وقطّع مـلابسهـا الشفـافة وانقض عليـها ليـفرغ شحناته الجنسية في جسدها الملتهب.. التحما كجسد واحد..

بعد ثلث الساعة هدأ قليلا..

عبد الغني: تبدين كعروس في ليلة زفافها.. عروس جميلة حالمة.

- زهراء: أول مرة أسـمع منك هذا الكلام الجمـيل. ما أسـعدني بك.. أنت حبيبي والوحيد الذي أشعر معه أنني امرأة.

- عبد الغني: أنتِ بكل نسـاء العالم.. لقد قررت أن أزورك في مكان رحلتك..

وواصلا نهمهما وشبقهما حتى خارت قواهما وناما!

في الصـباح غـادر عبد الـغني يللا زهراء على وعـد بلقائهـا في جنوب البلاد..

في صباح اليوم التالي غادرت زهراء مع طفلتها وخادمتها بسيارتها إلى جنوب البلاد، وكان إبراهيم وعبد الغني وأيوب ومنصور يتجهون

بسيـاراتهم لنفس الجـهة. . فيـما كـانوا يتندرون مع عبـد الغني على مغامراته ويتمنون له قضاء وقت ممتع مع زهراء!

بعد ساعات سفـر طويلة قاربت الساعات السبع. . وصلت زهراء ووصل عبـد الغني ورفاقـه. . كان جناحـهمـا «عبـدالغني وصحـبه» مـلاصقـاً لجناحـها «زهراء». . أمـا الجناح الثـالث فكان لابنة زهراء وخادمتها. .

اتصلت به، فذهب إليها. . وبعـد أن جلس في جناحها رن هاتفه المحمول. .

- المتصل: أرجو أن تحضر فوراً، فاجتماعنا الآن. .

- عبـد الغني: إن موعـد الاجتـماع في الثـامنة مسـاء وليس في السادسة. . لن أستطيع الحضور. .

- المتصل: احضر فورا. . إنه اجتماع مهم وعاجل. .

تسحب زهراء الهاتف من يده وتغلقه بعصبية. . وتجذب عبد الغني لحضنها. . لكنه يسـحب نفسه منها تحت تأثير المكالمة الهـاتفية، شدته إليهـا، جذب نفـسه في الاتجـاه الآخر، وقـال لها: أرجوك اتركـيني الآن، أنا مشغول، لكنهـا لم تفعل بل ازدادت اصراراً وعناداً، وقالت له: من هي صاحبة المكالمة؟

قال لها: أنه مسؤول كبير بينى وبينه مصالح مهمة ويحتاجني على الفور، ارجوك اتركيني

قالت: لن اتركك، انت ستذهب إلى امرأة أخرى

لم يجد عبـدالغني مفرا من افتـعال مشكلة معـها، وأن يلجأ إلى

بعض العنف فقام وصفعها وركلها فسقطت زهراء على الأرض..

أخذت تبكي وتتألم من سقوطها وانهيار كرامتها..

قامت إليه تحتضنه.. لكنه نهرها..

- عبد الغني: لماذا أغلقتِ الهاتف يا زفت؟

زهراء: لأنني أحبك ولا أريد ضياع وقتك ووقتى فى الكلام والعمل، نحن فى أجازة خاصة.

- عبد الغني: لقد كنت أتكلم مع مسؤول كبير في الحزب.. ماذا سيقول عني الآن؟

- زهراء: دعك منه.. أنت معي الآن..

يقبلها عبدالغني ويطلب منها السماح عما فعله بها.

- زهراء: لو لم أكن أحبك لطردتك فوراً.. لكني أمضيت معك أجمل أيام عمري.. والآن إذا أردت حضور الاجتماع فمع السلامة

يغادر عبد الغني جناحها ويلتقي رفاقه فيحدثهم بما وقع بينه وبين زهراء.. نصحوه بالبيات عندها ومعرفة أي أخبار جديدة عن العائلة الحاكمة أثناء معاشرته لها..

بعد عدة ساعات يتصل بها فتخبره بعودة ابنتها مع الخادمة من رحلة بسيارتها.. وانهما الآن في نوم عميق.

ويحضر عبد الغني ويُقبلها فكادت تذوب في حضنه.. ولم تتوقف دموعها التي انهمرت وهي تعانقه بقوة.

زهراء: لم يدخل فراشي سوى زوجي المخنث وأنت.. لست ساقطة تبيع جسدها.. إن ثروتي هائلة.. ومع ذلك لا أشعر بالسعادة

إلا معك.. أحتقر زوجي كثيرا وهو يبادلني نفس الشعور.. لكني أحبك واحترمك ومستعدة لعمل أي شيء يرضيك.

- عبد الغني: هيا يا زهراء.. أنا في شوق لرقصك وجسمك الممتع.. هيا لننهل من نهر عسلك، فانت اجمل نساء هذا الكون، واكثرهن قدرة على اشباعي.

وبعد أن نهلا ما أستطاعا من نهر العسل استدرجها للحديث عن العائلة.. فحكت له الكثير من الأسرار والفضائح التي سجلها في ذاكرته.. ثم عاودا المتعة في فراشها الوثير!

❖ ❖ ❖

الفصل العاشر

الرعية هم المهمشون، يعيشون تحت خط الفقر بمسافة كبيرة، وبالرغم من تعدادهم الذي يقدر بملايين من البشر إلا أنهم يعيشون على هامش المجتمع الحاكم، لا توجد احصاءات دقيقة عن عددهم، إذ تتضارب في جمهورية نهبستان الأرقام عن كل شيء، بدءاً من عدد السكان، ومروراً بعدد العاطلين وأرصدة البنوك، وانتهاء بحجم الدين المحلي والخارجي..

لا أحد من الحكام يعرف كيف يعيش الناس في قاع المجتمع، فإن لم يسكنوا المقابر ففي العشش الصفيح مأوى لهم، أو في بيوت نخر الفقر عظامها حتى النخاع، فهي قبور يتحرك فيها الأحياء كالأموات .. فالمجاري تحاصر بيوتهم، ولم تصلهم في قراهم ونجوعهم المياه النظيفة ولا الكهرباء.. بيوتهم متلاصقة، إذا عطس أحدهم فى أول الشارع فالمقيمون فى آخر بيت يقولون له: يرحمكم الله، فما بالكم لو أن أحدهم يعاشر زوجته؟!

أزقة وحواري حتى في العاصمة، لا تسمح لاثنين متجاورين بالمرور معاً، وقد كان هذا الوضع موجوداً قبل ثلاثة قرون من الزمان في إحدى الولايات الأميركية، إذ تقابل خصمان لدودان، فقال أحدهما للآخر: أنا لا أسمح للأوغاد بالمرور أمامي، فرد الآخر: أما أنا فأسمح لهم بذلك.. تفضل!

هذا هو شر البلية الذي قد يُضحك هناك، ولكنه يُبكي هنا في جمهورية نهبستان..

الأطفال عـرايا في البرد القـارس وتحت الشمس المحرقـة، ورائحة المياه الراكدة وبقايا الصرف تزكم الأنوف، والحيوانات والطيور الداجنة تمرح مع الأطفال في هذا الوسط الموبـوء فساداً وتخلفاً وكـأن لا فرق بينهما.

قد يـخرج الأطفال بـهيئـتهم هذه إلى الـشوارع الواسعـة، يمدون أيديهم الصغـيرة وبعيـون بريئة انكسـرت من وطأة الحاجة للتـسول، يسألون المارة، وتخرج النساء حامـلات أطفالهن الرضع على الاكتاف لنفس الغرض. . فيما يستسلم عجوز لوطأة السعال، فيقبع في داره من دون دواء أو غـذاء، يتـمـني الموت كي يريحـه من الجـوع والفـقـر والمرض. .

في خارج الأزقة يجلس الشـباب العاطل ينفثون سمـوم حقدهم، ويبصـقون مرارة الحيـاة على الأحياء المرفـهة التي يعيش فيـها الحكام وذويهم، فـيمـا خرجـت بعض النسوة للعـمل خـادمات في بيـوت الموسـرين، أو بغـايا في دور الدعـارة المنـتشـرة عـلى أطراف المدينة وبحماية أجهزة الحكم من «القبضايات» أو «الفتوات» والبلطجية وقطاع الطرق المتحالفين مـع بعض رجالات أجهزة الأمن، فالفـساد لم يترك قطاعاً دون أن يمرق فيه، والمهم أن بعـض النسوة اتجهن إلى الانحراف بسبب الفقر، وبعد رحلة الداعـرة تأتي بالطعام لأطفالها، هم يأكلون من ثمرة تعب وكد فخـذي أمهم، ولا يدرون، ولكن زوجها المريض يدري، ولكنه يبتلع المرارة في جوفه، ولا يستطيع أن يطلب من امرأته

المعاشرة بعد استهلاكها من الغرباء!

الرجال الأقوياء يشاركون بفاعلية في عصابات السطو المسلح وفي ترويج المخدرات وحماية شقق الدعارة، مثل الشرطة والعسس تماماً لا فرق يذكر بينهما.

كان أحد الشباب قد اقترض مبلغاً لا يتعدى أصابع اليدين من العملة الوطنية واشترى بها بعض السلع التافهة.. علب كبريت.. أمشاط.. أقلام جافة.. مناديل ورقية.. وكلما ذهب الى مكان ليعرض بضاعته طارده رجال الشرطة والعسس.. يقف تحت الأمطار وفي البرد القارس.. ويتنقل في أحياء كثيرة.. كان جائعاً، لكنه كان يمشي كيلومترات عديدة تحت المطر يعرض بضاعته، ويعود في الليل لامرأته من دون نقود، كان يعود ببضاعته التي لم يبع منها شيئاً، كانت كلمات زوجته كالسهام في قلبه، ونظراتها تبكيه، وتكرر هذا المشهد أياماً، حتى مات بالسكتة القلبية كما أشيع بعد موته.

المقربون منه قالوا إن آخر يوم في حياته كان حافلاً، فقد استيقظ وقت الفجر، وصلى الفرض، ورفع كفيه إلى السماء يطلب العون والمدد، كان بكاؤه متصلاً في دعائه، لكن العون والمدد تأخر، فأيقن أن أبواب السماء قد أوصدت دونه، عرض بعضهم طعاماً عليه فقال إني صائم، وظل جائعاً إلى أن مات..

احتار أهله وذووه بجثمانه، فلا هم يملكون مقبرة، أو يملكون ثمن كفنه، يومها خرج الشبان والنساء عن بكرة أبيهم للتسول، حتى

جمعوا له ثمن كفنه، فيما سمحت لهم أسرة بوضع فقيدهم في مقبرتها!

حتى الموت بالمال.. والقبور بالمال...

ويل لك أيها الفقير المعدم إلى أين المفر...!

هؤلاء المهمشون ساخطون على الحياة والناس والموت، هم يرون الأطفال الميسورين بثيابهم الجديدة في العيد والمناسبات، بينما أطفالهم إن وجدوا الثياب فهي مستعملة وكبيرة الحجم على أجسادهم الضئيلة الهزيلة العجفاء، هم يرون الميسورين يدخلون الملاهي والسينما ويمتلكون أجهزة التكييف والتبريد والثلاجات والتليفزيونات وأحدث أنواع أجهزة الهاتف المحمول والسيارات الحديثة بينما يرون الفقر ماثلاً أمام أعينهم، فالفقر ضيفهم الدائم، غير المرغوب فيه، ولكن ما باليد حيلة..

أكوام القمامة تحاصر بيوت الفقراء، لا تهتم بهم حكومة جمهورية نهبستان، وللتخلص منها يحرقون تلال القمامة، فلا ماء نظيف أو نسمة هواء نقية، فالحياة بؤس وحرمان وعذاب يتمنون الخلاص منه، لكن هذا الخلاص لا يأتي أبداً!

في إحدى ضواحي العاصمة تمتلك أرملة كشكاً لبيع السجائر والمرطبات، تعيش فيه مع طفلها، ينامان معاً في وضع الجلوس ويقضيان حاجتهما في دورات المياه العمومية، ويستحمان كل أسبوع في المسجد القريب، وفيه يغسلان ثيابهما القليلة والرثة..

سيدة أخري تقـوم بمسح سلالم العمارات، فتعـيش على فتات أو بقايا الطعام الذي تفتش عنه في صفائح وسـلال القمامة أمام الشقق، وغيـرها كثيـرات يفتـشن في صناديق قمامـة العاصـمة عن أي شيء يصلح للطعام، بعد أن سبقتهما القطط والكلاب بالتهام ما يصلح!

سيـدة أخرى وزوجها كـان يبحثان في صندوق كـبير للقمـامة في العاصمة، ودموعهما تنهمر من عيونهما، هو يبكي لعدم توفيره أبسط مقومات الحـياة - الطعام - لامرأته، وهي تبكي إشفـاقاً على زوجها وعلى نفسها وحالتها المعيشية!

لم يتحـرك ضمير الـزعيم الحاكم وحكومتـه وحاشيـته من مناظر الأطفال الذين شـاخوا قبل الأوان، لـقد حفـر الفقر علي أجـسادهم أخاديداً فأصـبحوا أشبـاح أطفال، هم محرومـون من كل شيء حتى اللعب، فقـد طمس الزمن ملامح براءتهم وحـولت الملاعب والميادين العامة إلى مبان سكنية وتجارية لأصحاب الجاه والسلطان. .

والأكثر إيلاماً هو مشهد سـقوط منزل متواضع على من فيه، فمن مات قد مات، لقد استراح، وستتكفل جـمهورية نهبستان بدفنه، أما من أصيب ولم يمت فـحظه أكثر سـوءاً، والناجون أكثـر حنقاً. . أين يذهبـون. . كيف يعيـشون. . أين الجـدران الأربعة التي كـانت تكتم أسرار فقرهم المدقع وجوعهم الذي ينهش البطون الخاوية بشراسة؟!

وسط هذه الأجواء المأساوية كان الرعية لا يأبهون بالحرب المحتملة على البلاد، فهمومهم تكفيهم.

أما الزعيم فكان مصراً على عناده للمـجتمع الدولي، مؤمناً بقدرة جشيه علي الصمود والمواجهة، بعد أن قام مع مساعديه بتفعيل الجهود الدبلوماسيـة في عدة اتجاهات، كان أبرزها محـاولة تفكيك التحالف الدولي باستقطاب كل دولة في معـزل عن الآخرين، لكن كل جهوده الدبلوماسية باءت بالفشل..

لجأ أبو اليسر إلى سيـاسة أخرى وهى تقديم بعض التنازلات لقوى اقليمية مـجاورة حتى يؤجل قرار الحرب بدفعهم لتقـديم مبادرات قد تسـاهم في التســويف والمماطلة ومـحاولة إقناع الرأى العـام الدولي بقضية خاسرة..

فر الأشقاء والأصدقاء من الزعـيم، أصبحت دولته في عزلة تامة، فضلاً عن الحصار المفروض على جمهورية نهبستان..

وزادت الفجوة بين الزعيم والرعية فأصبحت هوة سحيقة غير قابلة للعبور أو الردم!

لكن البطانة الفـاسدة والمـفســدة للحاكم صـورت له ولاء الرعيـة باستعدادهم للوقوف بجانبـه صفاً واحداً بدمائهم وأرواحهم، وصدق الزعيم كلام المفسدين على الرغم من تعـامله بدموية ووحشية منقطعة النظير مع الرعية..

كانت الرعية تعـاني فيما كان الحاكم وبطانتـه ينهبون ثروات البلاد ويقودون عصابات الـتهريب ويستأجرون الصحـفيين من دولتهم ومن دول الأشقاء بأموال الرعية ليمجدوا الزعيم.

وفي اجتماع حضره الزعيم مع كبار مستشاريه، استعرض أبو اليسر انتصاراته وأمجاده واستعداده لدحر المعتدين وحماية البلد.. وسمح لبعض الوزراء بالحديث..

وزير العدل:

سيدي وولي نعمتي ونعمة كل الرعية، نحن لم نقصر في جهدنا بإصدار الفتاوى والتحريض والدعاء لكم في صلواتنا، ونستطيع القول بأن قلوب وعقول الرعية على قناعة تامة بحتمية انتصاركم المؤزر واستعدادها الدائم في مواجهة المعتدين وحمايتكم وحماية البلد.. فخطبنا ولقاءاتنا مركزة على ذلك، ونحن نعاهدكم على الصمود والمواجهة لردع المعتدين، ونكرر دعواتنا إلى الله بأن يوفقكم ويصوب نهجكم وينصركم على اعدائكم واذلالهم وإدامة عزكم الذي هو عزنا ويعلي من شأنكم لتعلو راية أمتنا بين الأمم..

وزير التموين:

أنا خادمك المطيع والوفي يا مولاي وتاج رأسي ورؤوس الجميع.. نود أن نطمئنكم على أحوال وزارة التموين التي عملت على توفير مقومات المعيشة وتيسير الحصول عليها وبأرخص الاثمان عن بقية البلدان.. وما يثار من شائعات عن رداءة التوزيع وغلاء الاسعار وغياب بعض المواد الاساسية انما هي شائعات يراد منها اثارة القلاقل بين الرعية ودفعهم للثورة على مقامكم الرفيع وهذا ما لا يمكن قبوله او تصديقه لان الرعية تحبكم ولا ترى غيركم مؤهلا لقيادتها، فالرعية

يا مولاي قد عرفتكم، واختبرت اصالتكم وصلابة معدنكم الاصيل في الوفاء لخدمتها والسمو بها نحو العلو.. فثقوا من أننا لن نألوا جهداً في تحقيق كل ما تتمنوه للبلد وللرعية من خير ورخاء واستقرار وتقدم.

وزير المعارف:

أيها النبراس السامي والرمز التاريخي للأمة والوطن اسمحوا لنا بأن نخبركم بما أنجزناه وثبتناه في كتب المعرفة والمنهج التعليمي وربطنا تاريخ الوطن والامة بتاريخكم البطولي في تحرير الامة والبلد والانطلاق الى المستقبل، وهذه الانجازات لا يمكن نسيانها بل إنها ستظل محفورة في ذاكرة التاريخ بأحرف من ذهب ونور.

يا رمز الأمة والوطن كم هي سعادتنا عندما نجد فلذات أكبادنا وهم يرددون صباحاً ومساءً اسمكم ويرفعون الدعاء إلى الله بأن ينصركم ويعزكم ويديمكم ذخراً لهذا الوطن وأمته.

وزير الخدمات:

يا صاحب الجلالة والفخامة كم هي سعادتنا عظيمة ونحن نقف اليوم بين يديك الحانيتين نقدم كشف حساب بمستوى تنفيذ قراراتكم السامية وأفكاركم المنيرة.. صاحب الجلالة بفضل توجيهاتكم السديدة تمكنا من توسيع الطرق ومدها وربط المدن والقرى ببعضها بعض، وطورنا خدمات الهاتف الارضي والفضائي وادخلناها الى كل المدن والقرى.. وهكذا بالنسبة لخدمات المياه والكهرباء والنقل وغيرها كلها

تشهد توسعاً وتطوراً كمياً ونوعياً. . وهذه الانجازات مثبتة للتاريخ فأنتم صانعوها ومؤسسوها ومحدثوها وسيظل اسمكم مسجلاً في ذكرة التاريخ كرائد التحديث والتطور للبلد والرعية.

وتوالت أحاديث الوزراء والمسؤولين والتي تؤكد أن الرعية مستعدون للدفاع عن الزعيم وعن الوطن!

❖ ❖ ❖

في خلال فترة حكم الزعيم التي زادت على ربع قرن من الزمان، كانت هجرة الكوادر البشرية المؤهلة على أشدها، وكذلك رؤوس الأموال الوطنية، وعلى الرغم من امتلاك البلد لثروات طبيعية هائلة، إلا ان الفقر المدقع هو السمة السائدة على الرعية، وبالرغم من تشدق الزعيم وحزبه بإرساء قواعد الديمقراطية واقرار حقوق الانسان والدفاع عنها، إلا أن الوضع الحقيقي كان على العكس تماما، فالصحف تتعرض للمصادرة وقد صودر بعضها وتم حبس الصحفيين، وشهدت السجون والمعتقلات تكدسا رهيبا بذوي الآراء السياسية التي تنادي بالاصلاح السياسي والاقتصادي والاجتماعي، وأيضا الذين قالوا "لا" لتوريث الحكم". .

عدد كبير من تلاميذ المدارس هجروا دراستهم ومدارسهم وعملوا كصبية في الورش، على الرغم من تشدق الزعيم بمنع عمالة الاطفال وأحترام حقوقهم وخصوصاً حياتهم.

وأسرة ابراهيم كانت تضم أخوته الذين يدرسون بالجامعة، فضلا

عن شقيـقه الاكبر عــبد الكريم الذي يعمل ضابطاً في الجـيش بمنطقة قريبة من العاصمة، لكنهم نقلوه إلى منطقة حدودية كعقاب له لنشاط شقيقه ابراهيم السياسي. .

والد ابراهيم احيل الى التقاعد بـنظام المعاش المبكر، لذا فقد كان من الصعب أن يسـتقل ابراهيم بحـياته بعيـدا عن أسرته التي تحـملته ثمانيـة اعوام بعد تخـرجه في الجامـعة من دون عـمل الى ان يلتحق بوظيفة حكومية. . لكنهم أجـمعوا على ضرورة تزويج ابراهيم بأماني واقامتـهما معاً في ذات الدار ريثـما تتحسن ظروفهـما المادية، وكانت زوجـة عبـد الكريم صـاحـبة الاقـتـراح، لأنها تعـتـبـر اماني أعـز صديقاتها. .

اتفق ابراهيم مع عـائلة أمـاني علـى اجراءات الزواج، فـوافـقـوا ورحبوا.

وفي ليلة أضيئت الانوار وعلقت الزينات، حـضر أصدقاء ابراهيم وصديـقات امانـي التي تزينت كأجـمل ما تكون العـروس. . البنات يرقصن على ايقاع الأنغام الشرقية فيـما كان الشبان يصفقون. . وقبل انتهـاء حفل الزواج تناول الحـضور عشـاءهم وسط مباركـتهم لزواج ابراهيم واماني. .

قضى العروسان أربعين يوما غارقين في العسل. .

كانت أماني تتفاني في خدمة ابراهيم وإسعاده. .

ابراهيم: حبيبتي وشريكة عمري. . أراك تجهدين نفسك في اعمال

المنزل لدرجة أنـك منعت شقيـقتي فـاطمة من هذه الاعمـال لتتـفرغ لدراستها، وكذلك زوجة عبد الكريم ووالدتي..

- اماني: انا سعيدة جدا بأنني أقوم بهذه الاعمال نيابة عنهن، فقد لمست مدي حنانهن وحبـهن لي، وأنا احبهن، فقد بذلت زوجـة عبد الكريم جهودها لاسعادكم، وكذلك والدتك، أما شقيقتك فأرجو أن تتفرغ لدراستـها.. ولو تعبت سأخبرك.. وأنا متأكـدة أنهم سيبذلون كل ما في وسـعهم لراحـتي وهنائي.. هم الآن اهلي وعـزوتي، فلا يفصلني عـنهم سوى باب خشـبي.. وكلما رأيت أولاد عـبد الكريم فرحت من قلبي بهم وكأنهم أولادي.

- ابراهيم وهو يضع يديه بحنان بالغ على وجنتيها:

بصراحة لا اعرف ماذا أقول لكِ.. أنتِ امرأة عظيمة ونادرة، وكل يوم يزداد حـبي واحتـرامي لكِ.. وأتمنى من الله أن يمنحني الصـحة والعمر لأسعدك وأعوضك عما فاتك من أيام..

- اماني: يا رب.. وتعويضك الوحيد لي هو ديمومة حبك..

❖ ❖ ❖

وفي زمن الطواريء والاحكام العـرفيـة اعيـد اعتـقال اسـماعـيل للاشتباه في انتمائه لجماعة أصـولية متطرفة معارضة للزعيم وحكمه، وهي تستخدم العمل السـياسي السلمي والعسكري السري، ولكن بعد اسبـوعين من الاعتـقال والتحـري والتحـقيق لم تثبت عـليه أي تهم فأفرجوا عنه بعد تعهد كتابي منه يتضمن مساعدة أجهزة الأمن بقدر ما

يستطيع، ولـم يكن أمامه أي خـيار إلا بالتعـهد مع رفـضه الداخلي لتحقيق وتنفيذ ذلك مهما كانت المغريات والمبررات.

وأثناء التحقيق معه دار الحوار التالي:

- المحقق: لقد وصلتنا معلومات من مصـادر مقربة وموثوقة تؤكد انضـمامكم المـبكر لتنظيم أصـولي متطرف، وهـناك اعضـاء من هذا التنظيم تم القبض عليهم واعترفوا لنا بكل شئ.

- اسمـاعيل: لقـد سبق أن قلت لكم موقـفي الواضح من تلك الجماعـات ومواقفها السـياسية والفكرية، ولا تهمني اعـترافاتهم، بل وأني على استعداد تام لمواجهتهم ومحاورتهم وبحضوركم وعلى العلن إن شئتم..

- المحقق: الانكار لا يفيـدك.. فدلائلنا تدينك وأنت للأسف لم تتعـاون معنا كـما وعـدتنا في المرة السابقـة، ومع ذلك فمـازلنا على استعداد للتعاون معك لو قلت لنا الحقيقة.

- اسماعيل: أي حقيقة تلك التي تريدني قولها.. أتمنى لو اعرف كيف فكـرتم بى وانا ومنذ فترة لم أمـارس السيـاسة بل إني ابتـعدت حتى عن المناقشات الساخنة سواء مع أصدقائى أو عائلتي.

- االمحـقق: لنقـبل إنك لا تكذب.. فـهـل تسـتطيع ان تكذب علاقتك بأبراهيم وتحولها إلى صداقة ولقاءاتكم المستمرة..

- اسماعيل: علاقتي بإبراهيم تعززت بعد الافراج عنا وتعارفنا في المستشفى وهى صداقة بين شابين بعـيدة عن أي ارتباطات سياسة وقد

ثبتت تحرياتكم السابقة حقيقة العلاقة التي تجمعنا.

- المحقق: ولكنكما دائما ما تلتقيان.

- اسماعيل: فعلا دائما نلتقي مع كثير من الشباب والناس كأصدقاء فقط، وهذا ليس عيباً ولا يشكل خطراً سياسياً وأمنياً خصوصاً أننا لا نزاول السياسة ولا نناقشها.

- المحقق: وعلاقتك بالمجلة المندسة.. (النجدة)؟

- اسماعيل: ليس لي بها أي علاقة او معرفة.. ثم لماذا لا تسألوني عن صديقي عبد الغني الذي يشغل موقعاً قيادياً في حزب الزعيم وزياراتنا اليه في عمله، فكيف يمكن ان نلتقي معاً ونحن متعارضان..؟ اعتقد أنكم لو سألتموه عنا لقال لكم طبيعة العلاقة التي تجمعنا..

- المحقق: سألناه ولكنه لم يفدنا... فهو صديقكم... وعلى اية حال يمكننا تغيير اتجاه الحوار... كيف تقيم الوضع العام للبلد؟ وماذا تتوقع أن يكون موقف الرعية من الحرب؟ وهل تتوقع بالحرب وما هي نتائجها وما هي وجهة نظركم الشخصية؟

- اسماعيل: لا استطيع ان اتحدث عن الوضع العام وانا بعيد عن مزاولة السياسة.. ولو شئت معرفة موقفي فلا بأس.. أنا كغيري من الرعية نرفض الحرب والحصار، وهذا الرفض لابد أن يثمر عن تولد روح الدفاع عن البلد عند الرعية... وأما عن الحرب هل ستقع ام لا فذلك في علم الله.. ولو وقعت فلا أستطيع القبول بنتائجها والحل

الوحيد الذى اقبله هو عدم تعـرض بلادنا للغزو والتدمير. . ولا يمكن لي أن أقبل بأن يأتي التغيير في بلادي عبر الحدود وبإرادة أجنبية وعلى ظهر دبابة غازية .

- المحقق: يعجبنا فيك طريقة تبرير مواقفك السياسية المعارضة.

- يقاطعه اسماعيل: مواقفي السياسية لا تستدعي أن تصنفوني في جانب المعارضة. . . لأنها مواقف عادية لواحد من أبناء الرعية يقولها لمجرد القـول وبعيـداً عن الكواليس السياسـية ومـدى قبولهـا أم عدم قبولها لا يهمني.

- المحقق: سيكون امامك كتابة رسالة تعـهد بالتعاون معنا قدر ما تستطيع حتى نعمل على الافراج عنك.

- اسماعيل: هل لي بسؤال خاص. .

- المحقق: تفضل. . !

- اسماعيل: هل ابراهيم معتقل معي بنفس التهمة؟

- المحقق: اطمئن. . فقد اسـتوعب الدرس جيداً وأحسن منك. . هل تخاف عليه؟

- اسـمـاعيـل: لا. . ولكنه يمقت التطرف وجـمـاعـات التطرف السياسي بكل أشكالهـا ولـم أسمعه في أي يوم متـحمس لأي حزب سياسي. . .

كان اسـماعيل قلقـاً على ابراهيم. . . فهـو يعرف ان هناك بعض الاشخـاص المنتمـين لجماعـات متطرفـة هي التي وشت به لتـصفـية

خلافات فكرية فيما بينهما، فاسماعيل كان يرفض الالتقاء بها أو التحاور معها لقناعته الفكرية والسياسية الرافضة للعنف مهما كان الهدف، وما ان تم الافراج عنه حتى سارع الاتصال بصديقه أبراهيم واطمأن عليه ومن السؤال بدأ ابراهيم يشك في ان شيئاً ما قد حصل لصديقه او قد يحصل فقرر أن يذهب لزيارته، وعندما استأذنه في زيارته طلب اسماعيل منه أن يؤجل الزيارة ليوم آخر نتيجة لارتباطاته العائلية، ولكن ابراهيم لم يقتنع برد صديقه فاتجه الى عبد الغني الذي عاتبه على غيابه وعدم قيام عائلة ابراهيم بالتعرف على عائلته التي تحتاج الى اصدقاء وتبادل الزيارات فهي قدمت من الريف ولا تعرف أحداً. . فوعده ابراهيم بتحقيق ذلك في اليوم التالى، وعندما سأل ابراهيم صديقه عبدالغني عن اسماعيل فأخبره بانه لا يعرف شيئا عنه منذ لقائهما قبل شهر. . فطرح ابراهيم الافكار التي راودته بعد سؤال اسماعيل عن ابراهيم، وطريقة طرحه للسؤال فقرر عبدالغني الاتصال باسماعيل ولم يبلغه عن وجود ابراهيم معه، ثم سأله عن صحته وحاجته هو وعائلته لزيارته وزيارة عائلته للتعارف، فرحب بهم اسماعيل واقترح عليه فكرة لقاء «الشلة» مع عائلاتهم في حفلة عشاء او غداء وأبدى استعداده للقيام بذلك. . لم يحاول عبدالغني حينها التطرق لأي أمور أخرى «ثم بادره اسماعيل»:

هذه المرة الجماعة كانوا معي لطفاء. . لقد استضافوني لمدة اسبوعين وعرفت منهم انك دافعت عني ولم يفرجوا عني الا بعد ان

اجبروني على تعهد كتابي بالتعاون معهم.

عبدالغني: بحق السماء ماذا تقول؟ لا.. لا أصدق أكيد انك تمزح معي..

اسماعيل: انا لا امزح وقد كنت قلقاً على ابراهيم ولكن الحمد لله أنه لم يحصل له مكروه.

- عبدالغني: حتى هذه اللحظة لا أصدق.. بالله عليك قل لي الحقيقة.. بالتأكيد انك تمزح.. اسمع أنا سأمر على ابراهيم ونأتي إليك.

- اسماعيل: لو انك مصمم على المجيء إليّ فأفضل ألا تخبر ابراهيم بما دار بيننا بل ولا تجلبه معك.. لقد وعدته أن نلتقي في يوم آخر.. أنت تعال وحدك ولكن مع المساء ولا بأس لو حضرت مع عائلتك، فعائلتنا تحب التعرف اليها.

- عبدالغني: لا بأس.. فهمت القصد من طلبك وسأبلغ عائلتي بذلك..

كان الغضب بادياً على ابراهيم في ملامح وجهه وحركاته وكلامه.. ولم يتمالك نفسه ويهديء من غضبه إلا بعد أن أقنعه بمحاذير اسماعيل الأمنية وخوفه عليه وبالذات في الأيام الأولى ورجاه ألا يفاتح اسماعيل بالامر الا بعد استقرار الأمور، مع التأكيد على عدم الاتصال به لحساسية الوضع الذي يمر به ووعده عبدالغني أن يحاول الاستفسار من أصدقائه عن طبيعة الموضوع كما وعده بأن

يسعى لاغلاق ملفاتهم نهائياً.

وقبل أن يغادر ابراهيم منزل عبدالغني وبعد أن عرّفه بعائلته ودعاهم لتناول الغداء معاً في اليوم التالي، رغم محاولة عبدالغني تأجيل الدعوة، ولكن ابراهيم كان مصراً لأنه يريد أن يعرف نتائج اللقاء المرتقب بين اسماعيل وعبدالغني من جهةوتعارف عائلتيهما من جهة أخرى فطلب منه ابراهيم أن يقوم بتوصيله إلى البيت فهو يرغب أن يتكلم معه في أمور أخرى فلم يتأخر عبد الغني عن تلبية طلبه..

وفي السيارة تكلم إبراهيم وسأله:

- لم تخبرني بعد عن زهراء ورد فعلها بوجود زوجتك وأقامتها معك؟

- يضحك عبدالغني ثم يرد:

ذكرتني بزهراء.. تصدق أن لها أسبوعاً كاملاً لم تتصل بي ولي أكثر من عشرين يوماً لم التقيها.. وعندما عرفت بوجود زوجتي تمنيت أن تتعرف عليها وعندما رفضت ونهرتها لم تعقب بغير إن شاء الله ما تكون نسيت وعدك لي.

ولكني وعدتها بأن نتواصل بل وربما قد نلتقي.. وعندما سألتها عن إن كان هناك شخص آخر يسليها أخبرتني غاضبة أنها وفية بوعدها لي بأن لا تعرف شخصاً غيري بعد زوجها.. لم أصدق نفسي وعندما قمت بمراقبة تحركاتها اكتشفت أنها لا تغادر منزلها إلا فيما ندر ومع ابنتها وخادمتها..

- ابراهيم وابتسامة عريضة ارتسمت على وجهه:

اذن خطتك نجحت.. ولكن قل لي بصدق ألم تشتاق إليها؟

- عبدالغني: بوجود زوجتي معي لم أشعر بذلك، فقط عندما تتصل بي أتذكرها فأشتاق إليها.. ولكن ليس كالسابق.

- إبراهيم: وهل تنوي لقاءها في الوضع الحالي؟

- عبدالغني: أنا بصراحة والآن فقط وبعد حديثك أفكر بأن التقي بها لقاء عابراً وليس على السرير..

- إبراهيم: وهل تعتقد أنه يمكنها أن تتماسك بعواطفها ومشاعرها لو التقتك؟

- عبدالغني: سأحاول قدر ما استطيع أن يكون لقاء عابراً ليس إلا، فهدفي ألا أقطع كل الحبال تجنباً لأي ردود فعل أو آثار جانبية وسلبية.. وأنت ماذا تقترح عليّ؟

- إبراهيم: بصراحة.. لا أدري.. ولكني أتمنى أن تكون خاتمة علاقتك بها أقل ضرراً.. وأنت يا صديقي لا تحتاج لأن أوصيك بزوجتك التي عرفت من ملامحها الطيبة الاحترام والاصالة الحقيقية وإخلاصها الشديد لك .

- عبدالغني: لم تقل لي كيف حالك مع أماني وهل تفكران في الإنجاب؟

- ابراهيم: الحمد لله على أن الله وفقني بها.. وفكرة الانجاب مؤجلة من جانبي لأسباب عدة أنت تعرفها ولا تخفى عنك.. المهم

أني سعيد معها وهي سعيدة معي.

- عبدالغني: ربـنا يوفقكم وأبشرك أن زوجتي حـامل في شهرها الرابع.

- إبراهيم: الف.. الف مبروك.. ولا تنس دعوتي لكم.. وغداً سنكون في انتظاركم..

أما زهراء وبعد وعدها لعبدالغني بعدم معاشرة غيره «بعد الافتراق» وغير زوجها فقد حاولت السيطرة على عواطفها ورغباتها ونزواتها كما توقفت عن التـواصل مع ابنة عمها وصـديقتها، وعـملت على اعادة علاقتها بوالديها وأخوانها الذين رحـبوا بها، واشترطوا عليها الاهتمام ببيتها وابنتها وزوجها، فـوعدتهم بأن تعمل قدر ما تستطيع مع نفسها وابنتها، أما زوجـها فإنها لا تستطيع أن تعده لأنه تزوج عـليها بالسر وهو يهـجرها طويلاً ولا يحـاول أن يكون مـعهـا زوجاً كـغيـرة من الازواج..

وعندما اقترح والدها طلب الطلاق أخبرته بأن زوجها يرفض تلك الفكرة وهي مقتنعة بأن لا تناقشه في الأمر، ولا تفكر في الزواج مرة ثانية فتـجاربها السابقـة كفيلة بان تنسيهـا كل شيء، ولكنها ذات يوم أسرت لوالدتها عن وجود عـلاقة عاطفية بأحد الشباب وهمـا يلتقيان بين الحين والآخـر، وأن هذا الشـاب هو الذي ساعـدها على تجـاوز مشاكلها وهو وراء تغيير تصرفاتها وحياتها.. وعندما سألتها الأم وهي في حالة متوترة عن صـديقها أجابتها بأنه متزوج ويحب زوجـته كما

أنها لا تشك بحبه لها.

- الأم: ما دام الأمر كـذلك فلماذا لا تقنعي نفسك بعـدم الفائدة من الاستمرار بعلاقتكما.

- زهراء: لا أريد مـقـاطعـتـه يا أمي.. فـأنا ست من لحم ودم وزوجي هجرني.. ومحتاجة إلى من يسأل عني ويسمعني كلمة حلوة ويشعـرني بأني امرأة.. فلا يعـقل أن أبحث عن من هب ودب ليلبي لي احتـياجاتى، وبين الحين والآخر أشـعر بالوحدة والحرمـان.. لقد أخبرتك عن ذلك حتى لا تلوميني وتغضبي مني مرة ثانية..

- الأم: ولكن هذا حـرام يا بنتي وأنت مـتـزوجـة ومهـمـا تكن علاقتك بزوجك فالواجب أن الزوجة تحافظ على شـرفها وشرف بيتها وعائلتها..

- زهراء: أرجوك يا أمي لا تحـاولي معي.. ولا أريد أن أخـبرك ببنات العـائلة والمتزوجـات والامهـات اللواتي لهن من الحكايات التي يشيب لها الرأس.

- الأم: أصابع اليد لا تتساوى.. أنت فتـاة متعلمة وتقدرين على موازنة الأمور وصديقك مرتبط.. فكري على الأقل بعائلته وكيف لو علمت بأمر علاقتكما؟

- زهراء: قلت لكِ ما في الأمـر.. وأني مقدرة شعـورك وأعرف أني لن أتضرر بخراب عائلة أخرى.. فالأمـر لا يتعدى مجرد لقاءات عابرة ومهدئة.. لننهي النقـاش في الموضوع أرجوك يا أمي لا تفتحي

ذلك مع أي كان.

- الأم: ربنا يهديك ويكون في عونك..

تبكي الأم وتلحقـها زهراء التي رمت بجسـدها في أحضان أمـها وتتوسلها بأن تسامحها وتعذرها ولا تتركها وحدها في ظروفها الصعبة التي تحتاج إلى صدرها وقلـبها لتشعر بالراحة والاسـتقرار.. تحملت الأم أوضاع ابنتها الكبرى ووعدتها بأن تقف بجانبها لعلها تتمكن من تخليصها من آلامها وأحزانها.

❖ ❖ ❖

الفصل الحادي عشر

على الرغم أن مجلة (النجدة) استمرت في الصدور، بل وانتشرت في أماكن جديدة إلا أن التنظيم السري تعرض لضربات أمنية اجهاضية متتالية، أدت إلى حدوث تصدع فيه، اثر على فعاليته، فقد هرب ادريس إلى أوروبا سراً، وكان يلتقي زهراء هناك، وبعد عودتها من الرحلة الأخيرة حرمت من السفر وظلت في وطنها وتوقفت اتصالاتها به بعد تعرفها على عبدالغني بينما تزوج هو من فتاة عربية مهاجرة بعد توثيق صلته بأسرتها، لذا فقد عاهد نفسه على عدم العودة للوطن والتكيف مع وضعه الجديد..

أما قائد وأيوب فقد كثفا نشاطهما لاستمرار صدور المجلة، واستقطبا عدداً من المحررين من أرجاء البلد، فيما اشتدت رقابة أجهزة الأمن زاد عدد قراء المجلة وارتفع سعر النسخة والكمية المطبوعة.

وللتخلص من الشبهات فقد انضم كبار محرري المجلة إلى حزب الزعيم، عملاً بالنصيحة الأمنية: «إذا أردت الهرب من الشرطة.. فاختبيء في قسم الشرطة".. فالبحث سوف يتم خارج أسواره وليس في داخله!

ومن خلال جهود إبراهيم وبمساعدة عبد الغنى استطاع إلحاقهم بوظائف مميزة في الدولة وتبوأ مسؤوليات في حزب الزعيم..

ويلتقي إبراهيم وعبد الغني يرافقهما أماني وزينب، «زوجتيهما».. جلستا يثرثران في أمور نسائية، وجلس الرجلان بمفردهما..

- ابراهيم: ماذا دار بينك وبين إسماعيل ليلة أمس؟

- عبد الغني: كالعادة، لقد كان إسماعيل رهن التحقيق.. ولكنه

لم يعترف بشيء!

- إبراهيم: يجب إقناع اسماعيل بالانضمام لحزب الزعيم حتى يتركه الأمن وشأنه..

- عبد الغني: فكرة صائبة.. ولكن اسماعيل لن يقبل.. خصوصاً أنه يصف الحزب الحاكم وسياساته بالهيكل الكرتوني.. ولكن المرحلة تتطلب منا أن نحني رؤوسنا حتى تمر العاصفة بسلام..

- إبراهيم: يجب أن نستشير بقية زملائنا في هذا الأمر.

- عبد الغني: إذن فلندعوا الجميع لاجتماع طارئ نناقش فيه أوضاع البلد وموضوع انضمام إسماعيل لحزب الزعيم..

اجتمع الرفاق بزوجاتهم في منزل اسماعيل لتناول الغداء..

وبعد ساعتين اجتمع الرفاق ليناقشوا أمور المجلة، وبعد انتهاء الاجتماع فوجئوا بمن يطرق الباب.. إنه الرائد حسين ضابط الأمن المكلف سابقاً بمراقبتهم.. دهشوا من المفاجأة..

- الرائد حسين: جئتكم زائرا كصديق.. وهي فرصة للتعرف على مجموعة وطنية مخلصة.. أين الشاي يا جماعة؟

- اسماعيل: تشرفنا بحضورك.. والبيت بيتك ونحن أخوتك وأهلك..

- إبراهيم: لم أرك منذ فترة طويلة.. أين كنت؟

- الرائد حسين: لم أكن بعيدا عنكم..

- إبراهيم: ماذا تعني بذلك؟

- الرائد حسين: ليس الأمر كما تتصور.. صحيح أنا أعرف

عنكم الكثير ولكني أؤيدكم.. ولست مقتنعا بحكم الزعيم وحاشيته الفاسدة.. وأتجاهل كثيراً تقارير العسس عنكم وأغلق عليها درج مكتبي دون استدعاء أي أخ منكم.. وأقدر إخلاصكم للوطن ودعوتكم للتغيير..

مرت لحظات في حديث ودي تخللته حوارات جانبية وكان الرائد حسين يناقشهم في أمور بعض أصدقائهم وينصحهم بالحذر لأن هناك توجيهات جديدة صدرت عن وزير الداخلية بزيادة الجرعات الأمنية وتوسيع شبكة التحريات.. وطلب منهم التعاهد معه بسرية ما دار بينه وبينهم.. وأعطاهم الشفرة الخاصة للاتصال به في حال طلب أي منهم مساعدته ووقت الضرورة.

وجاء أحدهم بالمصحف الشريف ويضعون أيديهم عليه ويقسمون بسرية ما دار من أحاديث بينهم.. وينصرف الرائد حسين قائلا لهم:

انتبهوا جيداً وخصوصاً أن هناك أجهزة أمنية تابعة للزعيم تتحرك في كل مكان وتبث العسس والتحصينات في جميع أرجاء الجمهورية وهي أجهزة مختلفة عن الأجهزة المعلنة والرسمية.

في هذه الأثناء كان الزعيم يعقد اجتماعا ضم مساعديه وكبار الضباط، وكان محور الحديث يدور حول كيفية تجنب مخاطر الحرب التي أصبحت على الأبواب، ودراسة المبادرات التي تقضي بتنحية الزعيم وتولي أحد أبنائه كشرط لتجنب الحرب المحتملة.. مبادرة أخرى ركزت على تنظيم انتخابات تشريعية ورئاسية تحت إشراف دولي، وكلها تهدف لتنحية الزعيم عن رئاسة الجمهورية بصورة تحفظ استمرارية الحكم لعائلته.

عدد كبير من المساعدين وكبار الضباط كانوا منحازين لهذه المبادرات تجنبا للحرب المحتملة، لكن الزعيم وعائلته رفضوا هذه المبادرات، خاصة الشيخ أبو الأخفش وأشقاء الزعيم.. وقد عمدوا إلى تسريب أخبار إلى وكالات الأنباء العالمية مفادها اجراء تغيير واسع في قيادات الدولة وتوقيف عدد من مساعدي الزعيم بقرارات سيادية وإحالتهم إلى محاكمات مدينة بهدف مكافحة الفساد.

كان الهدف من هذا مماطلة الدول الكبرى، وكسب المزيد من الوقت حتى تتأخر الحرب المحتملة.. لكن كل قرارات الإحالة للمحكمة لم ينفذ منها حرف واحد. أيضاً بقرار من الزعيم.. فمن يحاكم من؟.

خلال تلك الفترة تعرضت العائلة الحاكمة لفضيحة أخلاقية..

كانت ابنة أحد المشايخ الكبار قد قتلها زوجها بعد أن ضبطها في أحضان عشيقها، وتم التكتم على الخبر، ولكن البعض استطاعوا تسريبه إلى المجلة السرية فنشرت القصة كاملة واسم القتيلة والعشيق والزوج، فيما أعلن قصر الرئاسة عن هجوم عدد من اللصوص على شقة الزوجة، وفيما يحاول زوجها قتل هؤلاء اللصوص أطلقت عدة رصاصات استقرت إحداها في رأس زوجته التي لقيت مصرعها على الفور..

كانت هذه الحادثة مثار سخرية الرعية وأخذوا يتندرون بها في مسامراتهم ولقاءاتهم الاعتيادية، وعقد الزعيم اجتماعاً آخر مع طاقم العائلة لمناقشة الأوضاع العسكرية والسياسية والاقتصادية وموقف القوى الاقليمية والدولية والوضع العام لحكم العائلة..

- أبو العسر: أهلاً بالمشايخ.. حياكم الله .. سوف يتحدث أبو اليسر ولا أريد أن يقاطعه أحد..

- أبو اليسر: كما تعلمون فقد بدأ العد التنازلي للحرب المحتملة ضدنا، وأنتم تعلمون هدف الغزاة.. إنهم أعداء الأمتين العربية والإسلامية منذ زمن طويل.. وحربهم موجهة لحضارتنا وقيمنا وقد وهبنا أرواحنا للدفاع عن هذا البلد، وهو دفاع عن ذاتنا كعائلة حاكمة، ولا يستطيع أحد منكم أن ينكر كم استفاد من ثروات جمهورية نهبستان. لذا فالدفاع عن هذا البلد هو دفاع عن مصالحنا الشخصية بدرجة أساسية .. ولو تنازلنا عن بعض امتيازاتنا مؤقتاً فسوف ننال رضى الرعية حتى يساندونا في حربنا القادمة..

طرقات سريعة على باب قاعة الاجتماع.. تسود لحظات صمت ويدخل مساعد الزعيم ومعه ملف أحمر.. يندهش الجميع لدخوله رغم تحذيرات أبو اليسر بعدم دخول أحد مهما كان شأنه..

- المساعد: عفواً سيدي.. الأمر لا يحتمل التأجيل.. هناك برقيات سرية وعاجلة وتتطلب رأيكم.

يغادر المساعد القاعة بعد أن وضع الملف على طاولة الزعيم ويفتح الزعيم الملف..

- أبو اليسر: يبدو أن الأمر خطير.. لكن اسمحوا لي أن استكمل حديثي.

إذا سقطت جمهوريتنا في أيدي الغزاة فسوف نتجرع كؤوس المهانة والذل من الغزاة والرعية.

يفتح و اليسر الملف ويقرأ البرقيات ثم يوجه حديثه للمجتمعين:

- أبو اليسر: تقول البرقية إن أطراف التحالف الدولي أرسلت تعزيزات عسكرية جديدة من حاملات طائرات وقاذفات قنابل وغواصات وأساطيل بحرية متقدمة، سوف تستقر هذه الحشود في دول شقيقة مجاورة استعدادا للهجوم علينا، إنها الدول العميلة للتحالف، فعلى الرغم من ثراء هذه الدول إلا أن حكامها عملاء.. لعنة الله عليهم.

لقد قمت بصياغة عدة قرارات لحماية الجبهتين الداخلية والحدودية بدرجة رئيسية وسوف تطلعون على هذه القرارات الآن، وأرجو أن يتم الاستفتاء عليها في اجتماعنا هذا.

يقوم أحد مساعديه بتوزيع القرارات على الجميع.. يقرأونها وهم يتبادلون الأحاديث الجانبية.. ويعلنون موافقتهم بالإجماع على هذه القرارات..

- أبو العسر: علمتم جميعاً بالزيارات التى قمت بها لبعض دول المنطقة، وقد اكتشفت أن أشقاءنا غير مستعدين للوقوف الجاد معنا، وبرروا مواقفهم بأنهم لا يقوون على مواجهة قوى التحالف، وليس أمامنا الآن إلا أن نقاتل وحشد الرعية على القتال في صفنا، ولابد من التخلص من المساعدين الذين يتبنون أفكار الأعداء بتخلي الزعيم عن الحكم وتنظيم انتخابات تشريعية ورئاسية تحت إشراف دولي، ومثل هؤلاء لو استمروا في مواقعهم فسوف يساعدون على إسقاطنا.. وأقترح - للخروج من دائرة الحرب المحتملة - فتح قنوات

سرية مع قائدة التحالف الدولي عبر جهات صديقة لنا وموالية لهم.. إلا إذا كان الموالون لنا يرغبـون في إسقاط نظامنا واستـسلامنا. فذلك شيء آخر.

ويجمع الحاضـرون على أهمية الحفـاظ على كيان العائلة وحـقها في حكم البلد، وإقرار مقترحات الشـيخ أبو الأخفش والزعيم أبو اليسر، على أن يتم التخلص من بعض المساعدين بطريقة هادئة، وتكليف أبو الأكرش بفتح القنوات السرية مع القوى المعادية لحكم الزعيم.

ورغم إجماع دول الجوار بعدم شرعية احتلال دول أجنبية لجمهورية نهبستان، إلا أن هذا هو الظاهر أو للاستهـلاك الإعلامي، أما الحقيقة فقد فتحوا أراضيهم وقواعدهم العسكرية للغزاة طوعاً لا كرهاً!

فـحكام الدول الشقـيـقة يدينون بالـولاء والطاعة العـمـياء لزعـيمـة التحالف، يـشترون منها الطائرات المتـقدمة التي لا تجد طيـارين أكفاء لقـيـادتها مـن بين أفراد رعـيـتـهم ولكنه نوع من المجـاملة وتنشـيط اقتـصاديات الزعيـمة، فضـلاً عن الحصول على عـمولات وسمـسرة ووصل الأمـر إلى حـد الارتماء ليس في أحـضـان أميـركـا بل تحت أقدامها!

وفور انتهاء اجـتماع الزعيم بعائلتـه يتجه إلى عشيقـاته، فيمارس شبقه معهن، قائلاً: ملعون أبوها البلد واللي فيها.

❖ ❖ ❖

الفصل الثاني عشر

كانت أحاديث الغرف المغلقة تدور حول توريث الحكم لابن الزعيم.. كانت عدة صحف معارضة في كل دول المنطقة تهاجم ظاهرة التوريث، باعتبار جمهورية نهبستان تتمتع بالنظام الجمهوري وليست مملكة..

وكان أبو اليسر قد عين ابنه في منصب كبير بالحزب الذي يرأسه الزعيم، اضافة إلى مناصب عسكرية قيادية وكلفه بقيادة فرقة خاصة بمكافحة الإرهاب، انفق الأمريكيون ملايين الدولارات على إعدادها وتدريبها بينما تندر الأشقاء العرب بهذا التعيين، فيما خرج الزعيم ليعلن للرعية أن جمهورية نهبستان ليست بجمهورية ضربستان ولا بجمهورية لهفستان الديمقراطية العظمى وأن مسألة التوريث غير واردة في حساباته وأن ابنه مواطن عادي حصل على دراسات علمية وعسكرية ويخدم وطنه باخلاص وأن ما يؤرقه هو إعلان الحرب على الإرهاب من قبل الدولة العظمى وأنه ينفي بكل قوة أن تكون دولته ضالعة في الارهاب، سواء بالأفراد أو التمويل!

لكن الرعية كانت مقتنعة بكذب الزعيم، وأن أبا اليسر ماض في طريقه الذي لا رجعة في مسألة توريث الحكم لأبنه.

في المقهى السياسي الذي يمنع تواجد غير المثقفين كان الضابط حسين يجلس مع نخبة من أصدقائه.. ابراهيم واسماعيل وعبدالغني.. حيث جلسوا يستمعون إلى أشخاص في الطاولة المجاورة..

- سياسي معتزل يقول:

اسمعوا هذه الحكاية.. قرر مجموعـة من السياسيين غير العاملين والمنتمين لحزب الزعيم أن يساعدوا احد زملاء النضال المغضوب عليهم من خلال تقديمه للزعيم، وطلبهم في مساعدة المناضل بمنحه سيارة أو قيمة سيارة.. ذهبوا إلى الزعـيم يرافقهم زميلهم المناضل وكان الزعيم كريما مـعهم حيث لبى طلبهـم ووقع على قرار بمنحه سيـارة من أحد معـارض السيارات المشهـورة والمعروفة بملكيتـها لأحد أفراد عـائلته، وذهب الجمـاعة إلى العـرض واختاروا احـدى السيـارات التي قادها المناضل فـرحاً وهو يتمـتم بدعوات الشكر والامـتنان للزعيـم وأيضا لزملائه، عادوا إلي مساكنهم مع السـيارة.. وبعد بضعة أسابيع وذات صباح نهض المناضل من نومه وأطل من نافذة شقته إلى الشارع كعادته اليوميـة، فلم يجد أثراً لسيارته، فـأصيب بالدهشة، فهـرول مضطربا للاتصال ببعض زملائه الذين توسطوا له عند الزعيم وأخبرهم بفقدان أو سرقة سـيارته.. ذهبوا لابلاغ أجهـزة الامن وقدموا بلاغاً رسـمياً بفـقدان السـيارة.. وعـدتهم اجـهزة الامن بان تـسعى للبـحث عن السيارة، وإعادتهـا، مع معاقبة سارقيهـا.. يمر شهر من دون أن تعود السيارة فـسعى زملاء المناضل الى تهدئة زميـلهم من خلال وعدهم له برفع أمره/ موضوعه مرة أخرى إلى الـزعيم.. سعوا ونجحوا في لقاء الزعيم وشرحوا له مـا أصاب زميلهم وأنهم يتوقعون تفـهمه لطلبهم، وكان الزعـيم كريما مـعهم ولم يتـردد في أعطائهم قراراً آخـر بصرف

سيارة أخرى لزميلهم المناضل. . ذهبوا إلى نفس المعرض السابق الذي استقبلهم موظفوه بكل الترحاب، واشاروا لهم باختيار السيارة التي يريدون حسب نص القرار. . ذهبت المجموعة متفرقة للبحث عن السيارة بين مجموعة كبيرة من السيارات يحتضنها المعرض، وفجأة يصيح المناضل منادياً زملائه:

وجدتها. . وجدتها. . إنها سيارتي السابقة. . والله العظيم إنها سيارتي. . تعالوا وشوفوا - انظروا. .

هرول زملاؤه نحوه محاولين إسكاته خوفاً من أن يسمعه موظفو المعرض، طلبوا منه الهدوء والتمسك بأعصابه. . فطلب أن يسلموها له وكان له ما أراد. . ثم وقع على استلام السيارة وعاد بها إلى داره وبعد أسبوعين دعى زملائه لمشاركته الغداء، وعندما سألوه عن السبب أخبرهم بأنه يريد أن يخبرهم بالمفاجأة أو المناسبة عندما يحضرون. . الجماعة لبوا دعوة زميلهم عن طيب خاطر. . وبينما كانوا يتناولون الغداء أطلق المضيف مفاجآته بالقول:

رفاقي دعوني أقول لكم بأني دعوتكم لحضور الغداء بمناسبة قيامي ببيع السيارة. .

اندهش زملاؤه من خطوة رفيقهم الذي كان دائم الشكوى من عدم حصوله على السيارة لعدم قدرته على امتلاكها من حر ماله لضعف امكاناته المالية. ثم سأله أحد زملائه:

لماذا أقدمت على هذه الخطوة؟

- رد عليهم:

لا أخفي عليكم بأني خفت أن يسرقوها «الجماعة» مرة ثانية، وبالتالي تضيع عليّ نهائياً وأخرج من المولد بلا حمص.

تنطلق الضحكات الساخرة من زبائن المقهى، ثم علق أحد الزبائن:

هذا دلالة كبيرة على كيفية سير الأمور من مجموعة لصوص وشياطين..

- زبون آخر:

اللعنة عليهم، ولكن لا تنسوا أن الله كبير وهو يمهل ولا يهمل..

- زبون آخر:

وماذا ستقولون لو سمعتم بنكتة أخرى.. أكثر سخرية..

لعلكم سمعتم عن الأخبار التى تتحدث عن تهيئة الزعيم لابنه وتوريثه للسلطة، مع أنه - الزعيم - دائما ما ينفي ذلك باعتبار أن الحكم ليس ملكياً برغم أن الحقيقة تؤكد بأنه لا يختلف عن الحكم الملكي بشيء غير التسمية.. المهم أن الوالد استدعى نجله إلى إحدى غرف قصره وأغلق الباب، وكان يوجد في الغرفة كيسان مملوئين بالفئران، وقال الوالد لولده: لقد دعوتك اليوم يا بنيَّ لاختبر امكاناتك ومهاراتك في القيادة من بعدي حتى أكون مطمئناً عليك وعلى تاريخي ومكتسباتي..

يقوم الوالد بفتح أحد الأكياس، ويلقي ما بها ثم يقف على الباب

ويقول لولده: أريدك أن تعيد هذه الفئران إلى الكيس، فإذا فعلت ووفقت فإني استطيع أن أشعر بالاطمئنان على مستقبلك ومستقبل الأمة معك...

بحماس الشباب المتقد وبروح عالية أسرع الولد بملاحقة الفئران بيد وبيده الأخرى الكيس حتى هده التعب، وكان العرق يتصبب من جسمه، وعيناه شاردتين وخائفتين من مواجهة رد فعل والده لعدم تمكنه من تحقيق طلبه إلا بكمية قليلة.. نظر إليه والده بحسرة وألم شديدين عبر عنهما بقوله:

ما فائدة تعليمكم وحيوية الشباب وروح التفكير الجديد والسريع.. يعني تفكير «التيك أواي»، لقد بدأت أشعر بأن طموحي فيك ضعيف..

- الولد وهو في حالة خجل وخوف سأل والده:

إن كنت في موقعي فماذا كنت ستفعل؟ فنحن الشباب قليلو الخبرة بالنسبة لمن سبقونا أمثالكم، فأنتم متمرسون فى تحقيق المستحيلات..

- يتحرك والده بخطوات واثقة نحو الكيس الثاني، فرفعه بيديه وبدأ يضربه في الجدار ويلف به حول نفسه في الهواء لعدة دقائق، ثم فتحها وألقى ما بها وأعاد ما ألقي منها إلى الكيس، حيث كان معظمها قد لفظ أنفاسه والبعض الآخر في حالة فقدان كامل للوعى، وبعد أن انتهي من عمله رد عليه:

بهذه الطريقة يا بُنيَّ فقط تستطيع أن تسيطر على نفسك والحكم

والبلد والشعب . .

يضحك الزبائن بصورة معبرة عن عدم رضاهم لمسألة التوريث ثم يعقب أحدهم بعد أن توقف زملاؤه عن الضحك . . قائلا :

- رعـا الله من أطلق هذه النكتة . . يا أخواني بالله عليكم هل أصبحت أمتنا خالية من الرجال، بل أسأل هل عقمت نساؤنا عن إنجاب الرجال؟ . . إنها مهزلة ما بعدها مهزلة، وسيأتي يوم تلعننا فيه الأجيال القادمة .

- يجيب آخر :

كفاية رغي في السياسة ودعوا اليوم يمر بسلام ومن دون أضرار، فالجدران لها آذان . .

- صاحب السؤال يرد :

ألهذا الحد أصبحنا جبناء لا نحس ولا نتحرك وكأننا دمى ميتة لا تتحرك إلا بارادة حكامنا الظلمة . .

- يعقب آخر، كانت ملامحه، تدل على أنه ينتمي للطبقة الوسطى التي أصبحت مغيبة رغم ضرورة وجودها في حياة كل مجتمع .

لقد ذكرتني نكتة التوريث والفئران بوصية الحجاج ابن يوسف الثقفي لولده وهو على فراش الموت، حينما قال له «أوصيك يا ولدي بأن يكون خط سير جنازتي في خط مستقيم» . . وعندما حاول الابن أن يسأل، أجابه الوالد الحجاج : اسمع يا ولدي . . أوصيك بأن تهدم

كل ما يعترض طريقك يوم جنازتي.

يحاول الولد أن يسأل: ولكن.. والده الحجاج يقاطعه: أريد يا ولدي أن يقول الناس عندما تقوم بما أمرتك به: رحمة الله على الحجاج وعهده!..

ثم يضيف: أن عقلية الحجاج هي العقلية السائدة في هذا الزمن، على الرغم من الفارق الكبير بين الحجاج الحقيقى والحجاج الشبيه السائد فى زماننا هذا.. فالحجاج الحقيقي وبرغم تاريخه الظالم إلا أن له إيجابيات تاريخية وناصعة البياض، فهو صاحب الافكار الخاصة بتعريب الجهاز الاداري للدولة الإسلامية، وهو صاحب فكرة وضع النقاط على الحروف العربية. وأيضا فكرة صك عملة نقدية بدلاً عن العملة الأجنبية التي كانت متداولة حينها في البلاد الإسلامية، كما أن عهده شهد من الفتوحات الإسلامية الخالدة، وتثبيت معالم النظام وتراتيبه، وضرورة التقيد به واحترامه وغيرها.. وأما أشباه الحجاج في زمننا الراهن فلا يسجل لهم التاريخ أي إنجاز إيجابي يمكن أن تتذكره الأجيال القادمة إلا بالهزائم والإنكسارات وممارسات التخلف والظلم وإفقار الشعوب.. الله يرحمك يا حجاج يا ابن يوسف الثقفي.. ليت الله يهبنا مثلك في هذا الزمن الرديء..

- يجيب آخر بعد لحظة صمت:

الرحمة تجوز على الأموات، فما بالك بالعظماء الراحلين.. لقد أصبت يا صاحبي في وصفك الرائع.. اذكروا الله فهو كبير ومجيب

للدعوات، وهو يمهل ولا يهمل.

- يرد الحاضرون بأصوات متفرقة وهادئة:

لا إله إلا الله.. الله اكبر.. الله أكبر.

وعادت المجموعة للعب الدومينو.. قطع إبراهيم حالة الصمت التي أطبقت عليه وعلى أصدقائه بسبب إصغائهم لأحاديث جيرانهم في الطاولة المجاورة، وذلك حينما أدار وجهه نحو الضابط حسين بالقول:

- هل يا تري هناك من يسمع نداء الناس البسطاء، وهل هناك من يجيد التحليل والاستيعاب العقلاني لتلك الآراء والنداءات؟

- يجيب حسين:

لابد أن يكون هناك أناس يستمعون ويدركون آراء الناس البسطاء. والبلد ليست فقيرة من هؤلاء.. بل إني اعتقد جازماً أن مثل هؤلاء موجودون وسيأتي دورهم في يوم ما.

- إبراهيم في حالة غضب:

ومتي يأتي هذا اليوم يا صديقي.. هل يأتي راكباً الدبابة الأميركية وممتشقاً السلاح الأميركي؟

- حسين:

هذا يعني أننا عاجزون عن بناء أنفسنا.. لا..

- يقاطعه إبراهيم:

لو أن حكامنا أخلصوا في خدمة شعوبهم وبلادهم، هل تعتقد أن

أميركا ستكون بحاجة إلى أن تقطع آلاف الأميال تحت شعار تخليص شعوبنا من حكامها الفاسدين وتحريرنا من ظلمهم؟.. لا.. لو أن الأمر يسير بشكل طبيعي لما رفعت أميركا صوتها وعصاها الغليظة علينا.. ولا طرحت علينا مبادرة الشرق الأوسط الكبير، والشرق الأوسط الصغير، والنص نص. وأمريكا لا يهمها إلا مصالحها الذاتية فقط...

ثم يواصل إبراهيم حديثه:

لا تنسى أن صورتنا كعرب ومسلمين قد شوهت وأصبحنا ارهابيين من وجهة نظر القوى العالمية والنظام العالمي الجديد بسبب الارهاب الذي يمارسه علينا حكامنا، وحاولوا تصديره للخارج لإرهاب الآخرين.. ونحن الرعية لا حول لنا ولا قوة..

- عبدالغني يعقب:

قد نتفق معك يا صديقي فيما تقوله، ولكن لا تنس أن أميركا هي التي ساعدت معظم الأنظمة السياسية العربية والإسلامية ودعمت وجودها واستمراريتها بهدف تحقيق مصالحها السياسية والاقتصادية والثقافية، وينطبق عليها المثل المعروف: صمتت دهراً فنطقت كفراً ويعجبني في السياسة الأميركية أنهم يقيمون الدنيا ولا يقعدونها لو أن مواطنا أميركيا اختطف أو قتل في بلد خارج بلاده.. ولا تعجبني سياستهم عندما يصمتون ولا يتحركون، عندما يموت العشرات والمئات من الشعوب الأخرى بفعل ممارسات أصدقائهم الحكام، انطلاقاً من

مسؤوليتهم المعروفة بقيادة العالم من دون منازع.

- حسين:

ما قلتموه يعرفه كل الناس، ويتداولونه، ولكن ينبغي علينا أن نفكر في البحث عن الاجابة لأهم سؤال طرحه إبراهيم بشأن ذلك اليوم ومتى يأتي؟ هل يأتي راكبا الدبابة الأميركية، وممتشقاً للسلاح الأميركي لكي يحررنا من الوضع الراهن؟.. وأثناء البحث لابد من أن نسأل أنفسنا عن دور الطبقة المثقفة والقوى السياسية، وهل يمكن أن ترتفع بدورها تواكباً مع طموحات الشعب؟ أين العلماء والشيوخ والشباب والناس كلهم؟

الوطن والناس أيضاً لم تعد أوضاعهم تحتمل الحرب وآثارها بل وربما الاحتلال..

- اسماعيل يعقب:

- الاحتلال قادم ولابد منه في ظل الاوضاع المحلية التي نعيشها، وأيضاً الأوضاع الاقليمية، والمتغيرات الدولية المحيطة بنا.. لقد ضعفت الروح الوطنية والقومية بسبب غياب العدالة والحرية والمساواة ودولة النظام والقانون، وبسبب الشطحات السياسية لحكامنا وتزلف معظم المثقفين ورجال العلم والدعوة للحكام.. والمؤشرات المتوافرة حاليا تقول باستحالة الأمل في تغييرات سياسية نابعة من هموم وآمال الشعب.. كما أن المؤشرات تبدو قتامة في المرحلة القادمة وما قد ترافقها من تضارب حاد بين سادة النظام العالمي الجديد من جهة

وأصدقاء الأمس من حكامنا من جهة أخرى.

- ويواصل اسماعيل حديثه:

لا أستطيع أن أتصور الحالة التي يمر بها الوطن والناس، بينما رموز الحكم ودعاته منشغلون بأمورهم الخاصة وملذاتهم الدنيوية .. هل تصدقون أن الزعيم وبعد انتهاء اجتماعه بكبار القادة والمساعدين ركب سيارته واتجه الى عشيقاته؟

- يقاطعه ابراهيم بغضب: تباً لهم تباً.. متى نصحوا يا ناس ونعرف ماذا نريد؟

- عبدالغني:

من خلال كل الأحاديث التي تبادلناها يبدو أن الأمل معقود على العسكر، وتلك مصيبة أخرى لو تمت، عفواً يا حسين لا أقصد شخصك بل الطبيعة العسكرية.. في العالم كله فمن المؤسسة العسكرية يخرج حكامنا، وهم الأكثر عداء للحرية والعدالة والنظام والقانون.. وأنا لا أنكر دورها الوطني، ولكني استنكر دورها في قيادة البلد سياسياً واقتصاديا والمؤشرات التاريخية السابقة التي مرت بها شعوبنا تؤكد ما أقول..

- حسين:

كلامك صحيح، ولكن أين هى القوى البديلة؟.. على كل حال كنت أعتقد أنكم أكثر تفاؤلاً وطموحاً، بل رهاني الشخصي على أدواركم في المستقبل.. واليوم خاب اعتقادي عندما أسمع لأحاديثكم

وأخاف أن يستمر ذلك لأجل غير مسمى.

- اسماعيل:

نحن لازلنا متفائلين، بل وأكثر طموحاً ولكن وحدنا، ومن دون بقية فئات الشعب، فلن نستطيع فعل شيء.. لقد طبقوا علينا سياسة التدجين والخوف والطاعة العمياء، ولكي نتخلص من آثار تلك السياسة فلابد من وجود صدمة تهزنا وتثير فينا الروح وتستفز عقولنا وضمائرنا.. فهل يكون الاحتلال هو الصدمة أتمنى أن لا يكون ذلك؟

- حسين:

ما هذا الذي أسمعه؟

- إبراهيم:

وماذا لو سمعت تفاصيل الحديث الذي دار بيننا وبين بعض زملائك الضباط وطلبهم منا أن نلزم الهدوء، حتى يعدون أوامرهم.. لقد عاملونا كأطفال باحثين عن التسلية وأكل الحلوى.. عاملونا كغرباء عن الوطن وكأننا لا ننتمى لهذا الوطن لقد رسموا الوطن بخيالاتهم وكأنه عبارة عن معسكر أو قاعدة عسكرية والناس كالجند. أسقطوا الوطنية عليهم وفصّلوها على مقاساتهم.. وفضلوا فكرة تثوير الناس والبحث عن القوى السياسية ذات الرؤى الوطنية المتميزة.. التى تخدم أهدافهم ومطامعهم وعندما سألناهم عن رؤيتهم الخاصة لشكل النظام القادم الذي يسعون إلى تحقيقه، هل تعرف بماذا أجابونا؟

كـان حسين مـسـتـغـرباً من حديث إبراهيـم ولم يكن مرتاحـا لما سمع.. فواصل اسماعيل الحديث:

- أجابونا أن همـهم في المرحلة الراهنة تغيير الرؤوس الكـبيرة بما فيها الزعيم والابقاء على مكونات النظام السابق.. سألناهم هل يعني ذلك أن تلك الرؤوس فـقط هي التي اينعت وآن الأوان لقطافهـا على رأي الحجـاج بن يوسف الثقفي، وكأن المشـكلة خاصة ومتـعلقة بهم فقط وليس بـطبيعـة النظام كله.. إن العمليـة بالنسبة لهـم كامنة في رمـوز معـينة وليس بواقع الرعـيـة والبلد.. ولأننا لا نملك القـوة أو الامكانية لـلمواجهـة فقد التـزمنا أن يكون حوارنا مـعهم قـائما على التعارف ودراسة مكامن التـقارب مستقبلاً إن توفرت وهذا غـير متوفر لا اليوم ولا غدا أو بعد غد..

- حسين والدهشة تعلو ملامح وجهه:

لا.. لا.. لا.. لم نتـفق على ذلك.. أنا لا أسـتطيع تكذيبكم لمعـرفتي بكم وبمواقـفكم وطمـوحاتكـم.. وإذا كانوا يفكرون بهـذه الطريقة فيجب أن تدركوا أنهم لا محالة فاشلون...

قال تلك الكلمات وأستأذنهم بالمغادرة دون أن يكمل أو يبرر سبب انسحـابه.. تركهـم والحزن يكسو وجـهه، وهو يتـمتم بكلـمات مع نفسه، لم يكن بمقدور أحد أن يسمعها.. لحقه إبراهيم محاولاً اقناعه بالعودة وعدم استكمال الحديث بالـشأن السياسي، لكنه واصل تحركه بعد أن ربت على كتف إبراهيم وقال له:

خذوا بالكم من أنفسكم..

الصمت المحير يخيم على ابراهيم ورفاقه.. جميعهم ينظرون لبعضهم البعض من دون كلام، وكأن عيونهم تقول كلاماً مفهوماً لهم جميعاً.. أوكأنهم يتفهمون موقف صديقهم الضابط حسين..

ويقطع الصمت اسماعيل بطلبه من رفاقه مغادرة المكان، واستكمال الحديث إن أمكن في الطريق..

- اسماعيل: يبدو أن صديقنا حسين قد صدم من الحديث الذي دار بيننا وبين رفاقه بناء على طلبهم.. في الحقيقة لم أكن أتصور ان يكون حسين مختلفاً في تفكيره عن المؤسسة العسكرية التي ينتمي لها.. وهذا يشعرني بأن هناك تباينات حادة في صفوف تلك المؤسسة بحيث لا يمكنها القيام بعمل ما، وهذا الأمر قد يأتي بنتائج مؤلمة على البلد والناس.

- عبدالغني: أوافقك الرأي.. وسيكون من الصعب أن تنهض تلك المؤسسة مستقبلاً من واقعها المؤلم والمدمر..

- اسماعيل: اذن السقوط أمر لابد منه والاحتلال قادم أيضا لا محالة..

- عبدالغني:

وماذا بعد؟

- اسماعيل:

مالك صامت يا إبراهيم.. ماذا أصابك؟

- ابراهيم: أنا قلق على حسين، فقد يعرض نفسه للخطر.. أعتقد أن من واجبنا ملاحقته وتهدئته، ومساعدته على التمسك بأعصابه وأفكاره وردود أفعاله.. دعونا نركب سيارتك يا عبدالغني ونذهب للبحث عنه.

في الطريق يسأل ابراهيم صديقيه عن الموضوع الذي كانا يتبادلانه في الطريق لأنه لم يكن معهما حينها.. يخبره عبدالغني.

- ابراهيم: الوضع الراهن خرج عن دائرة السيطرة بالنسبة للزعيم والنظام ولأي قوة وطنية أخرى.. الأمر الآن تحت سيطرة القرار الأميركي.. السقوط أمر حتمي والاحتلال أيضا ويبدو أن حبات المسبحة قد أوشكت على الانفراط.. فنحن الآن أصبحنا مكشوفين للمؤسسة العسكرية وأي تحرك منا يعني نهايتنا.. معنا بمصداقية واخلاص ولا يمكن أن نحمل المسؤولية في حالة انكشافنا للأخ حسين الذى تعامل معنا بمصداقية وإخلاص ولعلكم تعرفون كيف يكون رد فعل المخدوع إما أن يكون متهوراً أو قاسياً.. ادعوا معي له بالهداية والسكينة..

كان إسماعيل يستخدم هاتفه الجوال وهاتف عبدالغني في البحث عن حسين، سألوا عنه في البيت فأبلغتهم عائلته بأنه غادر لتوه إلى صديق له حددت لهم عنوانه، ثم أسرعوا إلى حيث كان قاصداً، وقد عثروا عليه وهو يهم في الدخول لإحدى الفيللات الفخمة والتي عرفها عبدالغني وأخبر زملائه أن ملكيتها لأحد القادة العسكريين..

نزل اسماعيل وإبراهيم وأوقفاه وطلبوا منه أن يركب معهما لدقائق.. يركب معهما فتنطلق السيارة فى اتجاه الخروج من العاصمة حيث نزلوا في أحد المطاعم السياحية والبعيدة وجلسوا على إحدى الطاولات المنزوية في أحد أركان المطعم وطلبوا بعض المشروبات الخفيفة.

- حسين: لماذا لا حقتموني؟ وماذا تقصدون بصدكم لي عن مقابلة صديقي؟

- اسماعيل:

بصراحة هذه فكرة إبراهيم..

- ابراهيم:

ومن دون تفسيرات مغلوطة أنا رأيت أنك غير طبيعي وشعرت بالقلق عليك.. ألا تعرف أن العيش والملح الذي بيننا لا يهون إلا على ابن الحرام.. لا يمكن أن نراك غاضباً ونتركك.. اسمع يا صديقي العزيز.. نحن في الحقيقة خفنا عليك وعلى أنفسنا، وقلنا لابد أن نعمل شيئاً لإزالة ذلك الخوف.. الخوف من رد فعل أصدقائك وليس من جهة أخرى.. فوضعهم الآن لا يسمح بالتأنيب والمعاتبة والمناقشة. ولو أنك مازلت باقياً على العشرة التي بيننا فنرجوك أن تؤجل المواجهة معهم.. اشعرهم بأنك لم تسمع شيئاً منا يتعارض مع مواقفك واتفاقك معهم.. أرجو ألا تخيب ظننا فيك.. وهؤلاء «يقصد رفاق حسين» لا يرحمون..

- عبدالغني: لقد اكتشفنا أصالتك الوطنية ومعدنك الإنساني،

وهذا وحده كفيل بـأن نتحرك لانقاذك من مصير مـجهول أنت ذاهب إليه بصدق ووفاء وحب للوطن.. يكفي أنك عرفت الحـقيقة بنفسك ولا تنس أطفالك وأمهم وحـاجتهم اليك.. لا تنس والدتك ووالدك وإخوانك وأهلك وأصدقائك في زمن متوحش وقاتم.. أرجوك حكّم عقلك ولا تدع العاطفة تسيطر عليك..

- إسماعيـل: لقد ساعدتنا كثيـراً وحميتنا وكنت وفياً لتـعهداتك معنا، فهل يجوز لنا ألا نجاريك ولو بجزء منها.. نحن يا صديقي في مركب واحد يسير في بحر عميق ومليء بالحيتان المفترسة والعقل يقول لنا إن التفكيـر الهادئ والواقعي والعزيمة من الضـروريات التي ينبغي علينا اتباعها للسير بمركبنا نحو شاطئ الأمان بأقل الخسائر.

- إبراهيم: أرجـوك بحق الصداقـة والاخوة والعـيش والملح فكر جيداً وبهدوء فيما قلناه.. وأعتقد أنك مقدر مشاعرنا نحوك.

- حسين:

لا أستطيع أن أعبر لكم عن حقيقـة مشاعري نحوكم.. أنتم فعلاً أصدقاء أوفـياء.. وعهد لـكم مني بأن أعمل بما نصحتـموني.. في الحقيقة كلمة «شكراً» لا تكفي..

- إبراهيم: لا تـقل شيـئـاً.. ولا تشكرنا على واجب لابـد منه بين الأصدقاء والأخـوة.. ولا تنس أن أفضالك علينا كبـيرة، ولا يمكننا أن نرد مقـابلها بأي شيء والآن افـتح هاتفك وتكلم مع العائلة والأولاد لتطـمئنهم عليك.. وأنت يا عبدالغني واسماعيل اتصلا بالعائلات ولا تنسيا عائلتي..

- حسين:

يبـدو لي أن الأمور التي يمر بـها الوطن لا تبـعث على الطمـأنينة والشعور بالتفاؤل. .

- إبراهيم:

أرجوكم دعونا من السياسة. . وفكروا فيمن سيقوم بتحمل تكاليف عشـاءنا ومبـيتنا هذه الليلة لأننا لـن نعود إلي الديار الا غـداً. . فأنا سأتكفل بنفقات العشاء والفطور. . وعـبدالغني وحسين بنفقات المبيت واسماعيل بنفقات البنزين. . ما رأيكم. .

- حسين:

مادام الأمر كذلك فأنا سأتحمل كل التكاليف والامر لله وحده.

- اسماعيل:

مبـدأنا نحن ضـرورة المشاركـة حتى نشـعر بالمسـئوليـة المشتـركة وحلاوتها وقيمتها.

- حسين:

وأنا لن أقبل إلا أن أكون مضيفكم. .

- إبراهيم:

خلاص لا تغضب ولا تحلف. . نحن قـررنا أن نكون ضيوفك. . وقرارنا هذا تأكيد لاضافة قيمة عربون علاقاتنا الأخوية الصادقة.

ينطلقون إلى مدينة مجاورة تبعد عن العاصمة بأكثر من ١١٠ كيلو مترات، ويبحثون عن فـندق وسط المدينة ثم يتجهون إلى سوق المدينة

لتناول العشاء والتنزه بعد أن أبلغوا عائلاتهم عن غيابهم غير المخطط . .

أماني وحدها لم تقتنع بمبررات إبراهيم، فوعدها أن يناقشها في حقيقة الأمر عند عودته، ورجاها ألا تقلق. . وظلت أماني مع زوجة عبدالكريم تتحدث عن السفر المفاجيء لزوجها، ولم تنم إلا مع زقزقة العصافير في الفجر، وبعد أن صلت وأعدت بعض الواجبات الخاصة باليوم الجديد.

❖ ❖ ❖

الفصل الثالث عشر

كانت زهراء في زيارة خاصة لمسقط رأسها، وهي المدينة التي حل فيها إبراهيم وأصدقاؤه.. فكرت في الاتصال بعبدالغني للسؤال عنه والاطمئنان على حاله وصحته.. رفعت السماعة وما كاد يرن هاتف عبدالغني الذي فتح هاتفه الجوال حتى توقف الرنين وحاول أن يعرف الرقم، وأدرك أنه يحمل الكود الخاص بالمدينة، فقام بالاتصال على الرقم فإذا بزهراء على الخط التي لم يعرفها عبدالغني مباشرة ثم يسأل الطرف الآخر إن كانت طلبته؟

- زهراء: عبدالغني.. حبيبي كيف حالك؟

- عبدالغني: مَنْ.. زهراء.. خير.. ومن أين تتكلمين؟

- زهراء: إني في زيارة لأهلنا في مرابعنا وفكرت في الاتصال بك ثم تراجعت تحسباً لوجودك مع العائلة..

- عبدالغني: شكراً على اهتمامك.. وكيف حالك؟

- زهراء: أنت فين الآن؟

- عبدالغني «بعد تردد»:

بصراحة أنا في مرابعكم مع أصدقائي، ونتجول الآن فى سوق المدينة.

- زهراء: أهلاً وسهلاً بك وبأصحابك.. طيب لو قلت لك بحق المعزة والعيش والملح أن نلتقي اليوم.. إني في الدار لوحدي مثل الجنيّة!!!

- عبدالغني: لو أني غير مرتبط بأصدقائي لما تآخرت عن تلبية

طلبك فأنا مشتاق لك أكثر مما تصورين.

- زهراء: ليس أكثر مني.. أرجوك.. لو أني لم أعرف أنك هنا قريب مني لما طلبت منك ذلك، ولعلك تعرف تقديري لظروفك، فهل لك أن تقدر ظروفي.. تعالى ولو لساعتين.. أرجوك لا تخذلني ولا تزيد من حرارة الشوق إليك.. دعني أراك فقط..

- عبدالغني: سأتصل بك بعد ربع ساعة وأقول لكِ القرار النهائي لأصدقائي، وهل سيقبلون باعتذاري عن التخلف عن صحبتهم؟

- زهراء: أرجوك لا تتأخر عني.. أنا في الانتظار..

ينفرد عبدالغني بإبراهيم ويبلغه بالأمر الطاريء وطلب زهراء.. استقبل إبراهيم الموضوع باستياء ووافقه عبدالغني على رأيه، لكن إبراهيم كان يشعر بأن ضرورة التواصل بين صديقه وعشيقته لابد منه في الظروف الراهنة.. ثم يفاتح اسماعيل وحسين.. الأول كان معترضاً، لكن حسين تفهم الأمر واستحسنه على أمل الحصول على معلومات جديدة قد تهمهم لو أنها ساعدتهم في الحصول عليها.. يوافقهم اسماعيل على مضض بالتزام الصمت ويودعان صديقهما الذي اتصل بزهراء وأخبرته بفرح أنها قادمة إليه، فحدد لها موقعه، حيث كان ينتظرها مع أصدقائه.. وصلت زهراء بسيارة أجرة نزلت منها ثم تقابلا، واستقلا معا سيارة أجرة أخرى باتجاه دارها الخاص.. كانت زهراء في قمة السعادة وظلت يدها مشتبكة مع يد عبدالغني حتي وصولهما للدار..

وفي حديث ساخن بين اسماعيل وإبراهيم وحسين توصلوا الى اتفاق لانتظار ما سيترتب عليه لقاء العشيقين وهل من جديد مفيد أم لا . .

- حسين: اتفقنا ألا نناقش السياسة اليوم . . غداً في طريق العودة سأحكي لكم ما أعرفه عن فضائح تلك العائلة وترجاهم أن يكفوا عن تبادل العبارات النابية الجانبية والاستمتاع برحلتهم المفاجئة.

ما أن فتحت زهراء باب دارها، وأغلقته حتى عانقت صديقها بحرارة، وظلت في حضنه حتي أقعدها على أحد المقاعد الوثيرة، وجلس بجانبها يتأملها وتتأمله ودموعها تنهمر من الفرح، وعدم تصديقها لنفسها أنها استطاعت أن تلتقيه بالصدفة، وفي مسقط رأسها . . وفي منزل عائلتها

- عبدالغني: كيف حالك: وكيف تقضين وقتك؟

- زهراء: ربي يحفظك ويبعد عنك كل مكروه . . فيك الخير بتسأل عن أحوالي . . محظوظة زوجتك بك . . حالي لا تسرك . ولكن الحمد لله على كل شيء . . فأنا اقضي وقتي بالدراسة لأني قررت أن أواصل دراستي بالمراسلة والتفرغ لرعاية أبنتي . . فأنا لم أخبرك بأني سجلت في الجامعة لدراسة الماجستير . . .

عبدالغني: خطوة جبارة وأتمنى لك التوفيق مع استعدادي لأي مساعدة تطلبيها مني . . .

- زهراء: كل ما أطلبه منك فقط هو أن تطل عليَّ بين الحين

والآخر، وتسأل عني ولو بالتليفون...

- عبدالغني: إن شاء الله.. لكن أخبريني أين ابنتك؟ فالبيت يبدو خالياً؟

- زهراء: والدها حضر صباح اليوم وطلب أن يأخذها معه لتتعرف على أشقائها، وقد بعثتها مع خادمتي، وطلبت من والدتي أن توافيني اليوم لمؤانستي، ولكن يبدو أنها لن تحضر وليتها تفعل..

في الحادية عشر ليلاً، وبينما كانت زهراء على فراشها مع صديقها رن هاتفها الجوال فأزعجها، ولكن عبدالغني أشار لها بأن تجيب بهدوء، وكانت والدتها على الطرف الآخر، فأخبرتها بأنها في طريقها إليها مع شقيقتها.

- زهراء: أمي.. لو أنك ستأتين لوحدك سيكون أحسن لأن صديقي عندي الآن، وأفضل أن تكوني لوحدك.. أرجوك يا أمي..

كان عبدالغني يشير إليها بأنه سيغادر.. لكن زهراء ألقت بجسدها عليه وواصلت الحديث مع أمها التي حاولنا أن تعتذر عن الحضور، ولكن توسلات زهراء لأمها جعلتها توافق على غير رضاها، فأخبرتها أنها سترسل شقيقتها إلى بيت خالها.. ثم تعود زهراء بعد اتمام حديثها مع والدتها للحديث إلى عبدالغني وأخبرته أنها «أي والدتها» تعرف علاقتهما، كما أنها ترغب في أن تعرفها به.

- عبدالغني: أرجوكِ اسمعي لي جيداً.. الموقف يتطلب أن نتعامل معه بعقلانية ومنطقية، ولذا فأمر بقائي معك وفي ظل حضور

والدتك وتعارفنا يزعجني.. وهنا اقتراح أن أغادر الآن على أن نلتقي مرة ثانية عندما تكملين أجازتك..

- زهراء: ولو تركتني الآن فلا أدري كيف سيكون حالي، وماذا سأعمل بها؟.. أرجوك ابق معي.. أني أحلفك بالله وبأعز من تحب أن تبقى؟

قطع حديثها جرس الباب، فنهضت وهي عارية لتجيب على سماعة الباب، وعندما عرفت أن أمها على الباب ضغطت على الزر وقامت بارتداء سريع لمعطف النوم وبينما كان صديقها يرتدي ملابسه قالت له:

لو كانت أمي تأخرت قليلاً لأمكن لك أن تقنعني بمغادرتك..

تقوم زهراء باستقبال والدتها وتعانقها بحرارة، وتقودها إلى غرفة الضيوف، حيث كان عبدالغني في استقبالها ولمح عدم الرضا على وجهها.

عبدالغني: اسمحي لي يا خالتي أن أتقدم باعتذاري على وجودي غير المبرر هنا.. ولكني لن أتركك إلا بعد أن تقبلي اعتذاري وبروح صافية.. صحيح أن ما نفعله خطأ كبير ومحرم، لكني لا أستطيع أن أقول إلا أن قبولك لاعتذاري سيدفعني وأيضاً سيدفع زهراء لإعادة التفكير في أمر علاقتنا المحرمة شرعاً، وعندما تتبدل الظروف سيكون لي قرار آخر.

وبينما كانت زهراء في حضن أمها ردت عليه الأم:

تفضل بالجلوس.. وأنتِ ناوليني كوب ماء..

تتحرك زهراء للمطبخ لإحضار كوب الماء لوالدتها.. حاولت الأم أن تتكلم لكن عبدالغني سارعها بالحديث قائلاً:

- عفواً يا خالتي.. أنا اعرف مـا تريدين قوله، ولكني اعتقد بأن مجرد قبولك لاعتذاري هو أني اعترف بخطأنا المشترك في اقامة علاقة غيـر شرعية.. ولو عـندك حل مناسب حتى لو لم يرضيني فسوف أوافقك عليه وأعمل على تحقيقه من الآن.

أم زهراء: أنت فـعـلاً كـمـا وصـفـتك زهـراء.. حلو اللسـان والاقناع.. وشكلك يقول أنك من عـيلة طيبة، وتحتـرم أصدقاءك.. لقد أقفلت عليَّ أبواب النقـاش، ولكني أترك أمر الحل لك برغم أني مقتنعة برأي ابنتي، فـهي معاندة وتحبك ومتمسكة كثـيراً بعلاقتك بها رغم معرفتها بأنك متزوج وتحب زوجتك.

سمـعت زهراء حديث أمـها وهي في طريق عودتهـا إليهـا حاملة كوب الماء فقالت:

- نعم متمـسكة به وأحبه ولن أتركه إلا بقناعتي وباتفـاقنا معاً.. أرجوك يا أمي لا تضغـطي عليَّ فتخسريني مـرة ثانية إلى الأبد.. انه سوف يتزوجني عندما تتحسن الظروف.

تجرها أمها فتجلسها في حضنها فتقول لها هامسة:

- تعـرفي يا ابنتي بأنك محـقة فـي عنادك بالتمـسك به، ولكني أخاف عليك من الأيام القادمة..

- زهراء أرجوك دعي ذلك لحـينه.. أو كما يقول عمـي أبو اليسر لكل حادث حديث.

- عـبـدالغني: أعـدك يا خالتـي أن أحافظ عـلى سمـعـة زهراء وسمعتكم قدر الاستطاعة، والان أرجوكم أن تسمحوا لي بالمغادرة..

- زهراء: لن تتركني ما دمت قد دخلت دارنا..

وبعد طلب زهراء من أمها أن تتـدخل لمنعه من مغادرة الدار ولبت طلبها

قبل عـبدالغني البقاء.. وبينمـا هي تداعب صديقها أمـام والدتها وهو يحاول تجنبها، قال عبدالغني لوالدة زهراء:

تصـدقي يا خالتـي أنك أجمل من زهراء، ولو أنـي لم أعرفكمـا لقلت بأنكما أخوات.

تضحك زهراء وتبتسم والدتها.. حيث تعقب قائلاً:

- شكراً على مجاملتك ومشاعرك الحساسة والرقيقة.

عبدالغني: أنا لا أجامل.. والله العظيم إني أقـول الحقيقة.. يا زهراء قولي الحق..

- زهراء بابتسامة جميلة ومعبرة:

إنه يقول الحقيقـة يا أمي.. فأنت تزوجتي أبي وعمرك ١٤ سنة.. ومازلت تحتفظين بجمالك ونضارتك رغم قساوة الزمن..

بعد تناول العشـاء.. تأخذ زهراء والدتها إلى. غرفة نومهـا لتغير ملابسهـا وتنام ثم تتركها.. عبدالغني كـان يعمل على تنظيف طاولة

الطعـام ويحـاول غـسل الأواني فعـاتبـتـه زهراء، ولكنه أصـر على مساعـدتها. . الام لم تكن جاهزة للنوم، فبعـد أن اغتسلت وأرتدت لباس النوم الخـفيف فأسـدلت شعرهـا الطويل واتجهت صوب غـرفة الضيـوف، وعلى الباب سمـعت ابنتها مع صديـقها يتشـاجران على عملية تنظيف وغسل الأواني والاطباق.

- أم زهراء: دعوا ذلك لي يا أولاد. . .

- تنظر زهراء إلى أمـهـا وكذا عـبدالغني الـذي كان مندهشـاً من الشكل الجديد لوالدة زهراء والذي كان يظهر كل مفاتنها وتبدو وكأنها في العقد الثلاثيني.

زهراء: مـا أجملك يا أمي. . يبـدو أن أبي أعمى، ولا يسـتطيع الكشف عن جمالك. .

- أم زهراء: لقد فاتنا الزمن. . ونحن لا نختار حياتنا، وكل شيء قضاء وقدر.

ترفض زهراء مساعـدتهما فتدفـعهما إلى خارج المـطبخ وتدعوهما لأن ينتظرا الشاي. .

جلس عـبدالغني مع والدة زهراء يتـحدث مـعها وحـاول أن ينكأ جرحها العاطفي، وكان يتفحص مفاتن جسدها، عندما قطع حديثهما رنين هاتفه الجوال، فيجيبه قائلاً: انتظر لدقائق سأتصل بك. .

تسأله زهراء عن من يـكون فيخبـرها أمام والدتهـا بأنه اتصال من صديقه حـسين ليحضر، كـانت الساعة حينها الواحـدة والنصف بعد

منتصف الليل ليأخذه معه، بينما كانت «زهراء» مشغولة باعداد الشاي ولهذا فإنه يكرر طلبه بالسماح له بالمغادرة.. ترفض زهراء المناقشة في الأمر ثم اقترحت والدتها بأن يدعو صديقه حسين للحضور والتسامر وبعدها يغادران معاً.

وإذا بزهراء تقول وهي فرحة ومسرورة:

تسلم لي فكرتك يا حبيبتي..

يرفض صديقها ولكن - زهراء - تسحب منه الهاتف فتعيد الاتصال بآخر رقم وهو رقم هاتف حسين فتطلب منه أن يقبل دعوتها للحضور، وتوسلت إليه أن يقبل دعوتها وستكون سعيدة بحضوره، بل أنها تتشرف بمعرفته، يلبي طلبها فتحدد له مكان الدار، فقال لها بأنه يقف أمامه، فتكلم مع عبدالغني وأخبره بأنه لا يمانع من تلبية الدعوة، كما أن أصدقائه نائمون ولا يعرفون أمر خروجه لأنه لم يتركهم إلا بعد اقفالهم لغرفهم..

كان عبدالغني يعرف نوايا حسين الأمنية والسياسية، ولم يكن أمامه إلا التنازل لرغبته ورغبة زهراء.. فنهض ليستقبله على الباب، بينما زهراء تحركت لتغيير ملابسها حتى لا تجرح مشاعر صديقها، ونسيت أن تطلب من والدتها أن تغير ملابسها..

والدتها كانت جالسة تشاهد التليفزيون وفي يدها كأس شاي.. وعندما أرادت زهراء أن تنصح والدتها بتغيير ملابسها فقد كان الأمر غير مناسب لأن حسين قد وصل، وبدأ بالسلام والتحية على والدتها ثم زهراء:

- حسين: أشكر لك دعوتك الكريمة.. ألا تعرفيني بصديقتك؟

ضحكت زهراء ثم ابتسمت والدتها:

- زهراء: إنها أمي.. بالتأكيد إنك مجامل مثل صديقك؟

- حسين: أقسم بحياة أمي أني لم أعرفها من قبل.. معذرة يا أم زهراء إن شكلك يعطي الانطباع بأنك فتاة في العقد الثلاثيني..

والدة زهراء: شكراً على مجاملتك.. بصراحة أنتم تبغوني أغير من بناتي.. ربنا يستر.

كلمة هنا وكلمة هناك حتى زال التكلف بين الحاضرين، كان حسين محاوراً لبقاً، وذا لسان حلو وتعبيراته هادئة ورقيقة.. حتي حانت الساعة الثانية والنصف تحرك عبدالغني نحو حمام غرفة النوم الخاص بزهراء فلحقته زهراء، واغلقت الباب، ودخلت معه الحمام الذي أعدته لهما، تقدمت اليه، وبدأت تقبله بحرارة، وتحاول تخليصه من ملابسه بعد أن تخلصت من ملابسها ثم دفعته إلى حوض الحمام الواسع.. حاول أن يمنعها ويبعدها ولكن من دون جدوى..

- عبدالغني: ليس الآن.. حسين موجود.. دعيني أولاً أودعه.. ماذا ستقول عنا أمك..

- زهراء: لا تقلق.. أمي ستتصرف معه بطريقتها الخاصة وتقوم بالضيافة وهو ليس غبياً.. سيكون أكثر فهماً لحالنا ووضعنا.

- عبدالغني: اذن دعيني أطلب الاذن منهما من باب الذوق..

- زهراء: عندما سيلحظ أننا قد تأخرنا فسوف يقدر الأمر.. أو

أقول لك.. اتصل به على هاتفه..

يكلمه على الهاتف، يعتذر له ويقبل حسن اعتذاره عن طيب خاطر..

وبينما تركت زهراء والدتها مع حسين، فقد استمر الاثنان يتبادلان الحديث الهاديء والعاطفي حتى نهض حسين واستأذنها في المغادرة، فترجته أن يؤنسها في وحدتها ولو لبعض الوقت.. لكنه شرح لها ظروفه، وما قد يسببه غيابه من قلق وارباك لزملائه.. حاولت معه فنهضت ووقفت مباشرة أمامه تحاول أن تقنعه.. ثم تمد له يدها لتصافحه وتودعه فشعر بحرارة غير عادية تسري إلى جسمه.. تشد على يده فيبادلها بنفس الحركة.. تقابلت عيونهما بنظرات مرتبكة وساحرة حتى تقارب جسداهما فشدها حسين بقوة إليه وبعد دقائق من تبادل القبلات الحارة دفعته أمامها بسرعة نحو غرفة نومها، ونسيت أن تطفيء أنوار صالة الضيوف وجهاز التلفاز.. يمارسان الجنس وقد وجدها حسين أكثر شوقاً لممارسة الحب والجنس..

– أم زهراء: تصدقني لو قلت لك أنها المرة الأولى التي أمارس الجنس مع شخص غير زوجي.. صحيح أني لم أكن أشعر بالاستمتاع وحاجتي للاشباع معه فقد قبلت بقدري ومصيري.. وتصدقني لو قلت لك بأني أشعر وكأني عروس، ولأول مرة أشعر بأني ارتويت من ظمأي...

– حسين: ماذا لو عرفت زهراء بالأمر.. وأيضا عبدالغني..

- أم زهراء: لا تهتم لأمرهما ولا تكـدر مزاجي وفرحتي... بالله عليك قل لي كيف وجدتني معك؟

- حـسين: بصراحـة.. باهرة ورائعة.. حـرام أن هذا الجسـد لا يأخذ كفايته من الراحة الكاملة.

في الساعة الخامسة نهـضت أم زهراء وقامت باعداد الفطور وكأنها تعده لعروسين، فأخذت كفايتها هي وحسين، وتركت ما تبقي لابنتها وصديقـها، وفي غـرفة نومـها أيقظت حـسين وطلبت منه أن يتناول فطوره، وأثناء تناول الفطور، وهو مـرتديا ملاية بـيضاء كـانت والدة زهراء قد اغـتسلت بعد إعـدادها للطعام وارتدت فسـتان نوم خفيـفاً ومثيراً..

كان حـسين قد استطاع أن يستـدرجها في الحديث الخـاص، حتى تمكن من الحصـول على معلومات جـديدة ومثيـرة ومخيفـة.. وبعد تناوله الفطور بدا يقبلها وهي في حضنه ويـعدها بلقاءات أخرى، وما أن يستأذنهـا في المغادرة قبل أن تنهض زهراء وعبـدالغني حتي ترفض الفكرة من أساسـها وتطلب منه بألا يهتم بأمـر صديقه وابنتهـا، فهي ستعرف كيف تتصرف معهما ثم تضغط عليه بقوة وتدفعه إلى السرير، حيث يستسلم للأمر من دون مقاومة..

في العاشرة صباحا وعلى دقـات منبه هاتف عبدالغني ينهض ومعه زهراء.. يذهب للاغتسال، بينما هى تذهب لإعداد الفطور.

وتندهنش عندما تجد الفطور مـعداً، فتعرف أن أمهـا قد أعدته..

فشكرت أمها وأخـذته إلى غرفتها وعادت مـرة أخرى لاعداد الشاي، وبينما هي عائدة إلى غرفتها صادفتها أمها في طريقها، فسلمت عليها وطلبت منها أن تنفرد بالحديـث معها.. توافقها زهراء وتتجـهان معاً إلى صالة الضيوف وتستغرب زهراء من وجود جهاز التلفاز مفتوحاً.. سألت زهراء والدتها عما تريد قوله لها:

- فقالت الأم:

اسمعي يا بنتي.. لقد وقع الفأس في الرأس..

- زهراء: ماذا تقصدين؟

- الام: لقد وقعت في المحظور.. بالأمس عندما تركتمونا وحدنا وبينما حسين كان يهم بالمغادرة لم أشعر إلا وأنا في حضنه.. وحصل ما حصل..

- زهراء «بدهشة»: أمي.. ماذا تقولين.. يا إلهي.. لا.. لا.. قولي لي أنك تمزحين.. أكيد تمزحين.. ولماذا؟

- الأم: أنا لا أمـزح.. قلت لك «الفـأس وقع في الرأس».. ثم كيف تحـاسبيني وأنت لا تشـعرين بأن والدك غيـر مهتم بي وبإشـباع رغـباتي الجـسـدية.. انظري لنفسك.. وكيف أنك لا تـستطيـعين الاستغناء عن الحب.

- زهراء: وضـعي يختـلف عن وضـعك.. أنت الآن أم وجـدة لأحفاد كثيرين.. يا الله..

- الأم: لا فـرق في الحب والجـنس عند المرأة مـهـمـا بـلغ بهـا

العمر.. فكري جيداً وتفهمي الأمر، وليس هناك من داع للمناقشة في أمر قد وقع.

تنهض زهراء من مقعدها وتتجه نحو والدتها فتربت بيدها على رأسها وتقوم بتقبيلها.

- زهراء: أرجو أن يتوقف الأمر عند هذه الحدود ولا يتطور إلي ما لا تحمد عقباه.. يكفي بلوتي.. ما هذه الحياة التي نعيشها ياربى.. اللهم سترك وعفوك...

لا أعرف كيف أقول لعبدالغني؟ ادعي لي بالتوفيق.

- الأم: هل تعتقدين أنه يمكن أن يشيا بنا؟

- زهراء: من هذه الناحية لا تقلقي.. ولكن قولي لي بصراحة هل استمتعت بوقعة الفأس؟

- الأم «تبتسم»: أول مرة أشعر بأنوثتي والاستمتاع.. فهو لم يكن مقصراً معي في شيء.. لقد حرك كل بقعة من جسدي، ولا أدري كيف يكون حالي بعد ذلك؟

- زهراء وهي تحاول التخفيف من حالتها النفسية المضطربة: الحمد لله أنك ارتحت، إن صورتك اليوم وكأنك فعلاً عروس في ليلة عرسها..

تتركها زهراء متجهة لصديقها.. وتلحقها أمها نحو صديقها أيضاً..

يسأل عبدالغني زهراء عن سبب تأخيرها.. فتتردد في الاجابة،

ولكنه أصر على اجابتها، فأخبرته بأمر حسين ووالدتها.. بعد لحظة من الدهشة التي علقت به قال

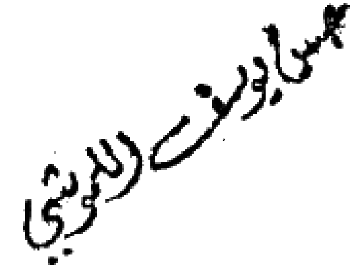
عبدالغني: انسي الأمر.. وما حصل قد حصل.. يبدو أن الجنس سيظل علامة فارقة في حياة البشر.. علامة مثيرة حتى في تاريخ البشرية.. لندع الأمر يمر من دون الاحساس بالغضب.. كوني مؤمنة بأن حدوث مثل تلك الأمور هو خارج عن ارادة البشر..

- زهراء: يعني أنك لست مستاء من الأمر؟

عبدالغني: أنا فعلاً مستاء، ولكن أي موقف من جانبنا لن يعيد الوضع إلى ما كان عليه سابقاً.. من ناحية حسين.. اطمأني أنت وأمك. فهو شخص كتوم ومخلص في علاقاته مع الآخرين.

وفي صالة الضيوف، وبينما كان عبدالغني يتهيأ للمغادرة، وبانتظار صديقه حسين الذي أطل عليه، فألقى التحية على صديقه وزهراء وتقدم نحو زهراء التي كانت تقف خلف صديقها، ودعها بكلمات رقيقة وهادئة مع الشكر على ضيافتهم الثقيلة ولصديقها، ثم ابتسمت له وتم الوداع مع وعد بلقاءات أخرى أكثر امتاعاً.

❖ ❖ ❖



الفصل الرابع عشر

تدهورت الأحوال الاقتصادية في البلاد بصورة كبيرة، وارتفعت معدلات الفقر..

كانت الرعية تكتوي بنار الأسعار، وسط حشود ضخمة من العاطلين الباحثين عن فرصة عمل ولو بأدنى مرتب، حتى وإن كانت بعيدة تماماً عن تخصصاتهم، وأعلنت الحكومة عن إتاحة مليون فرصة عمل وحددت ثمن الاستمارة مبلغاً من المال.

جمعت الحكومة في أيام قليلة حصيلة ٣ ملايين طلب تقدموا لهذه الوظائف، وكان من المحزن حقاً هو تقدم حاملي البكالوريوس للعمل كعمال نظافة أو خدم بالمساجد، أما الحرفيون فلم يعيروا هذه الوظائف أدنى اهتمام.. فهم لا يودون «التمرغ في تراب الميري» لأنه يسبب لهم حساسية شديدة.

ووسط التكالب على هذه الوظائف الحكومية نشطت جماعات الواسطة لتسكين هذه الوظائف، لصلتهم بذوي النفوذ، ولممارسة الشعائر الوطنية المعروفة لجمهورية نهبستان الديمقراطية.

واستمر النهب من المواطنين أو الرعية، لدرجة أن أحدهم كتب رسالة إلى جريدة معارضة في الخارج تحت عنوان «استقالة مواطن»، يعلن فيها استقالته من كونه مواطناً، لأنه يدفع كافة الالتزامات، ويؤدي واجباته مع عدم حصوله على أية حقوق على الاطلاق، ولضيقه الشديد بثقل بواجباته لذا فقد أعلن استقالته من الوطن!

وكانت مظاهر الفقر المدقع بادية على أكثر من ٩٠٪ من الشعب أو

الرعـية، بـينما نسـبـة قليلة جـداً تتـمتع بـالثراء والرفـاهيـة، فكان التليفزيون، يبث اعلانات عن المطبخ الأميركي الذي يتجاوز ثمنه ستين ألفاً، وغرفة النوم التي تتعدى مائة وسبعين ألفاً «طبعا من الدولارات» وكـيف يدور السرير بالـريموت كنترول وهو يبث الموسـيـقى الناعمـة الثرية، والأضواء الخافتة التي تثير المتعة الحقيقية..

واعلانات عن أحدث أنواع السيـارات التي يتعدى عشرات آلالاف من الدنانير او ملايين الريالات والجنيهات عشرات الالاف من الدنانير أو مـلايين الريالات والجنيـهـات، وأنواع مـن السـتـائر والديكورات المنزلية، والمصـايف والشاليهـات بأسعار خـيالية، وغـيرها من السلع الاستفززاية، كل هذه الأشياء كـانت تُفجر الغضب الكامن في نفوس الرعـية، لكن وسط اجـراءات القمع والارهاب الذي تمارسـه أجهـزة الدولة على رعاياها وكبت حرياتهم وإسكات صراخهم، فقد أصابهم الاكتـئاب والاحبـاط، فاندفع الكثيـرون منهم إلى الانتحار، مـا دعا المنظمات الدولية الخـاصة بالصحة النفسيـة لدراسة الوضع المتردي في جمهورية نهبستان.

وطالبت الدول العظمى بتطبيق الديمقراطية وعدالة توزيع الثروة في الجـمهـورية، وركزت على ضـرورة الاصـلاح السيـاسي قبل اجـراء الاصلاح الاقتصادي، وانتقدت منـاهج التعليم الدينية لاحتوائها على آيات ودروس الجـهاد، بصـفتـه - كمـا تزعم تلك الدول العظمى - إرهاباً!

وسط هذا الزخم من الفقر المدقع وتشظي الرعية، ولها ثهم اليومي للبحث عن القوت الضروري - إن وجد - كانت الجريدة السرية تباشر صدورها بانتظام، ما أشعل ثورة في نفوس الرعية، ولم تنجح محاولات اعتقال قراء الجريدة، لانتشارهم في جميع أنحاء الجمهورية، وكانت ترسل للمعارضين في الخارج فضلاً عن تأليب الرعية ضد أبي اليسر وبطانته الفاسدة.

كانت الحشود العسكرية الأجنبية تتوالى على حدود جمهورية نهبستان استعداداً لاحتلالها، ووصلت حاملات طائرات وغواصات نووية وكميات ضخمة من الذخيرة والصواريخ والقنابل الذكية والانشطارية والعنقودية، وأخذت هذه الدول تلوح - عبر وسائل الاعلام الدولية - بحجم الدمار الشامل الذي تحمله أسلحتها الفتاكة للتخلص من أبي اليسر وعصابته، وإقرار الديمقراطية وتحرير الرعية، فيما ظهرت مبادرات عربية لإيقاف قطار الحرب السريع..

وجاء وفد من مملكة لهفستان - المجاورة لجمهورية نهبستان - ليلتقي أبي اليسر، عارضاً مبادرة لكبح رغبات الزعيم وتقديم تنازلات للتحالف الدولي..

بعد معاناة وافق الزعيم على لقاء الوفد، قال كبيرهم «رئيس وفد مملكة لهفستان»:

يا صاحب الفخامة، يا حامي حمى العروبة والقومية، إن احتل الأجانب بلادكم - لا قدر الله - فسوف يحتلون بلادنا المجاورة لكم،

وقد جئنا إليك حماية لبلادكم وبلادنا، والمبادرة التي نحملها تركز على تنازلك عن الحكم لابنك، والسماح للقوى العظمى بإدارة شؤون البلاد من خلال وزراء وأمراء موالين لهم، وأن تختار احدى الدول الاجنبية لتنتقل أنت ومن تريد من عائلتك للإقامة بها في أفخم مكان وفي رغد وأمن وأمان، وذلك لتجنب شعبك ودولتك الدمار الشامل.

ولكن الزعيم رفض المبادرة بفظاظة، فهب واقفاً وخرج من دون استئذان، فقام الوفد منصرفاً بموكب سياراته الى المطار رأساً حيث استقلوا طائرتهم الخاصة وأقلعت بهم فوراً إلى مملكتهم..

بعد وصولهم بلحظات اتجهوا الى مليكهم ليبلغوه بما دار بينهم وبين أبي اليسر، فاستشاط الملك غضباً، وأبلغ الرد للقوى العظمى التي كانت تتوقع هذا الرد وسعيدة به.

زادت الحشود العسكرية، وجاء نصف مليون جندي أجنبي، وتمركزوا في بعض الدول المحيطة بجمهورية نهبستان، استعداداً لشن الحرب.

اجتمع أبو اليسر مع مساعديه وأمرائه، وأعلن أنه مستعد للحرب، فقد حشد عشرة ملايين مقاتل للفتك بالغزاة، وأنه سوف يلقنهم درساً قاسياً وسيكونون عبرة لمن لا يعتبر..

وعلى الفور كانت أجهزة الاعلام والدعاية الرسمية تبث الخطب الحماسية للزعيم ورده القاطع على الأعداء، فيما كانت الرعية تتندر بغبائه وتهوره، ولأن الشعب «ابن نكتة» فقد ظهرت عشرات النكات

التي سرت في البلد مسرى النار في الهشـيم، وأصبحت سيرة الزعيم على كل لسان!

حالة من السخط عمت الجيش الوطني لجمهورية نهبستان، وقامت بعض الجماعات بتحريض الضباط للقيام بانقلاب لتولي السلطة، فيما كانت الرعية ثائرة وتكاد تنفجر الحمم من الصدور لكن الجريدة السرية حذرت من تدخل الجيش فى السلطة.

أعلنت قوات التحـالف أنها غير راضية عن بقاء الزعـيم أبي اليسر حاكـماً لجمهـورية نهبسـتان، وقالت إن شـرطها الوحيـد للعودة إلى بلادها من دون قتال هو تنازل أبي اليسـر عن الحكم واجراء انتخابات تشريعية رئاسية وإقرار الديمقراطية.

واستشاط أبو اليسر غضباً، وأعلن عدم تنازله عن الحكم لأحد من الرعـية أو لأي مـخلوق، وتحدى التـحالف الدولي.. ولكن جـاءت الرياح بما لا تشتهي سفن أبي اليسر وبطانته الفاسدة..

وفي ليلة حالكة وبينمـا كانت الرعيـة تأوى إلى فراشها بعـد نهار متـعب وشاق، وهم لا يتـوقعون أن تبـدأ ساعـة الحرب.. في تلك الليلة صـدر القـرار بالبدء في الـضربة العـسكرية للحـرب.. بدأت الطائرات تقصف العاصمة وأبرز المواقـع الرئاسية والعسكرية والأمنية، وترافقت مـعها انطلاق الصـواريخ وتحرك الدبابات والجنود لاجتـياح الحدود البرية للبلد ولم تستطع القـوات العسكرية التابعة لحكم الزعيم أبو اليسـر مقـاومة تلك القـوات وحدث انهيـار مريع ومـهين قاد في

النهـاية الي سقوط كـامل لحكم الزعيـم واحتلال لكل البـلد وفرض سلطة احتلال مؤقتة وكانت الضـربات قاسية ومؤلمة على البلد والرعية فبالاضافة إلي المواقع العسكرية والسياسية فقد شملت معظم موسسات البني التحتـية للبلد والأكثر إيلاما وقسـوة أن هناك مئات من الناس - شيـوخ وشبـاب وأطفال ونسـاء - لقوا حتـفهم بحـيث لم يتم وضع الحسـبان لهم وكأنهم مـجرد أرقام لـيس لها قيـمة أو مجـرد كائنات مادية. . فـالمحاربون تجردوا من أخـلاقياتهم لأن أهدافـهم غير مـعنية بتلك الأرواح على الرغم من تقاطع أهدافهم.

ولأن الرعية كانت منشغلة بتدبير أحـوالها المادية اليومية فان الحرب على نظامهم وزعيـمهم لم تكن واردة في حساباتهم السياسـية انطلاقاً من تعودهم على الحرب، فهم شهدوا حـروب داخلية وإقليمية وذاقوا مرارتها وتحملوا أوزارها المتصاعدة يوماً بعد يوم وعاماً بعد عام.

وقبـل الحرب وأثناءها كـان القادرون من الرعـية وعـائلات بعض القادة يهجرون البلد وكان بعض القـادة يهربون أموالهم خوفاً من آثار الحرب وترددت شـائعات بأن بعـضا من أفـراد عائلة الزعـيم حاولوا سحب أمـوال من مؤسـسات ومصـارف البلد العامـة بالملايين، وهم بذلك لم يكتفـوا بما نهبـوه أثناء سيطرتهم على مقـاليد الرعـية والبلد فتـضاربت الارقام بين عـشرات الملايين إلى مـئات والاف الملايين من الدولارات الخاصة بالبلد والرعية.

كمـا تضاربت الأنباء عن مصـير الزعيم وأفـراد عائلته ومسـاعديه

المقربين وباختفائهم سقط النظام السياسي وأختفي النظام والقانون والأمن رغم سيطرة قوات الاحتلال على كل البلد، ولم يتضرر من ذلك إلا الناس البسطاء والتي لم تتغير حالتهم المادية إلا نحو الأسوأ خصوصا وأن ادارة الاحتلال سعت إلى التصفية الجذرية لابرز مكونات نظام الزعيم المدحور والمخلوع، فاللغة التي على أساسها قامت قوات الاحتلال باسقاط الزعيم ونظامه السياسية - وهي لغة التحرير - لم تلقى تجاوبا يذكر بالرضى من قبل الرعية رغم كراهيتهم للنظام السابق، فلغة التحرير تحولت إلى لغة احتلال لبلدهم، تلك اللغة وما رافقها من أفكار سياسية خاصة بعملية التغيير الضروري للأنظمة السياسية في المنطقة بعثت الكثير من المخاوف لدي بعض تلك الأنظمة التي لم تحسب حساباتها بطريقة صحيحة بل ولم تكن قارئة جيدة للمتغيرات السياسية الدولية، لقد عارضت تلك الأنظمة لغة الاحتلال رغم صمتها عن تشريعه دولياً.

فقبل الحرب والاحتلال سعي قادة تلك الأنظمة إلى عقد قمة رئاسية أدانوا فيها الحرب.وليس نتائجها التي تقول المصادر السياسية الدولية والعربية أنهم - الملوك والزعماء - كانوا يعرفونها ولكنهم لم يقووا على مواجهتها أو معارضتها، وبعد الحرب وبسط سلطة الاحتلال ألتزموا الصمت المريب ولم يحاولوا على عقد قمة لمناقشة الواقع الجديد خوفاً من ردود الفعل الأمريكية التي تطالبهم بالاصلاحات، وربما تقود إلى اسقاطهم خصوصا وأن الأيادي

الأمريكية أصبحت على مرمى حجر من بلدانهم.

لقد تغيرت المعالم السياسية للمنطقة نتيجة الاحتلال العسكري لجمهورية نهبستان العربية وسقوط نظامها السياسي العتيد والمعتق وأصبح من المسلمات أن تتغير الملامح الجغرافية للمنطقة، فالاصلاحات السياسية التي تنشدها الشعوب لا يمكن أن تكون مقبولة وهم يشاهدونها قادمة ركوباً على الدبابة الأمريكية التي تؤكد المؤشرات بأنها الوسيلة الوحيدة للانتقال إلى أوضاع أخرى قائمة على خدمة المصالح الأمريكية وليس العربية.. ويبدو أن تلك الوسيلة باتت ناجعة بالنسبة للقادة الزعماء والملوك العرب ولكن ليست على الطريقة الاحتلالية الجديدة، وبمعني آخر استمرار تلك الأنظمة بنفس شخوصها وبرامجها وأهدافها الخاضعة لارادة القرار الأجنبي.

أثناء الحرب وبينما كان عبدالغني وعائلته ينوي مغادرة العاصمة نحو أهله تلقي اتصال تليفوني من زهراء وهو يحمل أمتعته الخاصة بسيارته.. تسأله مباشرة:

أخبارك زين.. الحمد لله أني أطمأنت عليك..

يجيبها بهدوء وحذر:

أشكرك على هذه المكالمة وأنت كيف حالك؟

زهراء:

الحمد لله.. أني بغيت أخبرك بأني في طريقي إلي الخارج مع موكب عائلي كبير يبدو أنها الخاتمة الطبيعية لحكم العائلة، وحالما نبلغ

الحدود ونستقر سأقوم بالاتصال بكم للاطمئنان عليكم.

عبدالغني:

ارجو ذلك فأنا أود أن اطمئن عليك ولو بأي وقت، أرجوك اهتمي بنفسك وأبنتك.. سأكون متشوقاً لأن أسمع صوتك وأتمنى أن لا يطول غيابك عنا.

زهراء وهي تجهش بالبكاء وكانت في حالة ارتباك خصوصا وأنها كانت تقود سيارتها بنفسها ردت عليه:

بغيت أقول لك بأني كنت محقة عندما اخترتك فأنت غمرتني بحنانك ولطفك ورعايتك ولم أكن أتوقع ذلك.. لكن الله كان معي وسيكون معي ولا أعتقد بأنك ستحجب عني تلك الصفات ولو لمجرد السؤال وهذا بحد ذاته يكفيني وأعدك بأن احفظ وعودي معك حتى آخر رمق في حياتي.

يجيبها عبدالغني وهو يحاول أنهاء المكالمة:

أنت ومن دون مبالغة تستحقين أكثر من ذلك.. لنؤجل أي حديث حالما تستقرين، ونصيحتي أن تأخذي بالك من نفسك وأدعوا الله ان يكون معك وييسر لك كل الأمور. تصلي بالسلامة وإلى اللقاء.

يركب عبدالغني وزوجته السيارة ويحاولان الانطلاق بأقصى سرعة لمغادرة العاصمة التي تلقت أكثر الضربات العسكرية المدمرة، ومن بعيد يشاهدان طابور طويل من السيارات تخضع للتفتيش من قبل دورية أمنية تابعة لنظام الزعيم قبل سقوط العاصمة، ولم تجد زوجته

سوي أن تطرح عليه فكرة العودة للعاصمة والاحتماء في منزل صديقه ابراهيم وزوجته أماني، درس الفكرة وادرك انها صائبة في الوقت الراهن فقرر مباشرةً تغيير اتجاه سيارته باتجاه منزل ابراهيم ثم قام بالاتصال إلى صديقه واخباره بما حدث له وطلبه المكلف للاحتماء بمنزلهم، فرد عليه صديقه بسرعة:

لا تطل الكلام.. نحن في انتظاركم بداركم حاول قدر الامكان الاسراع في نفس الوقت يقدم حسين على ترك منزله مع عائلته فيبعث بعائلته مع شقيق زوجته إلي أهله بينما هو يذهب الي اسماعيل للاحتماء به بعد أن اتصل به وابلغه انه اتخذ القرار خوفا على عائلته في حالة تعرفت عليه دوريات الأمن واعتبروه هاربا من تأدية الواحب الوطني خاصة وأنه معروف من خلال عمله في الجهاز الأمني.. ورحب به اسماعيل ومشجعا له على فكرته وقراره الجريء والصائب.

يصل عبدالغني إلي منزل عائلة إبراهيم الذين يرحبون به ويقومون مباشرة بتفريغ احدى الغرف الخاصة باولاد أبنهم عبدالكريم، ينفرد ابراهيم بصديقه فيسأله عن أن كان يعرف شيئاً عن حسين فيجيبه بأنه اتصل بحسين بعد اتصاله به وأخبره بأنه موجود في ضيافة اسماعيل وأخبرته بقراري وكان اسماعيل قد طلب استضافتنا ولكني شكرته وأبلغته عن ضيافتك لنا.

ابراهيم:

قلت لك أنسي الرسميات فأنت في دارك ووسط أهلك..

عبدالغني:

أعرف هذا ولا أستطيع التعبير عن حقيقة مشاعري رغم أن الفكرة هي فكرة الزوجة.. على أي حـال قبل مغـادرتي الدار تلقيت مكالمة من زهراء وحكت أنها مع موكب كبير من العائلة باتجاه الحدود الغربية للبلد وقالت من ذات نفسها ان هذه هى الخاتمة طبيعية والمتوقعة لحكم عائلة أبو اليسر.

ابراهيم:

كنت أمني نفسي بأن لا تكون تلك هي النهاية وربما أنها لن تكون نهاية معروفـة الحدود والفواصل.. أني لا أري أي نور في هذا النفق المظلم الذي سنعـيشـه لاحقـاً.. لقد تقـاطعت كل الطرق والأهداف تقاطع حاد ومؤلم.

كما كنت أتمنى أن لا يكون الهروب إلى المجهول..

يقاطعه عبدالغني باستغراب:

ماذا تعني بكلامك؟ هل يعني أنك كنت تفـضل عدم سقوط حكم الزعيم؟ هذا كلام جديد اسمعه منك؟

يجيبه بعد نهدة عميقة وطويلة:

ما أعنيه ليس كما تتصـور يا صديقي العزيز.. فعلاً كنت اتمني أن لا يسقط حكم الزعيم على هذه الصورة المريبة والمقلقة والذليلة.. أنا كنت أتمنى أن تكون خـاتمتـه على أيادي أبنـاء البلد فـقط وليس على طريقـة الدبابة والرماح الأمـريكية، فـهذه الطريقـة مدمـرة لكل البلد

ولكل الأمة وستكون محملة باعباء فوق قدراتنا التي ستصبح مكبلة بقيود أمريكية سيصعب علينا خلخلتها.. سيأتي يوم تترحم فيه على أيام حكم الزعيم رغم أن الفرق بين حكم الزعيم ونظام الاحتلال القادم لن ولم يختلفان في الأهداف بل في الطبيعة الشكلية.

عبدالغني:

في هذا اتفق معك ولكن وماذا بعد؟

ابراهيم:

هذا ما لا نستطيع التنبؤ به.. أنها مشيئة الرحمن فهو وحدة كفيل بنا وبالبلد.. دعنا الآن وفي المرحلة الراهنة ندعوا بحسن الخاتمة مع المزيد من تحملنا أنواء الصبر والعذاب!!

يسأل عبدالغني صديقه:

هل من أخبار عن شقيقك عبدالكريم؟

ابراهيم هامساً:

آخر اتصال منه أول أيام الحرب.. الله يكون في عونه وعون أبي وأمي وزوجته وأولاده والجميع!

لحظة صمت سادت جو الصديقين ثم قطعها إبراهيم قائلاً:

أني أخاف كثيرا على حسين، أما أنت فلا خوف عليك لأنك كنت مضطراً للعمل مع أجهزة الحزب الحاكم وعلاقتك جيدة بالجميع ومعروف باستقامتك ومواقفك السياسية.. أما حسين فالأمر معه يختلف وانشاء الله أن يتوفق اسماعيل في فرض حمايته عليه والعفو

عنه كما أني لا أعتقد بان له خلفية سيئة.

عبدالغني يسأل:

ما هو تصورك لاختفاء الزعيم وأبرز مساعديه؟

يجيبه إبراهيم وهو شارداً:

لا أستطيع أن أتصور بأنه غادر البلد كما تناقلت بعض وسائل الاعلام كما لا أستطيع تصور كيف سيكون مصيره النهائي؟ وفي كل الأحوال أي مصير سيواجهه فهو يستحقه إلا مصير العودة مرة ثانية للحكم.. انها مسألة في غاية الحساسية لأن يتم معرفة مصيره.. وبالنسبة لوجهه نظري الشخصية فأنه يعتبر ورقه محروقة محلياً وإقليمياً ودولياً.

بعد بضعة أيام من اندلاع الحرب وتعرض البني التحتية للبلد للتدمير مثل الكهرباء والمياه والهاتف وغيرها، وبسط السيطرة الكاملة على العاصمة من قبل قوات الاحتلال الغازية قرر إبراهيم القيام بزيارة ودية لدار الأخ اسماعيل والتقي به وبحسين وطمأنه اسماعيل إلى أنه التقى مع بعض أصدقائه من الشخصيات الوطنية القادمة على ظهور الدبابات الأمريكية برغم تباين مواقفهم السياسية.

❖ ❖ ❖

الفصل الخامس عشر

بعد أن انهارت القوة العسكرية للزعيم رغم عدم مشاركتها فعليا في المواجهة نتيجة لكثير من العوامل الموضوعية والذاتية مما أدى إلى سقوط الزعيم ونظامه.. وبعد السقوط اختفى الزعيم واختفت هيبة النظام والأمن.. كما تعرضت مؤسسات الدولة للنهب والتخريب والتدمير من قبل الغوغاء وبعض العصابات المحلية والدولية المتخصصة في سرقة آثار الشعوب والاتجار بها.

وما أن اختفى الزعيم وانهارت مؤسسات نظامه كانت مهمة الحفاظ على النظام والأمن وتيسير أمور الرعية من أصعب المهام التي واجهت القوات الغازية والقوى السياسية المعارضة لحكم أبو اليسر، فالقوات الغازية لم تكن تثق بتلك القوى على اعتبار أنها لم تكن ذات قاعدة جماهيرية، وأدى انهيار النظام ومؤسساته إلى إفراغ جهاز الإدارة من معظم كوادرها وخبراتها تحت دعوى ارتباطهم بالنظام السابق أدى إلى تعطيل معظم الأجهزة الأساسية عن تأدية مهامها.. ثم بدأت القوى السياسية الجديدة تتحرك للسيطرة على المقرات الحكومية ومن ثم إظهار نفسها كقوة سياسية قادرة على ادارة البلد والرعية ومع ذلك لم تحظ برضى القوى السياسية والقوى الاحتلالية حيث سعت قوة الاحتلال إلى البحث عن إطار يجمع كل القوى السياسية لإدارة السلطة، كما قامت بالبحث عن بعض الشخصيات التي عاشت في ظل حكم أبواليسر والتي عرفت بمعارضتها لحكمه ولكنها لم تكن تملك مقومات التغيير بفعل القبضة البوليسية والسياسية والمادية لأجهزة أبو اليسر.. فكان وقع الاختيار غير المتوقع على المقدم حسين وإبراهيم بينما استبعد

اسماعيل نتيجة لارتباطاته العقائدية كما تم اختيار قائد وعبدالغني في مواقع أخرى وعلى الرغم من معارضة إبراهيم وحسين وزملائهم الا أنهم قبلوا بعد وساطات عدة من شخصيات سياسية معروفة معهم على اعتبار أن وجودهم سيعود بالفائدة للبلد والرعية وسيساعدهم على إشهار حركتهم بدلا من البقاء تحت الأرض والخوف من المستقبل، وهنا حاول اسماعيل التأثير على زملائه للقبول وابلغهم بأنه يعرف أسباب عدم اختياره، ولهذا سيسخر جهده لتفعيل نشاط حركتهم تنظيمياً وسياسياً.

وبرغم الصعوبات التي واجهت إدارة الحكم الجديد فقد استمر إبراهيم وزملاؤه في معارضتهم للاحتلال، وسياساته العسكرية والأمنية والإدارية، ومع استمرار معارضتهم فقد استطاعوا أن يكتسبوا احترام الشارع، وكانوا من أبرز دعاة خروج قوات الاحتلال وإجراء انتخابات تشريعية ورئاسية برعاية الأمم المتحدة والجامعة العربية ولم يخفوا مواقفهم المعلنة وانتماءهم السياسي لحركة التجديد والبناء التي عقدت أول مؤتمر لها برئاسة ابراهيم الذي حشد المندوبين لانتخاب إسماعيل رئيسا للحركة، رغم رفضه واصراره على ان يكون إبراهيم هو الرئيس وبعد التوافق قبل إسماعيل قرار المؤتمر مع اشتراط ان يكون ابراهيم هو الرئيس الفخري للحركة، ورئيس هيئة المستشارين والحكماء التي انتخبها المؤتمر كهيئة مساعدة لأمانة الحركة القيادية، وقد ضمت الحركة عبدالغني وقائد والمقدم حسين الذي فاجأ زملائه ابراهيم واسماعيل وعبدالغني بحضوره للجلسة الافتتاحية، وطلب إلقاء كلمة

لم تكن مدرجة في جـدول الأعمال فتقدم ابـراهيم بمقترح للمندوبين بالسماح لحسين بإلقاء كلمته وقبل ان يختم كلمته:

بعد مراجعة مع الذات ودراسة عميـقة لو ثائق حركتكم البرنامجية فأني أتقدم بطلب الانضمام لعضوية حركتكم.

وعلى الرغم من المفاجأة التي تلقاها المندوبين وابراهيم وزملائه في قيادة أعمال المؤتمر فقد قام عبدالغني - بعد استلامه إشارة من إبراهيم وإسماعـيل وفهم معنى الإشارة -طلب من المندوبـين ان يوافقوا على طلبه، واستثناء انتخابه كعضو في قيادة الحركة التي تحتاج إليه في هذه الاوقات فـوافق الحاضـرون بالإجماع ومـباشرة تم اسـتدعـاء حسين للجلوس ضمن قيـادة أعمال المؤتمر وبرغم رفضه فقد لـبي توجيهات رئيس اعمال المؤتمر.

بعد شهـرين من سقوط نظام أبواليسر تمكن عـبدالغني وحسين من استـعادة الفـيللا الخـاصة بزهراء التي تعـرضت للنهب والتخـريب، وسيطرة أحد الاحزاب الجديدة عليها بعـد مفاوضات طويلة ومعقدة، وما أن تسلموا الفيللا حتى قاموا بتـرميم بسيط للفيللا وتأثيثها ووضع أحد أقارب حسين للسكن المؤقت فيهـا حتى عودة مالكته أو التصرف بها وفقا لإرادتها.. وقد فرحت زهراء حينما عرفت بالخبر من أحدى صديقاتهـا وتأكيده من عبـدالغني بعد اتصال هاتفي سريع أبلغـته أنها تنوي العودة لـلوطن لأنها لا تتحـمل أي مسـؤولية مبـاشرة أو غـير مباشـرة في النظام السابق.. فالفـيللا هى قيمة مـهرها وقد سجلـتها بأسمها بعد الزواج مباشـرة.. ومنذ مغادرتها الوطن لم تلتقِ بزوجها

وأبو أبنتها الذي هرب من الوطن قبل اندلاع الحرب مع زوجته الجديدة.

وحينما أخبرت زهراء والدتها بأمر استعادة فيلتها ودور عبدالغني وحسين في الأمر وبينما كانت الام في حالة صمت وشرود قالت زهراء:

ألم أقل لك بأني كنت محظوظة عندما تعرفت إلى عبدالغني وغمرني بحنانه وعطفه اللذين حرمت منهما في حياتي الزوجية وكم كنت أتمنى لو كانت معرفتي به قبل زواجي أو زواجه، وبوقفته الأخيرة بدأت أشعر بأني سأكون أنانية لو حاولت الاحتفاظ به لي وحدي.. أن تلك الوقفة تجعلني أحافظ عليه كصديق وأخ، وأمنحه الاستقرار مع عائلته هذا أقل ما استطيع عمله معه.

الأم:

لقد أحترت يا بنيتي والله يسامح من كان السبب.. أصبح الغرباء يهتمون بنا أكثر من الأقارب.. ربنا كبير ولا ينسى أفعال عباده..

زهراء:

لقد قررت وبعد تفكير عميق العودة إلى الوطن بدلا من حياة التشرد والاغتراب والخوف، خصوصا أننا لم نكن مشاركين مباشرين للسلطة السابقة، والتي كانت فعلا فاسدة ودموية وعابثة.. وعلى كل حال أصبح الانتماء للعهد البائد أو حتى التفكير به لا يشرفني..

الأم:

لا تستعجلي بالقرار، وتوقعي أن والدك لن يقبل به.. وصدقيني

يا بنتي بأني أكثر اشـتياقا للوطن والأهل والأصدقـاء.. والمغترب عن وطنه يظل غـريباً عن الاوطان الاخرى، بـل وغريباً فـيهـا.. وأقول نصبر قليـلاً حتى تهدىء الحالة النفسـية لأبوك فهو مازال غـاضباً من الجميع بما فيهم أبو اليسر والشيخ أبو الأخفش..

زهراء ترد:

أنا لست قـاصرة ولن أحـتمل أن أضـيع عمري هـنا ومعه أضـيع بيتي، وهو الشيء الوحـيد الذي أملكه كضـمان لمسـتقبلي ومسـتقبل أبنتي، وربما يأتينـي النصيب، ويـرزقني بابن حـلال استظل به بـقيـة حياتي فـأعيش بأمان استقـرار.. وقد تكون عودتي فرصة لاسـتعادة ممتلكات أبي مـثل البـيـوت، خصـوصـا وأن عبـدالغني أصـبح من الشخصـيات الهامة في المرحلة الجـديدة، وهو بالتأكيد لـن يتأخر عن مساعدتي وسأحاول إقناع أبي مهـما تطلب الأمر فالعودة لابد منها يا أمي.

الأم:

لا تفتحي الموضوع إلا بعد أيام، وبالكثيـر بعد أسبوع، وسأحاول معك إقناعه بأن خالتك وأولادها سيبقون معك حتي عودتنا التي أتمنى أن لا تطول.

وبعد مشاورات مطولة، وافق والد زهراء على قرار عودة أبنته واشتراطه ان توافق خالتها بأن تعيش معها، أو مع عمتها - شقيقة والدها - وأخبرها بأنه سيتصل بأخوه ليمنحها مصاريفها الشهرية وشدد على أنها فى حال أي تردي الأوضاع تتجه إلى مرابع عمها وهو كفيل بحمايتها هي وأبنتها.

تعود زهراء وابنتهـا إلى الوطن بعد غياب ثلاثة أشـهر حيث يستـقبلها عبـدالغني في إحـدى النقاط الحـدودية ومعه خـادمتـها التي بحث عـنها وأخبـرها بعودة زهراء.. لم تصدق زهراء عـينيها حـينما رأته واقفـا أمام الجنود . . وحراس النقطة مـتأملا القادمين وعندما نادت بأسـمه كادت أن تقفـز من سيارتها إلى حـضنه مما أصابها بالارباك فـتعثرت الكلمـات منها مقابل انهمار دموعها الغـزيرة وشعورها بعدم القدرة على تحريك سواعدها التي قبضت على يده بقوة معبرة عن شعور لا يوصف، وشوق لا يتسع له الكون، بعدها أخذ منهـا وثائقها وذهب بها الى قيادة المركـز ثم يعود اليها بعد دقائق ومؤشـرا لسائقه الخاص بأن يتقدمـه، وحينما وصلوا إلى احدى المدن التي تبعد عن العاصـمة بسبع ساعات، كان الوقت حـينها يشير إلى العاشرة ليلا فأخبرها عـبدالغني إنه يفضل أن يرتاحوا الليلة من تعب السفر حتى صبـاح اليوم التالى فـتوجه إلى أحد الفنادق الضـخمة وحجـز لهما جناحاً وأمر سـائقه بعد تناول العشـاء أن يسبقهم إلى العاصـمة ويبات في فيللا زهراء التي فرغت من ساكنهـا، وحذره من الاتصال بأي من كان أو الإبلاغ عن مكان وجوده وصـحبتـه.. عامل الفندق يرافق زهراء وابنتـها وخادمتهـا إلى الجناح بينما كان حسين يقوم باستكمال إجـراءات التسجيل والدفع، كما قـام بطلب وجبة عشاء له ولضـيوفه وقبل ان يعود لضـيوفه اجرى بعض الاتصـالات بعائلته التي كانـت مع أهله تنتظر مولودها الأول ثم بحسين وإبراهيم وإسـماعيل ليطمئـنهم على مأموريته، ويخـبرهم بأنه سيتـأخر عن العودة حـتى الصباح لاسبـاب صحية، وبينمـا كان إبراهيم يمازحه أجابه عبدالغني:

أعدك يا صديقي العزيز بأن نضع حداً لعلاقتي بزهراء بما يرضي الجميع وإن واجبه الانساني يتطلب منه الوقوف معها في الظروف الحرجة التي تمر بها.

وفي الوقت الذي كان فيه إبراهيم متسامرا مع حسين وإسماعيل ويتناقشون في جدية مطالبة عبدالغني بوضع حد نهائي لعلاقته بزهراء انطلاقا من الوضع الجديد الذي يمر به البلد ووضعه السياسي العام - كان عبدالغني يقرع باب الجناح الذي انفتح من قبل خادمة زهراء التي كانت تحتضن بنت زهراء فأخبرته أن زهراء دخلت لتوها الحمام للاغتسال ثم استأذنته للنوم بسبب شعورها بالإرهاق مع البنت ولكنه طلب منها أن تنتظر العشاء فاجابته بأنها قد تعشت سندويتشات احضرتها سيدتها...

يتجه نحو إحدى النوافذ المطلة على جزء من النهر والمدينة فجلس يتأمل لدقائق ثم إتجه إلى الحمام الآخر للاغتسال، وما أن انتهى حتي سمع دقات على الباب فاتجه إليه وسأل عن الطارق، وعرف أنه أحد الجرسونات الحاملين للعشاء ثم أغلق الباب وعقله مشغول عن سبب تأخر خروج زهراء من الحمام قرر أن ينادي عليها وقبل أن يفتح غرفة النوم شعر بتردد غريب دفعه للتراجع خطوات فراودته الكثير من الافكار حتى تذكر أن زهراء معروفة بطول استحمامها.. عاد إلى الصالة وفتح التلفاز على قناة الجزيرة.. جلس على الكرسي للحظات ثم نهض باتجاه غرفة النوم فقرع الباب ووجده مفتوحا فنادى باسم زهراء التي أجابته بإنها على وشك الخروج، فأحس ان الكوابيس قد

انزاحت عن كاهله فعاد إلى غرفة الاستقبال بعد أن غير ملابسه بملابس خفيفة اشتراها من أحد محلات الفندق وبينما كان يرتشف كأسا وعيناه نحو التلفاز سمع بخطوات هادئة قادمة نحوه فغير تجاه عيناه حتى رأى زهراء مقبلة نحوه وبخطوات رقيقة ووجه باسم مرتدية بدلة نوم شفافة ومثيرة ذكرته بالماضي، ومن دون مقدمات توجهت نحوه وجلست في حضنه والقت برأسها على كتفه محاولة استنشاق الهواء من جسده الذي اشتاقت إليه.. مرت دقائق طويلة وهما صامتان ويتبادلان القبلات والابتسامات المعبرة والمثيرة بعدها توقفا فتكلم عبدالغني:

الحمد لله على سلامة الوصول.

ردت زهراء:

وسلامتك أولاً.. وبكل صراحة لا أدري ماذا أقول لك.

يقاطعها عبدالغني:

لا تقولي شيئاً.. كيف حال الوالد والوالدة والأهل؟

ترد:

الحمد لله والوالدة بتسلم عليك كثيراً وكلفتني بأن أخبرك بأن تأخذ بالك مني.. وللأمانة أني لا استحق منك كل هذه المواقف النبيلة لقد غمرتني بحنانك ورعايتك وجمايلك وهذه المواقف تكبلني بقيود ثقيلة ومتينة و....

يقاطعها:

لا تكثري في حديث لا يستحق.. دعينا نتعشي، وقبل أن يبرد

ويصبح من الصعب علينا تناوله.. لعلك جائعة ومرهقة من السفر الطويل.

تجيبه:

منذ عرفتك وأنت حلو اللسان.. في الحقيقة كنت جائعة لكن ما أن رأيتك حتي شبعت ومع ذلك سآكل حتي لا تزعل، وبالرغم من أني توقفت عن تناول الكحول فأني مشتاقة وظمآنة لك وللشرب معك...

بعد تناولهما العشاء القت زهراء نفسها في حضنه ثم اتجها إلى غرفة النوم متعانقين.. استمتعوا بممارسة الحب وظلوا حتي الساعات الأولى من الصباح مشغولين بممارسة الحب والكلام ومع الساعة الثانية عشر أيقظتهما الخادمة ولكن زهراء أبت أن تغادر السرير إلا بعد معاشرة أخيرة وبعد ذلك اغتسلا معا وارتدوا ملابسهما فقررا أن يتناولوا الافطار في مطعم الفندق بينما عمال الفندق يقومون بإنزال الأمتعة وتجهيز السيارة.. ولأول مرة يقوم عبدالغني باحتضان أبنة زهراء ويحملها حتى المطعم ويجلسها على حضنه يقبلها ويتكلم معها، ثم سألته البنت ذات الخمس سنوات:

انت يا عمو بتحب ماما

عبدالغني:

ولماذا هذا السؤال يا قمر؟

البنت:

لو أنك تحبها فلماذا لا تعيش معنا على طول؟

يصمت عبدالغني وعيناه مصوبة نحو زهراء، فحاول تجاوز السؤال غير المتوقع ثم قال لها:

لن تشعري بعد اليوم بغيابي، فأنت لا تستحقي إلا كل الحب والحنان وأوعدك بأن احقق لك ذلك.. ويكفي أنك مع ماما وطالعة لها، وعندما نصل للبيت سأدخلك المدرسة وأنا من سيتابع متابعة دراستك وأعدك بذلك.. ولو بتحبيني بحق هيا تناولي الفطور من أجل تكوني قوية.

وأثناء تناول الفطور المتأخر تحدث عبدالغني قائلا:

على فكرة أنا سجلت البنت في المدرسة الخاصة التي بجانبكم كما قمت مع حسين بتقديم طلبك لاحد المعاهد العلمية كمدرسة وقد تم قبول الطلب ومنتظرين مقابلتك المحددة بعد عشرة أيام الساعة العاشرة صباحا وسأكون معك، وعمك سيساعدك على تجاوز المشاكل الأخرى وأتمنى أن تساعديني في تحقيق ذلك..

زهراء ترد:

هذا كثير عليَّ ومش عارفة كيف يمكن لي أن أرد لك ولو جزء من هذه الجمايل..

يجيبها:

لا أريد أن تكرري مثل هذا الكلام مرة ثانية تحت أي ظرف كان.. وأي شيء تريديه تكلمي معي من دون قيود أو حساسية، فالعيش والملح لا يهون إلا على ابن الحرام.

زهراء بصوت هاديء ومتهدج:

والله العظيم هذا كثير عليّ ولهذا لا أريد أن أخسرك كإنسان وصديق يقاطعها بحدة:

يبدو أن تأثير السفر على عقلك مازال فاعلاً. يناولها كاست شاي ويطلب من خادمتها أن تأخذ راحتها في تناول الفطور وتعتبر نفسها واحدة من العائلة، ثم يتجه لتغذية إبنتها بحنان الأب الحقيقي والمشتاق إلى ابنته بعد افتراق قسري ثم يواصل حديثه بلهجة هادئة:

بالتأكيد عانيت الكثير من رحلة السفر ومحاولة اقناع عائلتك بقرار عودتك..

زهراء:

بالفعل أنت قاريء ذكي للاحوال الشخصية والعامة.. قرار العودة تم بصعوبة ولكن تشجيعك لي كان هو الدافع الاساسي لإصراري على ضرورة تحقيقه ولولاك لما كنت فكرت بالعودة، وأشكر الله على أنه عرفني بك..

بعد إكمال الإفطار المتأخر وبعد فحص السيارة وتجهيزها تحرك عبدالغني مع مرافقيه في رحلة دامت سبع ساعات ونصف الساعة حيث بلغوا العاصمة في الساعة العاشرة ليلا استطاع من خلالها أن يجري حوارا عاماً عن ظروف خروجهم وطبيعة الحياة في التشرد وعلاقتهم بأبو اليسر وانصاره، تقول زهراء في مجري حديثها:

حتي لحظة خروجنا لم نكن نعرف إلى أين الاتجاه أو مصير أبو اليسر الذي اختفى بعد سقوطه المتوقع والدراماتيكي، وكم كنت أتمنى لو أني قابلته ورأيت حاله وسؤاله عن رأيه بما حدث للوطن ونظامه،

لكن ما كل أمنية يريدها الانسان تتحقق، ولكن أكبر أمنية تمنيتها هي رؤيتي للشيخ أبو الأخفش وولده وهما يهربان خوفاً من المجهول.. ولست أدري إذ كنت ستصدقني لو قلت لك أني تمنيت أن أحقق ذلك وبعدها أموت.. أبو اليسر لم يكن ظالما وقاسيا على مخالفيه بل حتى على عائلته وأصدقائه أن وجدوا وانتمائنا العائلي إليه لم يكن نعمة علينا بل نقمة.. المشكلة أننا العرب لا نستطيع التفريق بين مسؤولية الفرد وانتمائه العائلي.. فأما أن تكون العائلة بطلة لأن أحد أفرادها بطلاً أو أن تكون العائلة ظالمة لأن ذلك الفرد كان ظالماً.. وهذا واقع مركب بطريقة معقدة يصعب فهمها أو التعامل معها...

لقد سبق يا حبيبي أن قلت لك رأيي قبل السقوط المدوي والمريب لنظام أبو اليسر وأخبرتك بأنه لا محالة من سقوطه، ولا يعني أني أبرر لنفسي تماشياً مع الواقع الجديد ولكني كنت على قناعة من حدوث ذلك، كما كنت أعرف أن لك علاقة بتلك الجريدة السرية ولكني لم أكن متأكدة من ذلك مائة في المائة، وكنت مقتنعة في الحديث معك عن معظم الأسرار الداخلية لعائلة أبو اليسر وقناعتي تلك كانت نابعة من تجربة حياتي الخاصة وعلاقتي بالآخرين الذين لم يكونوا يعرفوا حقيقة المعاناة التي نعيشها بفعل صلة القرابة التي كانت تجمعنا بأبو اليسر.. وأني لا استطيع مسامحته هو وأبو الأخفش على ما فعلوه بي.. على كل حال ربك كبير وهو يمهل ولا يهمل.

فيحاول عبدالغني تهدئة حديثها المتشنج قائلاً:

وحدي الله.. أنت الان بحاجة إلى راحة فكرية والتأمل إلى

المستقبل من كونك طامحة لاستقرار عائلي ومادي وشخصي.. الفرصة مازالت أمامك وعلينا جميعا أن نتجاوز الماضي ونفكر بالغد.. وسأكون مسرورا لو ركزت تفكيرك بكيفية اثبات الذات من خلال عملك ورعاية ابنتك بل وستجدينني دائما معك صديقا ورفيقا وأخاً و...

تقاطعه:

لا تكمل ولا تقلها لي مجاملة.. أقدر لك مشاعرك.

يجيب:

بماذا لا أكمل كلمة المجاملة؟

ترد:

وحبيباً...

يرد عليها:

ولما لا... حبيباً مخلصاً ووفياً لعلاقته بحبيبته التي يتمنى لها السعادة والخير والاستقرار:

زهراء بصوت مبحوح:

أعرف ذلك وينبغي عليك أن تعرف بأني لا أريد أن أبني سعادتي على حساب سعادة الآخرين، فالفترة التي قضيتها معك وأيضا تشردي عرفتني بأمور كثيرة لم أكن أعرفها.. ولا أود أن أكون أنانية ومستهترة في حقوق الآخرين.. أنت انسان لا تستحق إلا الخير والوفاء.. وزوجتك التي اخترتها عن حُب تستحقك، ولابد أن تكون معها مستقراً ومع أولادك ولكني لا أود أن أخسرك كصديق مخلص أستطيع

الاعتماد عليه وقت الشدائد هذا إذا كنت لا تمانع في ذلك؟

يجيبها عبدالغني:

أتمني أن تعـــرفي يا زهراء أنك المـرأة الوحـيـدة الـتي لا أتمنى أن أخسرها كصديقة ورفيقـة وحبيبة، وصدقيني أنا لا أود أن تكون نهاية علاقتنا عند حدود المصالح المادية أو السياسية.. أنا من ناحيتي سأظل باقيا على حدود عـلاقتنا ومحاولة تصحيح أفق مـساراتها بما لا تدعوا للتباعـد أو الاختراق.. وعلى فكرة أنا اتفقت مـع زوجتي أن أسمي المولود القـادم إن كانت بنتـا باسم زهراء، وشـرحت لزوجتي سـبب اختياري لهذا الاسم وعلاقتي به، حـيث صارحتها وتقبلت الأمر مني وفاءً للحب الذي يجمعنا... صحيح أنـها غضبت مني ولكني وعدتها بأن أسعي لاصلاح طبـيعة علاقتنا والحـمد لله تجاوزنا ذلك وأتمنى أن نتفهم لذلك..!

زهراء:

وأنا من ناحـيتي سـأساعـدك على تحـقيق ذلك وبقناعـة خالصـة ومؤكدة... وسـأكون سعيدة لو نجحنا بذلك فـأنت كما قلت لك لا تسـتحق إلا كل الخير ونفسـي أساعدك... وأشكـرك على اختـيارك لأسـمي لو رزقكم الله بمولودة.. كـما أتمنى التـعرف على زوجـتك واقامة علاقة أخوية صادقة معها..

يجيبها:

وأنا أتمني ذلك وطبعا ذلك يحتاج لأيام...

يقطع حـديثه اتصـال هاتفي من صـديقه ابراهيم الذي يسـأل عن

أحواله ووقت وصوله، ثم تـطلب زهراء منه أن تكلم ابراهيم لتشكره على اهتمامه بها ومساعدتهم لها، ويستأذن عبدالغني صديقه في طلب زهراء، والذي قبله مسروراً، وتحدثت زهراء بادئة:

لا أستطيع كيف أقول وكلمة شكراً لا تكفي...

إبراهيم: نحن أخوة وليس بين الأخـوة من داعي للشكر.. فأهلا وسهلا بك في وطنك وبين أهلك.

زهراء: بكلامك هذا وكأني أعرفك من زمـان.. وإنشاء الله أكون قادرة على رد جزء من جمائلكم عليَّ..

إبراهيم: لا داعي للجمائل فواجب الأخوة تتطلب منا الوقوف مع بعض.. وعلى فكرة أنت وبنتك مـدعوة للغـداء مع العائلة بعـد غد الجمعة وهذا أمر لا جدال فيه.

زهراء: لا.. هذا كثير.. خليها مرة ثانية لو سمحت وتكرمت.

إبراهيم: أنا أغـضب كثـير كل مـن يخالف تلبـية دعـواتي، ولو سمحت ناوليني عبدالغني وشكراً على كلماتك الرقيقة..

يأخذ عبدالغني الهاتف ويستمع إلى صديقه ثم يبلغه بأنه واثق من أن زهراء ستلبي دعوته الكريمة، ثم يخبره عن مـوعد وصوله والتأكيد على حـضوره للقـاء الصبـاح في المقـر الجديد للحـركة التي قـامت باستـئجاره من أحـد المواطنين، وهو عبـارة عن شقة تم تحـويلها إلى مكاتب.. وبعد انتهاء المكالمة تسأل زهراء:

اعتقد ان ابراهيم هو أعز صديق لك؟

عبدالغني:

أنه أكثر من صديق.. هو أخ.. وهو أكثرنا أتزانا وتسامحاً وذكاء.. وعلى فكرة عندما تتعرفين إليه وإلى زوجته وأهله ستشعرين بسعادة أكبر لانك اكتسبت صديقين مخلصين وعائلة رائعة وطيبة وكريمة.. أنا اعتقد بأنك بحاجة إلى الخروج من الماضي بروح جديدة وعقلية متزنة.. وكلي ثقة بقدرتك على تجاوز ذلك.

حينها كان إبراهيم يتحدث مع إسماعيل وحسين حول فيما اذا كان قد أصاب في دعوته لزهراء أم لا؟ فيجيبه حسين بأن ذلك يدل على نبل الأخلاق التي تتمتع بها.. أخلاق التسامح والشجاعة

ويضيف إسماعيل:

كل يوم يا إبراهيم تثبت لنا أنك من الشخصيات النادرة في مجتمعنا.. وطريقة تعاملنا مع زهراء خطوة جادة وذات جدوى لنا في المستقبل من خلال رفعنا لشعار ضرورة تحقيق الوئام المدني.. ولكن الأهم من كل ذلك أن تكون هناك نهاية محددة لعلاقة عبدالغني بزهراء.

يجيب إبراهيم:

لا تحملوني أكثر فأنا من غيركم لا شيء.. أما موضوع عبدالغني وزهراء فأني على ثقة بأنها ستصل إلى نهاية جيدة وإن كانت مؤلمة للطرفين وخصوصاً زهراء.. وهي بالتأكيد ستكون مستوعبة لذلك ولكن دعونا من هذا، رجاء أن لا نضغط على عبدالغني كثيراً والذي يجب أن نعترف به أننا مسؤولون عن تلك العلاقة من خلال تشجيعنا لها من البداية، وهو نفسه مقتنع بأن تنتهي تلك العلاقة نهاية طبيعية

ومرضية حتي يشعر بالاستقرار العائلي والنفسي، ومهمتنا في المرحلة المقبلة معه يجب أن تكون عقلانية خصوصا إذا كنا نحبه ونحترمه ونخاف عليه.

إسماعيل: معك حق وأعدكم بأن نعمل معاً للحفاظ على علاقتنا ووحدتنا..

يعقب حسين:

أتفق مع توقعاتك يا إبراهيم وأعتقد أن ذلك سيتطلب مننا إشراك عائلاتنا في ذلك من خلال إحداث التقارب مع زهراء..

يوافق إبراهيم وإسماعيل على مقترح حسين.. وقبل أن يصل عبدالغني مع مرافقيه إلى العاصمة بساعة كان إبراهيم وحسين قد كلفا سائق عبدالغني بشراء بعض المواد الغذائية الضرورية ووضعها في منزل زهراء، والتأكيد على حراس المنزل بتوفير الهدوء والطمأنينة لصاحبة الدار التي أعتبروها قريبة لهم.. وحينما ودع حسين صديقه ابراهيم سأله أن كانت خطوتهم مع زهراء ستفيدهم في المستقبل فيرد عليه إبراهيم أن ينظر للأمر من زاوية أنسانية أولاً ثم أنها لجأت لصديق عزيز عليهم ثانيا وثالثاً أنه نوع من الممارسة السياسية لطبيعة سياستهم المستقبلية ثم يتشعب الحديث إلى الأمور العامة نتيجة لسؤال حسين عن رؤيتهم المقبلة المتعلقة بمترتبات المرحلة الجديدة التي يمر بها الوطن

فيجيبه إبراهيم:

دائما أسئلتك مشاكسة ولكنها واقعية.. لاشك أن المرحلة الجديدة صعبة وهي فترة لاثبات مصداقية توجهاتنا فإما أن نكون أولا نكون..

صحيح أن هناك بعض القوى لا تريد الاعتراف بنا أو القبول بمشاركتنا ولكن ذلك لا يعني أن نستسلم، ويكفي أن أول مؤتمر لنا تم بنجاح وبحضور واسع وتغطية جيدة. . وعلينا أن نحاول اقناع كوادرنا واعضائنا وانصارنا بضرورة استمرار نشاطنا وتفعيله من خلال اشراكهم في صناعة المرحلة الجديدة كمسؤولية وطنية وواجب ديني ووطني لأنه لا يمكن أن نسلم أمر الوطن للقوي الغازية وعملائها. . كما أعتقد أن اجتماع الغد سيكون الفاصل في بلورة مقررات المؤتمر وعلينا السعي لانجاح ذلك الاجتماع ومحاولة اقناع رفاقنا المتشددين بضرورة تواجدنا في المرحلة الجديدة ويتملكني شعور بأننا سننجح في التوصل لقرارات موحدة ومن دون أي مترتبات جانبية قد تؤثر على وحدة حركتنا التي ينبغي أن نجعلها حركة سياسية ذات أهداف متزنة وعقلانية. . واجتماع الغد يتطلب منا أيضا مساعدة اسماعيل في ادارته بصورة ممتازة ومشرفة بحيث لا نسمح لأي من كان بتشويه مكانته وصورته الشخصية والقيادية.

يرد حسين:

وأنا عندي نفس الاحساس خصوصاً بعد نجاح لقاءاتنا السابقة بمجموعة اعضاء الهيئة، كما أنني واثق أن مكانتك الشخصية والقيادية وعلاقتك الطيبة بالجميع ستكون مساعدة لتحقيق النجاح للاجتماع وخلق الوئام وسط الهيئات القيادية.

إبراهيم يسأل صديقه حسين:

هل جرى الحديث معك عن الترشيحات المتوقعة بخصوصك التي

سمعت عنها اليوم؟

يجيب حسين:

لم أسمع عن ذلك إلا منك.. ولا يمكن أن أقبل بشيء دون موافقتكم..

إبراهيم:

أسمع يا صديقي العزيز.. أي عرض يطرح عليك أقبله لأننا نحتاج إلى تعزيز مواقعنا في كل المجالات السياسية، فالعقلانية ان نرفض التشدد ما دام الامر سيعود بالنفع للوطن بدرجة أساسية.. وأنت تستحق أكثر من ذلك.. فلو عرضوا عليك موقعاً ما لا تواجهه بالرفض المباشر أو القبول المتهور ولكن بالحوار والتفكير...

حسين:

لا أستطيع القبول بأي عرض من دون مشاركتكم وموافقتكم وهذا وعد لا يمكنني تجاوزه.. ثم والاهم لا أشعر بأنني سأكون قادرا على العمل من دونكم.

إبراهيم: اسمعني جيداً وقبل أن تجيب يجب أن تفكر بما سأقوله لك كأخ وصديق ورفيق عزيز وغال أنت بالنسبة لي شخصيا وأيضا للحركة أنت الجوكر الرابح والجامح.. فأنت صاحب خبرة عملية وتاريخ عملي نظيف والذي نستطيع المراهنة عليه في المرحلة الحالية والقادمة.. وأعتقد أن النقاش في ذلك ومن قبلك لن يغير من نظرتي بل ونظرة الحركة تجاهك.. دعنا نتوكل على الله وأختتم حديثي..

مع السلامة وتصبح على خير.

وما أن يصل عبدالغني حتى يفتح له حراس منزل زهراء البوابة ويساعدوها على نقل الحقائب بينما عبدالغني يتفقد غرف الدور العلوي ووجد بعض المواد الغذائية الضرورية كان يحدث نفسه:

كم أنتم طيبون يا أصدقائي، فلم تنسوا شيئاً.

تسأله زهراءعن فحوى حديثه فيجيبها:

إبراهيم وحسين وإسماعيل لم ينسوا أن يقوموا بتوفير بعض المطالب الغذائية وكأنهم يعرفون أهمية احتياجكم لها في هذا الوقت.

زهراء بدهشة:

بحفاوة استقبالكم هذا تجعلوني محتارة منكم ومقيدة بجمائل يصعب ردها.

يجيبها عبدالغني:

كم من مرة قلت لك لا تكرري كلمة الجمائل.. هيا اعدي العشاء لابنتك أولاً ثم لنا وقبلها استميحك عذرا باستخدام الحمام وتغيير الملابس والنوم هنا حتي الصباح.

زهراء: وهل تعتقد بأني سأتركك ترحل بعد كل هذا.. ولتعذرني هذه الليلة لأكمل الحديث معك وليكن آخر طلب لي منك.

عبدالغني: لا تقولي ذلك ثم أنني لا أستطيع العودة الآن إلى شقتي لأنها خارج المدينة وأشعر بأني مرهق من القيادة وأنا مستعد لأكمال أي حديث معك هذا من جهة ومن جهة ثانية لا أستطيع

ترككم خلال اليـومين القادمين نتـيجة للظروف الأمنيـة وضرورى أن نساعدك فى مواكبة التغيرات الجديدة.

زهراء: شكراً جزيلاً..

مع انتصاف الليل وبعد أن نامت أبنة زهراء وخادمـتها في غرفتهم الخاصة وقيـامها بتجهيز غـرفتها والاغتسال والعـشاء كانت زهراء تعد نفسها للانفراد بعشيقها لعله ربما يكون آخر لقاء حميمي يجمعهم معاً والاسـتمـتاع به قـدر الامكان ومـا أن أطلت عليـه وهو يطالع بعض الصحف.. يقول لها:

كل يوم تزدادين جمالاً وأناقة وحيوية.

زهراء بدلال:

ربما لشعورك المرهف وحنيتك المتميزة لي أبدوا لك كذلك..

عبدالغني وهو يمد يده اليمنى نحوها ليجذبها إلى حضنه:

أنا لا أعـرف كيف أتجـمل ومعك وأمـامك.. وما أقـوله واقع لا يقبل التسويف والتزويغ والمبالغة.

زهراء وهي مسترسله بدلالها وبعد ان ترمي بنفسها الى حضنه:

كيف كنت بالأمس؟

عبدالغني:

زهرة جميلة وكاملة النضوج والحيوية.. زهرة تزداد حيوية وجمالاً ورونقا مع كل يوم..

زهراء:

هذه الزهرة التي تقف أمامك وتسلم نفسها راضية لرجل ولا كل الرجال هل لها أن تسترجع بعض من ذكرياتها مع رجلها ومن دون تحفظات أو اجراءات رسمية.

عبدالغني:

وهل أملك القوة الكافية لمنع الزهرة...

لحظات جميلة يستمتع بها العاشقان حتى تفاجئهما الطفلة وهما في أوج الاستمتاع تطلب ماء للشرب، وما أن فرغت من تناوله حتي سألت صديق أمها:

هل تحب ماما؟

الأم تنهض خجلة لترتدى ما يسترها وترد عليها:

نعم يا حبيبتي.. عودي للنوم وغداً نتكلم بالموضوع فلا تزعلى عمو الذي يحتاج للراحة بعد تعبه معنا...

ترافق زهراء ابنتها ثم تعود وعبدالغني في حالة وجوم بددته بالقاء جسدها مجدداً نحوه وتقول له:

أرجوك أنسى ما سمعت فأني أستطيع تدبير الامر ولا تقلق نفسك..

أمضوا سويعات مستمتعين حتى غلبهم النعاس في الساعة الثالثة والنصف صباحاً حيث كان عبدالغني على موعد لحضور اجتماع قيادة الحركة وبالتحديد الساعة الحادية عشرة.. وقبل أن يغادر منزل زهراء وبعد أن تناول فطوره مع أبنتها سأل زهراء إن كانت تحتاج لشيء

يستطيع تلبيته فردت عليه أنها سترسل خادمتها إلى السوق لشراء بعض المواد واعداد الغداء له ولهم وأنها ستنتظر عودته على الغداء وبأي وقت وحينما حاول الاعتذار ذكرته بوعده لها أنه سيبقى معها يومان وأنه عندما يعد لا يخلف وعده.

❖ ❖ ❖

الفصل السادس عشر

وفي أول اجتماع لقيادة حركة البناء والتجديد برئاسة رئيسها اسماعيل وبعد مناقشات مستفيضة لثلثي جدول الاجتماع، تمكن الحاضرون من الاتفاق على التوجهات العامة والجديدة للحركة ومنها مشاركتها في المرحلة الجديدة مرحلة ما بعد سقوط نظام أبو اليسر، كما أقر الاجتماع مساندة ممثليها في أجهزة الحكم الجديد واجراء حوار سياسي مع كل القوى السياسية الوطنية على طريق تشكيل تحالفات سياسية اذا تطلب الأمر ذلك. ونتيجة لزحمة جدول الاجتماع الاول تم تأجيل الاجتماع أو مواصلته خلال ٤٨ ساعة فقط، وقد أثبت اسماعيل قدراته الشخصية والقيادية التي اسعدت بعض زملائه وخصوصا ابراهيم وحسين.

بعد رفع الاجتماع يتجه عبدالغني إلى جوار ابراهيم ويسلم عليه وعلى حسين ثم اسماعيل ويهمس في أذن ابراهيم بأنه يود الانفراد به وبحسين بعدها يتجهان الى مكتب اسماعيل ثم يلحقهما اسماعيل ويغلق الباب وبدا عبدالغني الحديث معهما عن آخر تطورات علاقته بزهراء ووجود القناعة المشتركة لديهما في وضع حد نهائي وواضح لتلك العلاقة التي حدد بعض ملامحها، يقاطعه اسماعيل وابتسامة الفرح تكسوا ملامح وجهه قائلاً:

ألف مبروك يا أبو الغني، وأسمح لي بأن أقول بأننا قسونا عليك كثيراً سواء لتحميلك مثل تلك المهمة أو لقساوة عباراتنا وحواراتنا معك بشأن تلك المهمة.

يرد عبد الغني بهدوء وبعد أن أخذ نفساً عميقة: أنا وللأمانة سأشعر براحة البال والضمير لو أنتم راضين عني وساعدتموني على

تجاوز النهاية وبأقل الخسائر الممكنة.

يتدخل حسين:

ما عملته ياصديقي وأخي الذي لم تلده أمي يعتبر مهمة وطنية ينبغي للحركة أن تفتخر بها وبك، وأعتقد أن وقوفنا معك لابد منه إنطلاقاً من اعتبارات الأخوة والزمالة والعيش والملح، وأرى أن دعوة الأخ إبراهيم لزهراء هي أولى خطواتنا وهذا يعني أنه ينبغي أن نعرف عائلاتنا على زهراء، وربط علاقة صداقة معها سيساعدنا كثيراً على ابعادك من تفكيرها بشخصك كحبيب أو عشيق، وأنا من ناحيتي ومن دون رسميات سأحضر مع العائلة لدعوة الأخ إبراهيم.

إسماعيل يقاطع حسين:

وأنا أيضاً سأفرض نفسي وعائلتي على الأخ إبراهيم.

يحاول عبد الغني الحديث، لكن إبراهيم ينهض من مقعده نحوه ثم يمسك بيده ويسحبه ليوقفه على قدميه ويشده إلى حضنه بقوة بعدها ينطق والدموع تترقرق من عينيه، وقد حاول جاهداً اخفاءها لكنه لم يفلح حتى احتضنه عبدالغني مجدداً، ثم يتحدث إبراهيم وهو يمسح الدموع براحة يديه قائلاً:

إنها دموع الفرح بهذه العلاقة المتميزة التي تجمعنا، وأعتز بها وأتمنى أن تكون أكثر تميزاً وقوة في المستقبل، فأنتم جميعاً ومع عائلاتكم لا تحتاجون لدعوة إلى بيتي الذي هو بيتكم كما أن بيوتكم بيتاً لي.

يعود عبدالغني إلى فيللا زهراء مع الساعة السادسة مساء ويعتذر عن تأخره، وبعد أن تناولا الغداء معا تداول الحديث معها مبتدئاً بالقول: لقد وعدتك بأن أقضي يومين معك وأنا على وعدي لك،

ولكني سأطلب منك السماح بأن أذهب الليلة إلى شقتي لتفقدها وإعداد بعض الملابس لسفري صباح الغد إلى الأسرة والاطمئنان عليها، وبإمكانك أن تخرجي برفقة سائقي للتسوق فيما ينقصكم من احتياجات.

ترد عليه وبإبتسامة هادئة تعلو ملامح وجهها.

ولماذا تحاول تتنطقها باستحياء، ثم إنك لا تحتاج إلى إذن مني، وسأنتظر عودتك بعد الساعة التاسعة، وأني فعلاً بحاجة إلى التسوق وعلينا الإنطلاق من هذه اللحظة.

يجيبها عبدالغني بعد أن شعر وأحس بهدوء داخلي:

إذاً اتفقنا ولن أؤكد عليك مجدداً ضرورة تلبية دعوة إبراهيم ليوم غد حيث سيبعث لك سائقه مع شقيقته وبالطبع ستكوني مستعدة في التعامل مع مضيفيك.

ترد زهراء:

لا تقلق من هذه الناحية وستعرف أن زهراء على وعدها لك بتجاوز الماضي ولن تسمع إلا ما يرضيك ياسيدي.

بعد ليلة حمراء وأخيرة أمضاها عبدالغني مع زهراء كآخر ليلة حسب اتفاقهم بوضع حد نهائي لعلاقتهم، حاولت زهراء الإبحار في أعماقها، وحينما كانت تضغط بكفها الصغير على آنامله القوية فقالت له:

أنا التي ستفجرك الآن وفوراً.

وبعد أن راحت بخلع ملابسها ببطء ودلال يؤشر إلى تفجير عاطفي كانت تحاول إثبات أنوثتها وتفجيرها لشعورها أنه اللقاء الأخير

بأعــز إنســان عرفــتــه، وأشــعرهــا بأنوثتــها المكبــوتة وســاعــد على تفجـيرها. . . وكــان لابد لها أن تســتغل الســويعات القليلة المتـبقـية لتحاول إشباع رغباتها العــاطفية. . . وما أن بدأت ملامح الفجر تظهر حتى كان عـبدالغني يعد نفسه للإنـطلاق كان في لحظة وداع حارة مع زهراء وبينمــا هي واقفة في حـضنه ويديها ملفـوفة حولـه همست له قائـلة: بينما تكون هذه اللحظـات التي أقف فيـها أمــامك كحـبيـبة وعـشيـقـة هي اللحظات الأخـيرة، ولـكنها كـمــا أتمنى أن لا تكون اللحظات الأخيرة بالنسبة لأصدقاء وزملاء وأخوة.

يجيبها برقة:

وأنا عند وعدي لك، وأود التـأكيد على أنك سـتكوني على البال كما أن خطوط التواصل فيما بيننا لن تقطع تحت أي ظرف كان.

وقبل أن يرفع حقيبته اتجـهت زهراء نحو إحدى الغرف وهي تتمتم بكلمات قــائلة: عندي حاجة أقلدك بالعـيش والملح أن تقبلها كـهدية مني.

بعد عودتها تناوله حقيبة وعندما حاول أن يسألها ردت عليه:

هذه هدية متــواضعــة لزوجتك، والمولود القادم، وأيـضاً لوالدتك وأعتــبرها هدية منك حتى لا تظهـر عليهم خالي الوفــاض، وآما هذا المظروف الذي وضعتـه خلسة وكأني لا أملك من النقود الـكافية التي تساعـدني على تسيير الأمــور، وكأنك لا تعرف وضعي المادي الميــسر ولله الحمـد فأنت أحق به ولو أحـتجت لشيء فلن أتردد مــن اللجوء إليك.

يجيبها وهو يمسح بيديه الحانيتين دموعها:

بفعلتك هذه فكأنما تريدين أن تعملي شيئاً معي لتقنعي نفسك بأنها جزء من الذي تسميه بعقلك "الجمائل أو الأفضال" لا . . يا زهراء يجب أن تنسي ذلك ونبهتك أكثر من مرة بهذا الخصوص.

تعقب زهراء:

خلاص ننسى أمر ذلك، ولكن أتمنى أن لا تنسى وعدك لي بعدم المقاطعة النهائية لي.

يرد عبدالغني:

وعد الحر ديناً عليه، ولا أعتقد أنك لا تعرفيني، ولهذا لا تقلقي فلربما نكون أنا وعائلتي يوماً ما ضيوفاً ثقال عليك.

زهراء بفرح:

إذا لم تسعكم فيللتي فسوف أتركها لكم كلها راضية مرضية.

بقبلات ساخنة يودع عبدالغني زهراء والعاصمة برفقة سائقه بعد أن قاموا بتسوق لبعض الفواكه والخضار، وتستغرق رحلته خمس ساعات على الأقل، وحينما يدخل الطريق الخاص بمنطقته حتي استقبلته بعض النسبة بالزغاريد، بينما هو مندهشاً فطلب من سائقه أن يوقف السيارة، فحاول استفسارهن عن السبب فأعلموه أن زوجته، أنجبت صباح هذا اليوم بنتاً فباركوا له، وكان في قمة السعادة وهو يوجه سائقه بضرورة زيادة السرعة حيث كان يتمني رؤية زوجته وابنته البكر. . وما إن وصل إلى الدار مع انتصاف اليوم بنصف ساعة توجه مباشرة إلى أمه ثم أبيه ليسلم عليهم ويتجه بعدها إلى زوجته التي كانت سعيدة بحضوره فاستقبلته بالأحضان وهما يباركان لبعضهما بعض ثم تقوم زوجته بحمل مولودتها بتسليمها لأبوها الذي ظل

يحدق إليها والدموع محبوسة في حدقات عينيه محاولة الإنطلاق فقال لزوجته:

ألف مبروك.. وهي جميلة مثل أمها وأتمنى من الله أن يوفقني لاسعادكن.

الزوجة:

ربنا يحفظك لنا ويطول بعُمرك... لكن قل لي ماذا تحب أن نسميها..

الزوج:

الأم تختار اسماء الإناث والأب أسماء الذكور.

الزوجة:

إذن أسميها زهراء على اسم بنت الرسول وأختي الكبيرة زهراء التي كانت مشجعة لنا في حبنا وساعدتنا في الحفاظ عليه حتى آخر لحظة.

الزوج:

زهراء.. زهراء عبدالغني.. لكن قولي لي هل تعبت كثيراً في الولادة؟

الزوجة «أم زهراء»:

الولادة بحد ذاتها متعبة، ولكن فرحة استقبال المولود، ووقوف عمتي وأمي وأخواتي وأخواتك معي، ومن ثم حضورك المفاجىء يهون التعب.

وفجأة يتذكر أصدقاءه فيقوم بالاتصال بإبراهيم الذي كان يعد المائدة لضيوفه وعلى رأسهم زهراء فيبلغه أنه رزق بمولودة صباح هذا

اليوم، وهو الان معـها فيقـوم بوصفها له بينمـا إبراهيم يبارك له وهو يحاول إبلاغ ضيوفه بالخبر السار، بينما هم يستمعون إلى خبر هام من قناة الجزيرة عن مصدر مسئول في حكومتهم الجديدة عن القبض على أبو اليسر وبعـض مساعديه وأن الأمور تتـجه إلى تقديمه للمحـاكمة، ومع فرحة سماع الخبر المدوي تحدث إبراهيم:

مبـروك يا صديقي العزيز فـألف مبروك على الضـيف الجديد أولاً وثانياً ألف مـبروك لنا على اعتقـال أبو اليسر.. أسـمع أغلق الهاتف وسأعيد الإتصال بكم.

علامات السـعادة والفرح كانت بادية على وجـوه كل الرعية الذين بدوا أكثر إطمئناناً لاستحالة عودة نظام أبو اليسر خصوصاً بعد سقوط نظامه واختفـائه المريب وقد شهدت كل مدن البلاد احتـفالات ارتجالية معبرة استمرت حتى الصباح.

يخبر إبراهيم ضيوفه ومنهم زهراء أن عبدالغني قد رزق اليوم بأول مولود، ولهـذا فإنه سـيهاتفـه ،ويتركهم يبـاركوا له، وبعـد أن أخذ إسماعيل الهاتف بادئاً الحديث نهضت زهراء وهمست في أذن إبراهيم بأنها تـود رؤية زوجته، وقـد قادها إلى المطبخ حـيث إلتقت بزوجـته أماني وعمتها وشقيقة زوجها، رحبوا بها وأنفردت بها أماني وهمست في أذنها:

تماسكي بأعصابك وأكثري من ذكـر الله والصلاة وسوف تتجاوزي كل مـشاكلك... وعليـك أن تكلمي عبـد الغني وتبـاركي له وعلى فكرة مافيش ست من الموجودات هنا غيري يعـرف حقيقة العلاقة التي بينكم تبتسم زهراء، وهي تردد كلمات.. الحمد لله.. والله المعين..

فتفهم أماني أن عليها مناداة إبراهيم وما إن حضر حتى همست إليه بأنها أقترحت على زهراء بالتحدث إلى عبدالغني ومباركته ووافق على ذلك وبعد خمس دقائق وقبل دعوة الضيوف إليها كانت زهراء تتحدث مع عبدالغني عبر الهاتف، وحينما سمع عبدالغني صوتها حاول أن لا يغير من تعابير وجهه حيث شكرها على مكالمتها وأخبرها أن زوجته اختارت اسم زهراء لإسم مولودتهم البكر الذي يتناسب مع اسمها، ثم ناول زوجته بعد اقناعها بضرورة الحديث معها وشكرها على المكالمة، ودار حديث ودي وقصير فيما بينهما مع وعد بلقاء جديد وقريب... بعدها يبلغ أبو زهراء زوجته بخبر القبض على أبو اليسر وبعض مساعديه، بعد تناول الضيوف غداءهم قرر الذكور الخروج لاستطلاع ردود أفعال الناس بعد اعتقال أبو اليسر، حيث طافوا معظم شوارع العاصمة وشاهدوا الاحتفالات العشوائية المعبرة عن سعادتهم الحقيقية ،بينما بقيت زهراء مع زوجاتهم وتبنت أماني عملية تقديمها لصديقاتها ووصيفاتها كونها إحدى زميلاتها المخلصات مما ولد الشعور بالألفة من كل الأطراف وخصوصاً زهراء التي أحست بأنها كانت تعيش عالم ضيق الأفق في المعاملات والعلاقات الإنسانية، وقد شعرت بالراحة بدرجة أساسية لأماني التي غمرتها بحنانها ورعايتها الغير متوقعين وقد أسرت زهراء لمضيفتها بأنها تتمنى أن تتواصل لقاءتها كونها وحيدة ومحتاجه إلى من تفضفض معه بهمومها وأفكارها وطموحاتها ووعدتها أماني بأنها ستكون سعيدة بذلك، بل إنها دعتها أن تزورها في أي وقت تريد ومن دون رسميات أو تكلفة كما أنها ستزورها وهى سعيدة بمعرفتها، وقبل مغادرة زهراء

دار إبراهيم أنهالت عليها الدعوات من زوجات حسين وإسماعيل وقائد، وقد قبلتها على أن يتم تحديد مواعيدها مع الأيام ووفقاً للظروف.

كان القمر مرتبكا في سقف السماء، لا الليل طلع، ولا النهار انسحب، كانت الغيوم توحي بأن المطر لابد وأن يجييء حتى يغسل الحارات من بقع الفساد المنتشرة على الأرصفة، وكان ثمة ضابط يتقدم صوب منزل حالية، حيث بدت سيارات من كل الأنواع متراصة بتكاسل على الرصيف المقابل لمنزلها، وكان بعض الصبية يلعبون «الباتيناج»، فلاحظ الضابط أن الاولاد مؤدبون، وأن أصواتهم منخفضة، وأن ملامح الحي الارستقراطي الذي تقيم فيه حالية، تفرض نمطاً من السلوك بعكس الأحياء الشعبية حيث الصخب هو سيد الموقف، فتقدم الضابط خطوات في اتجاه منزل حالية، ولم يسأل أحداً من الصبية، فقد بدا المنزل متألقا من الخارج، حيث بعض الورود منتشرة في الشرفة الخارجية، وثمة نبات ظل يتدلى من الحائط وينسدل على الشرفة، ما يوحي بأن صاحبة المنزل من الأثرياء، ودق الضابط باب البيت، وانتظر بعض الوقت حتى فتحت له فتاة ترتدي ملابس محتشمة بعكس ما كان يظن، فقد عرف الضابط أنه في طريقه إلى بيت من بيوت الهوي، فيه بنات من جنسيات مختلفة الألوان والأحجام، وتوقع أنه سوف يتمتع بالنظر إلى الحسناوات مجاناً، وبالتالي رحب هذه المهمة، لكن يبدو أن الرياح جاءت بما لا تشتهي الأعين وربما القلوب، فقد فوجيء بأن الفتاة التي فتحت له الباب حزينة، وتبدو عليها ملامح القلق، وربما التوتر، لذا لم ترد على تحيته، ولكنها سألته:

- من أنت؟

وفي أدب بالغ، رد الضابط:

- انا ضابط في مباحث العاصمة، واريد السيدة حالية في سؤال وجواب لن يستغرق عشر دقائق.

ويبدو أن الفتاة هي الأخري لم تكن تتوقع أن يزورهن ضابط في هذه الظروف الصعبة، فسألته عن الموضوع، وهل هو تحقيق قانوني وهل لديه تصريح بالتحقيق معها أو اذن من النيابة، لكنه طمأنها، وقال: خير.. الموضوع خير، أنا لا أريد سوى سؤالها عن موضوع يخصها، وليس هناك اتهام لها، وإنما مجرد معلومات لاستكمال التحقيق.

وفي تطفل واضح سألته الفتاة: عن أي موضوع تريد سؤالها، وفي لهجة لا تخلو من حزم ولطف في نفس الوقت قال: ارجو اخطارها بوجودي أو اسمحي لي بالدخول.

قالت الفتاة: في الواقع أن السيدة حالية مريضة جداً، ويؤسفني أنها تحتضر.

تعالت علامات الدهشة على وجه الضابط، فقال: يا ساتر يارب، ابلغيها تحياتي، وامنياتي بالشفاء، وسأعود إليها في وقت لاحق.

دخلت الفتاة بعدما غادر الضابط، لم تقل شيئا للسيدة حالية التي بدت في غاية المرض، وهي تتوسط السرير، وفوقها غطاء سميك رغم أننا في عز الصيف، وقد امتدت خيوط وحبال وانابيب المحاليل الطبية إلى جوارها، وكانت بعض الفتيات حولها، احداهن تمسك الماء، وأخرى تمسك الدواء، وثالثة تتحرك في عرض الحجرة وحولها، تائهة

وكأنها تبحث عن شيء ضائع أو ربما سوف يضيع.

واشتد المرض بحالية، ولكن صويحباتها لم يتخلين عنها، فلزمنها، تعطيها واحدة منهن الدواء، وأخرى تشرف على إعداد طعامها، وثالثة على وضوئها وصلاتها.

وتتدهور حالتها، فتقوم صويحباتها التائبات المقيمات معها بالصلاة كي يخفف عنها الله بعض الامها، وبعد انتهائن من أداء الصلاة أخذن يدعين لها ويتضرعين في دعائهن، ولكن أنينها بدأ يعلو، فاستدعوا لها سيارة الاسعاف التي حضرت على عجل، ولم يجد الأطباء بداً من تعليق المحلول في ذراعها واعطائها عدة حقن لتستعيد وعيها.

التفت صويحباتها حول حالية، يبكين ما آلت إليه من حال، تمر الدقائق بطيئة متثاقلة، كأنها تجر جبالاً من حديد، ومرت أكثر من ساعة وهن حولها باكيات، إلى أن فتحت عيناها، وبدأت تشير لهن تطلب الماء، وبسرعة جاءت إحداهن بكوب من الماء، رشفت حالية منه رشفات قليلة، ثم راحت في غيبوبة ثانية..

في صباح اليوم التالي كان ضابط الأمن ومعه محقق النيابة قد حضرا لمنزل حالية، فاستأذنا ودخلا، وبصعوبة بالغة مدت حالية يدها إلى محقق النيابة وأعطته خمس ورقات، وكان الطبيب لم يغادر بعد، فأشار إلي المحقق أنها لا يمكنها الكلام، وأن المرض قد تمكن منها وأحكم قبضته عليها احكاماً لافرار منه، وأنها تعيش آخر سويعاتها في هذه الحياة، وأن أنفاسها هذه هي آخر ما تبقى منها.. قرأ محقق النيابة الأوراق على عجل، ثم ابتسم لحالية وشكرها.. وخرج إلى

الصالة بصحبة الضابط والطبيب، وأخذوا يتشاورون، في هذه اللحظات كانت حالية وسط صويحباتها يقرأن القرآن، ويبتهلن إلى السماء لكن كلمة السماء جاءت لحاليه سريعة، وصعدت روحها إلى بارئها، وأحاط جلال الموت الجميع، وعندما رفعوا المصحف كانت آخر آية قرأتها. . إلا الذين تابوا وعملوا الصالحات فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات».

وبينما كان إبراهيم في غرفة نومه يتحدث هاتفياً مع عبدالغني دخلت عليه أماني، وهي مرتدية ثوب نوم شفاف أهدته لها زهراء أثار إبراهيم فأنهى مكالمته مع صديقه، وعاد ليسترسل الحديث الودي مع أماني عن زهراء ورؤيتها - أماني- لا حوال زهراء مستقبلاً ثم تشعب الحديث إلى خبر اعتقال أبو اليسر وكان الحديث التالي:

أماني: ماذا كان شعورك يا إبراهيم وأنت ترى صورة أبي اليسر وهو خلف القضبان؟

ابراهيم: لقد كان ذليلاً، كنت أتمنى أن أرى هذه الصورة منذ زمن طويل، وقد حقق الله رجائي وأمنيتي قبل أن أفارق هذه الحياة. .

أماني: لقد أذل الشعب وحرم الناس من أبسط حقوقهم، فأهدر آدميتهم، وقام بقتل وتعذيب الكثيرين، واعتقل غيرهم من الأبرياء الذين غُيبوا في المعتقلات نتيجة وشايات كاذبة، ونهب ثروات البلاد، ونشر فيها الفساد، وصادر الحريات والعقول، وسمح فقط بإبداء الآراء للمنافقين والانتهازيين والمرتشين وكل من كان على شاكلته. .

إبراهيم: هذا غير فساد ذمته المالية، واغتصاب بنات من الرعية، وهل كان يقدر واحد ممن اغتصبت بناتهم لمقاضاته أو إبداء رأيه في

هذا الملعون؟ لقد قالوا جميعاً: حسبنا الله ونعم الوكيل، وها هو الله قد استجاب لدعائهم، وفرحة هؤلاء أكبر من فرحتنا بعد رؤيتهم لهذا الفاسد ذليلاً وراء القضبان..

أماني: قل لي يا إبراهيم.. ماذا تتوقع في قادم الأيام؟

إبراهيم: لقد ملّ الشعب حكم العسكر، وبسقوط النظام السابق فإننا قد انتقلنا - على ما يبدو - من الشرعية الثورية إلى الشرعية الدستورية.. سوف يتم انتخاب حر مباشر لاختيار رجل عاقل وحكيم يتمتع بحب الشعب والضمير النقي ومخافة الله، وأن يكافيء المجتهد ولا يستمع إلي الشائعات والوشايات الكاذبة..

أماني: وأهم شيء أن تكون يده نظيفة، لا يبطش بها ولا يمد يده للمال الحرام، وألا ينشغل بالنساء ويهمل أحوال البلاد والعباد.

إبراهيم: سوف نختار الرئيس القادم من رجال العلم والسياسة لإقرار الديمقراطية ونشر مظلة الحرية لتتسع لجميع أفراد الشعب، فتتنوع الأحزاب والاتجاهات السياسية، ويسود العدل، وليعبر كل ذي رأي عن رأيه عبر القنوات الشرعية للتعبير.

ابراهيم: لقد ذهب حكم العسكر إلى الأبد، كفي العالم سخرية منا، لقد حكمنا العسكريون طويلاً، بالأمر والنهي، من دون مناقشة فكر لفكر، بل بمصادرة كل الآراء والأفكار، فتباً لهم، وتبّاً لنا إن سمحنا بعودة مثل هؤلاء..

أماني: بعد أن هللت الفرحة وتصميم الشعب على حكم نفسه بنفسه، فلن نختار إلا الديمقراطية والحرية وحقوق الانسان، التي حُرمنا منها طويلاً في العهد الديكتاتوري السابق الذي ذهب إلى غير

رجعة.

إبراهيم: أتوقع ازدهار كل شيء في جمهورية نهبستان، التي أتمنى تغيير إسمها إلي جمهورية عدلستان، الصناعة والزراعة والتجارة والأحزاب والعلوم وقبل كل هذا سوف تكون الجمهورية إسماً على مسمى، وسوف تختفي العداوات بين دولتنا والدول المجاورة.

أماني: إن شاء الله يحدث كل هذا وأكثر..

بعد أسبوع من سفر عبدالغني عاد إلى العاصمة مقر عمله والبحث عن شقة جديدة للإيجار بقرب سكن أصدقائهم بعد أن أتفق مع زوجته وأهله بأن يعود لاصطحابها وبنتها مع أحد أشقائه المقبول بإحدى الكليات الجامعية، وزهراء وهى احدى صديقاتها المقربات وابنة عمه لزينب وخلال تواجده لم يذهب لزيارة زهراء رغم الاتصال بها والسؤال عن أحوالها حتى أنه حمل لها منها هدية من القرية وقد سعى إلى تسجيل ابنتها في روضة أطفال مع مدرسة خاصة جانب سكنها كما سعى إلى ترتيب وضعها في المعهد العإلى للعلوم الإدارية كمحاضرة رسمية، ومن جهتها أعادت ترميم فيلتها التي تعرضت للنهب والتخريب وعملت على الفصل بين دوريها بحيث تستطيع تأجير الدور الأول لعائلة شقيق حسين المكونة من ثلاثة أولاد وبنتاً وأمهم واستطاعت زهراء أن تكون علاقة مع عائلات أصدقاء عبدالغني وعائلة عبدالغني بعد مرور شهر من وصولها إلى العاصمة كما تمكنت من الحصول على الطلاق من زوجها الهارب مع زوجته بعد تدخل أهلها وأهله.

بعد اعتقال أبو اليسر بأسابيع ثلاثة استيقظت رعية جمهورية نهبستان

على أخبار بدء محاكمة أبي اليسر، وتغيير اسم الجمهورية من جمهورية نهبستان إلى جمهورية عدلستان والإعلان عن موعد للإنتخابات الرئاسية والتشريعية والحكم المحلي، فاطمأنت القلوب وسرت النفوس وهدأت الخواطر لأن رياح التغيير للأفضل بدأت تهب بنسائمها على هذا الوطن الجميل فعاود المزارعون بالذهاب لمزراعهم والعمال لمصانعهم والتجار إلى متاجرهم، فرحين، ومستبشرين بغد أفضل، وأكثر إشراقاً وفي داخلهم قناعة بأن خير بلادهم سوف يكون لهم.

وقبل البدء بمحاكمة أبو اليسر شهدت البلاد انتخابات رئاسية وتشريعية شارك فيها معظم الرعية المسجلين الذين حرصوا على اختيار أول رئيس لهم وتمثيلهم في البرلمان وقد فاز بمنصب الرئيس الدكتور محمود أبو العادل بأغلبية ٥٤٪ من الأصوات وهو أستاذ جامعي «في القانون الدولي» معروف بنزاهته الفكرية والمادية، ورغبته في التطوير والتحديث والبناء، كما أنه بالمناسبة كان أستاذاً لإبراهيم وعبدالغني ولأول مرة يصدق الرعية النتيجة التي دوما ما كان العهد السابق يعلن عن نتائج مشوهة تصل إلى ٩٩٪ أو ١٠٠٪ وقد أدى الرئيس أبو العادل القسم أمام نخبة من رجال القضاء والسياسة وممثلو المنظمات العربية والدولية وأعلن عن تشكيل حكومة وطنية ضمت ومثلت مختلف فئات وطوائف الرعية وكان إبراهيم وحسين من أبرز أعضائها وعبدالغني عضوا فيها بدرجة وزير دولة.

من داخل قاعة المحكمة كان أبو اليسر وعصابته قابعين في القفص الحديدي الضخم، فيما تلا النائب العام قائمة الاتهامات أمام القضاة، ثم وقف كبير المحامين المكلفين بالدفاع عن رموز العهد البائد، وبإنتهاء مرافعة

الدفاع، طلب أبو اليسرالكلمة، فوقف منكس الرأس، خانعاً، ذليلاً، فقال:

حضرات القضـاة: أعترف بأنني مارست أشياء كثـيرة ضد القانون وعليكم بأن تعتـرفوا بأني كنت رئيسـاً للجمهـورية ولم تكن تجرؤ أية مؤسـسة في الدولة على مـواجهـتي، وكانت بطانتي فـاسدة، وكنت أستـعين بالمشايخ لحكم البـلاد، وقد أعددت ابني لرئـاسة الدولة من بعدي، كـما فعل الـزعماء والملوك العـرب وكل ما قاله الـنائب العام صحيح.. هذا اعترافي بملء إرادتي، وأرجو من الشعب أن يسامحني على ما اقترفته بيداي من جرائم نحوه.

القاضي: لكن يا سيد أبو اليسر، لماذا مكثت كل هذه السنوات في السلطة، ألا تعرف أن الدول الديمقـراطية لا تسمح للرئيس بأكـثر من دورتين رئاسيتين؟

جناب القاضي: دعنـي اسألك انت سؤالا، مـا هو أعز شيء في الدنيا؟

القاضي: المال والبنون زينة الحياة الدنيا.

أبو اليـسـر: نعم، صـدق الله العظـيم، لكن هل تعـرف أو هل جربت متعة السلطة، عندمـا ينحني الناس امامك، وعندما تتحقق كل أمانيك في لحظة؟ هذه متعة كبيرة، والسلطة أهم متعة في الحياة.

القاضي: لكن السلطة المطلقة مفسدة مطلقة وأنت جمعت في يدك كل السلطـات بما في ذلك القـضـاء، وكنت تخـتـار نواب البـرلمان بنفسك.

أبو اليسر: أنا لست حالة استـثنائية، أنظر حولك في المنطقة كلها، إذا وجدت زعيـماً أو رئيسا يتنازل عن السـلطة أو يقبل بفكرة تداول السلطة،

فإنني أكون جاهزاً - وعن قناعة - لتلقي العقاب الذي يفرضه القانون، لكن الحقيقة هي أن الاستبداد السياسي متوافر في المنطقة كلها، وإذا كنت فكرت في مرة أن اتنازل عن السلطة، أو أقبل فكرة تعدد المرشحين لكان زملائي من الحكام قد سخروا مني، وربما انقلبوا ضدي!!

القاضي: تقصد انك كنت ضمن حالة عامة من الاستبداد واحتكار السلطة.

أبو اليسر: نعم، فلم اكن بمفردي، لماذا لا تحاكمون كل الحكام العرب الذين وضعوا قاعدة في الحكم هي «الحكم من تولى السلطة حتى اللحد»، وأنا عندما توليت السلطة سرت على هذه القاعدة، لأنني لو كنت خالفتها لكان الحكام العرب قد دبروا لي المؤامرات، وأنتم تعرفون أنني تعرضت إلى مكائد عديدة وإلى محاولات اغتيال، ولكني نجوت منها بفضل أجهزتي الأمنية، ولولا الجيوش الأجنبية التي جاءت إلى بلادنا، وساهمت في حدوث ضغط شعبي لكنت الآن حاكما للبلاد، وكنت أنت ومن معك من القضاة تأتمرون بأمري.

القاضي: رفعت الجلسة، ويحدد موعد آخر لاستكمال الدفاع.

بعد تشكيل الحكومة وتأديتها اليمين الدستورية بدأت الأوضاع تستقر، وبالذات بعد إنسحاب القوات الغازية وبدأت الرعية تحس بالرغبة في تثبيت الاستقرار السياسي والأمني والاقتصادي والاجتماعي، وأيضاً بتشجيع الممارسة الديمقراطية لأول مرة في حياة تاريخهم السياسي.

بعد نجاح الانتخابات والاستعداد لمحاكمة أبي اليسر، وبعض مساعديه، أعلنت النيابة العامة فتح الباب لتسجيل الراغبين للشهادة

أمام المحكمة ضد أبي اليسر، وفوجئت النيابة العامة باستقبال المئات من المواطنين «الرعية» مما دفع النيابة العامة إلى اختصار العدد بـ ٥٠ شاهدا من اجمإلى ١٥٠٠ قاموا بتسجيل أنفسهم طواعية للشهادة ضد أبي اليسر وبعض مساعديه، وقد شكلت لجنة محايدة وخاصة لفرز قائمة المتقدمين للشهادة.. ومن المفاجآت كانت جميلة تلك الفتاة التي امتهنت الدعارة بعد اغتصابها من قبل أحد أفراد عائلة أبواليسر يوم زفافها وحال وصولها بيت زوجها، كما ضمت القاذمة فتاة أخرى عاندت الكثير في العهد السابق، وأيضا مواطن معوق - بُترت منه الساق الأيمن والساعد الأيسر - رمى إلى الشارع بعد أن صودرت أمواله وممتلكاته بسبب وجود فيللته على قارعة طريق تؤدي إلى قصر لأحد أفراد عائلة أبواليسر شيد بعد أربع سنوات من تشييد فيللا ذلك المواطن وعندما طالبوه بترك سكنه مقابل تعويض مإلى لا يغطي تكاليف ربع فيللته، رفض فتعرض للمضايقات والاعتقال ثم لجأ للمحاكم، ولكن الجلادين لم يمنحوه الفرصة في تقديمهم للمحاكمة فاعتقلوه وعذبوه حتي أجبروه على التنازل عن سكنه مجانا لساكن القصر الجديد «بيع وشراء» والذي حوله إلى سكن لمرافقيه وجلسات الأنس التي كان مشهورا باقامتها، ولم يكتفوا بذلك بل بتروا إحدى ساقيه وساعده وأودعوه لمدة سنة في مستشفى للأمراض النفسية، كما تضمنت قائمة الشهود موظفين وفلاحين وسياسيين وحرفيين من كل المشارب الفكرية بما فيهم المستقلون الذين شكلوا غالبية القائمة، ومنهم ذلك الموظف ذو المؤهل العلمي والخبرة العملية والوظيفة الادارية العالية «رئيس شركة سابق» وكيف أجبروه على تطليق زوجته أم ولديه

وحبيبته وزميلة دراسته وطفولته وتزويجها لأحد مساعدي أبواليسر الذي اعجب بها أثناء رؤيته لها برفقة زوجها في إحدي الدول الأوروبية، حيث كانوا يقضون أجازتهم الصيفية مجرد نظرة ثم اشتياق للتملك لحق ليس من حقه ومن دون اعتبار للعادات والتقاليد العربية والإسلامية والإنسانية، فكان مصير الزوج الطرد من الخدمة مما دعاه للهروب من البلد واللجوء إلي دولة أوروبية، وهناك أيضا الفلاح البسيط صاحب عائلة مكونة من سبعة أفراد، ساقه القدر أن يسعى بالليل والنهار لرعاية عائلته وتعليم أولاده وما أن تعرف أبنه البكر الذي كان من أوائل دفعته في الجامعة على فتاة من دفعته فأحبها بأخلاص كما أحبته هى بأخلاص، وعندما اتفقا على أن يكون لحبهما طابعاً رسمياً اتفقوا على ابلاغ عائلتيهما وتحديد موعد لاتمام الخطوبة، تفرح عائلة الفلاح عندما يعرفوا ان الفتاة التي اختارها إبنهم هي ابنة أحد القادة العسكريين الكبار في جيش أبو اليسر الخاص - الحرس الجمهوري - والذى لم يكن راضيا عن ارتباط ابنته وبعد ضغوط من والدتها قبل أن يستقبل ذلك الفتي ووالده اللذان فرحا بقبوله فذهبوا إليه وعلامات السعادة راكبة عقولهم وقلوبهم وشكلهم وحركتهم فاستقبلهم والد الفتاة بالترحاب واستطاع أن يخدعهم بكلماته الشكلية والانسانية حتي أنهم صدموا وفوجئوا من رجائه لهم بتأجيل موعد الخطوبة الرسمي نتيجة لانشغالاته واعتبار لقائهم الاول به بداية التعارف والتقارب ففرحوا وقبلوا دون مناقشة وقبل مغادرتهم قصره انفرد بالفتى وطلب منه عنوانه السكني كي يتمكن من زيارتهم عندما تحين له الفرصة.. بعدها بأيام قليلة اختفى الفتي ولم يفلح والده في

البحث عن اجابة مقنعة لعملية اختفاء ابنه البكر بعد أن ضحى بما كان يملك من مال وأراض أثناء البحث فوكل أمره لله سبحانه وتعالى تحت عبارة ظلت تتردد على لسانه أكثر من مرة وهي: حسبي الله ونعم الوكيل، وبعد سقوط النظام السابق عرف أن ابنه اختطف من الحرم الجامعي، وأرسل إلى منطقة صحراوية تقع المسؤولية المباشرة عنها لوالد الفتاة واعتقل وعذب لمدة ثلاث سنوات ثم حكم عليه بالاعدام بتهمة خيانة الوطن.. وغيرهم الكثير والكثير الذين ظلموا في العهد السابق.

حدد تاريخ المحاكمة التي بدأت جلساتها وكأنها محاكمة لعصر كامل أو لكيان لم يكن لأحد يتوقع له أن يندثر أو ينهار.

وفى الجلسات المتتالية للمحاكمة التي بلغت الأربعين جلسة خصصت معظمها لاستماع شهادات الشهود، وبحضور جماهيري كبير ومتابعة إعلامية مكلفة كان الشهود أكثر جراءة في قول شهادتهم من جهاز النيابة العامة في اثبات الأدلة والبراهين على جرائم أبو اليسر وأقربائه ومساعديه، والأكثر إثارة كانت شهادات الفلاح الفاقد لأبنه والمواطن والمعاق وجميلة وتضمنت شهاداتهم طلب موحد من المحكمة بأن تصدر حكم المؤبد والاشغال الشاقة على ذلك الطاغية حتى يكون شاهداً حياً على أخبار فضائحه وجرائمهم لعل وعسى يدركون أن الشعب قادر على قيادة نفسه بنفسه عبر التبادل السلمي للسلطة، وقادر أيضا إلى تنمية نفسه من دون وصاية من أحد.

❖ ❖ ❖

•• للمؤلف:

- اليمن «الوحدة والحرب والارهاب» - ٢٠٠٢ - «كتاب سياسي».
- الحب على الطريقة النووية - ٢٠٠٣ - «رواية».
- ورحل فارس الكلمة الشجاعة - ١٩٩٩ - «مذكرات».



هذه رواية خيالية، لا علاقة لها بما يجرى فى بلد عربي محدد ولا ترتبط بشخصيات معينة، فهي تحلق في الفضاء العربى، وتهرول ما بين الماء والماء، فاذا وجدت فيها بعض ما يجرى فى بلدك، فقد يكون ذلك من قبيل الصدفة، ألم يقل شكسبير على لسان هاملت «لا شئ يحدث فى الدنمارك إلا بالصدفة؟!» اما اذا وجدت شخصية تعرفها، مسؤول كبير أو متوسط له نفس سمات من يلعب ادوارا قيادية أو محورية أو مركزية في بلدك، فثق إنه ليس هو من تعرفه، انما تشابه اسماء وطبائع وسلوكيات.. وديكتاتوريات.

وخلاصة القول انني لم اكتب هذه الرواية، بل هى التى كتبتني، بنفس القدر، هناك احداث جسام تجرى فى وطننا، لم نصنعها ولم نشارك فى صنعها ولم نرسمها، بل هى التى تصنعنا وترسمنا وتنحتنا، فنحن قوم مؤدبون، مطيعون، إلى حد السذاجة أو البلاهة.

لذا كان هذا التنويه.